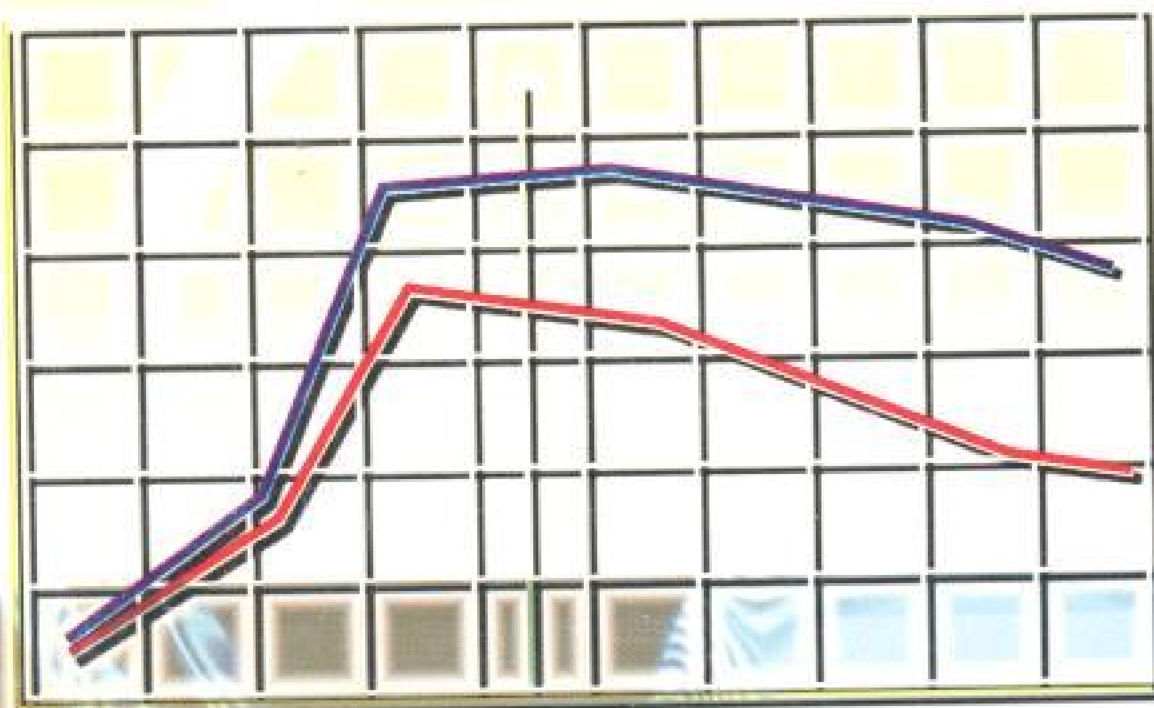
علم اللغة الاجتماعي للمجتمع

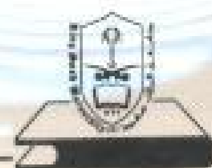
تأليف

رالف فاسولد



ترجمة

الدكتور إبراهيم بن صالح محمد الفلاي



جامعة الملك سعود

النشر العلمي و المطابع

علم اللغة الاجتماعي للمجتمع

تأليف

رالف فاسولد

أستاذ اللغويات

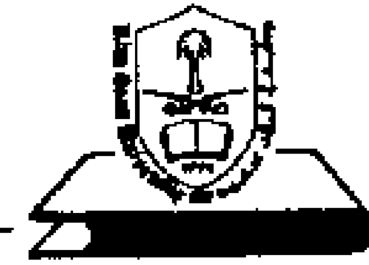
قسم اللغويات – جامعة جورج تاون – واشنطن دي سي – الولايات المتحدة الأمريكية

ترجمة

الدكتور إبراهيم بن صالح بن محمد الفلاي

أستاذ مشارك

قسم اللغة الإنجليزية – كلية الآداب – جامعة الملك سعود



النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ - المملكة العربية السعودية

هذه الترجمة عربية مصرح بها لكتاب:

The Sociolinguistics of Society

By: Ralph W. Fasold

Published by: Blackwell Publisher Ltd. Oxford OX4 1JF. UK. 1st.ed. 1984, Reprented 1996.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

فاسولد، رالف

علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ترجمة إبراهيم صالح محمد الفلاي – الرياض.

٦١٧ ص ؛ ١٧سم X ٢٤ سم

ردمك : ٣-١٧٤-٣٧-٩٩٦٠

١- علم الاجتماع اللغوي أ- الفلاي، إبراهيم صالح محمد (مترجم) ب- العنوان

ديوي ١٩، ٤٠٠ ٢١/٣٠٥٥

رقم الإيداع: ٢١/٣٠٥٥

حكّمت هذا الكتاب لجنة متخصصة شكلها المجلس العلمي بالجامعة، وقد وافق على نشره بعد اطلاعه على تقارير المحكمين في اجتماعه الرابع عشر للعام الدراسي ١٤٢٠/١٤٢١هـ المعقود في ١٤٢٠/١١/٧هـ الموافق ٢٠٠٠/٢/١٣م.

النشر العلمي والمطابع ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

إهداء

إلى روح والدتي الطاهرة...

أدعو الله أن يتغمدها بواسع رحمته

وأرجو ممن يقرأ هذا المؤلف

أن يدعو لها بالرحمة والمغفرة

المترجم

مقدمة المترجم

يهتم علم اللغة الاجتماعي، وهو أحد الفروع الحديثة نسبياً لعلم اللغة، بدراسة الظواهر اللغوية المختلفة من وجهة نظر اجتماعية، وقد عاصر هذا العلم الكثير من التطور والتفسير منذ نشأته في بداية الثلاثينات من هذا القرن ، فتحول من علم وصفي يعتمد بشكل مطلق على ما يسجله الباحث من ملاحظات إلى علم تجريبي، شأنه في ذلك شأن باقي معظم فروع علم اللغة. وعندما يرد مصطلح علم اللغة الاجتماعي، فإن أول ما يتبادر إلى الأذهان أسماء المتخصصين والمهتمين الذين ساهموا في نشأة هذا العلم وتطوره من أمثال جوشوا فيشمن، ولابف، وبيتر تردجل، ومؤلف الكتاب الذي نحن بصدد قراءة ترجمته رالف فاسولد.

ومما يميز الكتاب الذي نحن بصدد قراءة ترجمته أنه كتب بأسلوب سهل بعيد عن التعقيد ، وأنه من تأليف متخصص في هذا الحقل، كما ورد في مقدمة المحرر. ولا يخفى على المتخصص في علم اللغة ما يعانيه كلٌ من الباحث والمؤلف والمترجم من تباين كبير في ترجمة المصطلح، ولذا فقد اطلعتُ على مجموعة من المعاجم ثنائية اللغة المتخصصة في علم اللغة الاجتماعي . واستقر الرأي في النهاية على استخدام معجم المصطلحات اللغوية الذي قام بوصفه الدكتور رمزي منير بعلبكي. وكان الدافع من وراء هذا الاختيار ثراء المعجم واحتواؤه على عدد كبير من المصطلحات المستخدمة في علم اللغة، وكذلك حداثة سنة طبعه.

وينقسم الكتاب الذي بين أيدينا إلى أحد عشر فصلاً . يناقش الفصل الأول التعددية اللغوية ، وحتى يتمكن المؤلف من الاستشهاد بأمثلة واقعية، فقد استخدم

حالتي التعددية اللغوية في الهند وبرا غوي . وفي الفصل الثاني يناقش المؤلف الازدواجية اللغوية ، ويطرح في نهاية الفصل تصوراً جديداً لما يجب أن تكون عليه تلك الازدواجية. أما الفصول الثالث والرابع والخامس فهي مقدمة جيدة للبحث التجريبي في علم اللغة الاجتماعي. ويتطرق الفصلان الثالث والخامس للتحليلين النوعي والكمي ، بينما أفرد الفصل الرابع لإطلاع القارئ على بعض المفاهيم الأساسية في الإحصاء. أما الفصول الستة الباقية فهي تطبيق ، لما نوقش في الفصول الخمسة الأولى ، على الظواهر اللغوية في المجتمع. فالفصل السادس مثلاً يتطرق إلى المواقف اللغوية في المجتمع ، بينما يناقش الفصل السابع الخيار اللغوي ، متدرجاً من اختيار بين اللغات المختلفة إلى الخيار اللغوي بين أساليب اللهجة الواحدة. وأفرد الفصل الثامن لمناقشة الإبقاء والتحول اللغوي ، وهنا يستخدم فاسولد بيانات جمعها عن أحد المجتمعات كمثال على كيفية استخدام الأساليب التجريبية في البحث اللغوي. أما الفصل التاسع فقد ناقش بإسهاب التخطيط اللغوي والتقييس ، وأفرد الفصل العاشر لتطبيق المفاهيم النظرية التي وردت في الفصل التاسع. ولم يغفل فاسولد التعليم ، فقد ناقش في فصله الأخير التعليم باستخدام اللغة العامية .

وفي الختام أتمنى أن يجد القارئ هذا الكتاب ممتعاً وشيقاً ، وأن يكون في ترجمة هذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبة العربية وسد للنقص الشديد في الكتب المؤلفة بالعربية المفردة لمناقشة مواضيع علم اللغة الاجتماعي.

إبراهيم صالح الفلاي

مقدمة المحرر

علم اللغة الاجتماعي، وكما يدل عليه اسمه، هو فرع من العلوم قادر على دمج الاهتمامات اللغوية والاجتماعية بدرجات متفاوتة. ويتعامل رالف فاسولد في هذا الكتاب مع اهتمامات تتجه نحو الطرف الاجتماعي لنطاق اللغة والمجتمع. ونتيجة لذلك، فإن معظم الفصول هي قراءات مناسبة لعلماء الاجتماع، وعلماء علم الإنسان، وعلماء علم النفس الاجتماعي. وفي جزء لاحق من سلسلة بلاكول "اللغة في المجتمع" سيتعامل فاسولد مع الطرف الآخر لهذا النطاق وسيتفحص مضامين البحث الاجتماعي لدراسة اللغة والنظرية اللغوية. ويقدم الكتابان معا تغطية مكتوبة ومتعمقة وواضحة لحقل علم اللغة الاجتماعي بأكمله. ولذا فإنهما يشكلان مدخلاً ممتازاً لهذا الحقل من المعرفة بالنسبة للقراء الذين لا يملكون إلا خلفية قليلة نسبياً عن الموضوع. ومع ذلك فإن هذين الكتابين أكثر من مجرد كتب منهجية ابتدائية لعلم اللغة الاجتماعي. وعلى العكس من مؤلفي عدد من كتب علم اللغة الاجتماعي فإن فاسولد نفسه ممارس لعلم اللغة الاجتماعي. فقد قام بأبحاث تجريبية في عدد من حقول علم اللغة الاجتماعي، وكان حريصاً على تطبيق نتائج أبحاثه لحل المشاكل التربوية وغيرها. ولذا فهو يكتب من خبرة غنية وبصيرة عظيمة. ويزخر كتاب "علم اللغة الاجتماعي للمجتمع" هذا في معظمه بتقييم وتفسيرات أصيلة وبمساهمات نظرية، وفي النتيجة تصبح هذه الكتب قراءات مهمة لعلماء اللغة الاجتماعي الأكاديميين وللمهتمين بالبحث في هذا المجال. والكتاب أيضاً معاصر جداً في اهتماماته، وهو متنوّع جداً وواسع الأفق في اللغات والحالات اللغوية الاجتماعية التي يغطيها.

بيتر ترد جل

مقدمة المؤلف

يعتبر هذا الكتاب الجزء الأول من مجموع كتابين منهجيين تمهيديين في مجال علم اللغة الاجتماعي. ورغم أن المادة العلمية في هذا المجال تتطلب وجود جزء ثانٍ، إلا أن تقسيم الموضوع في كتابين مفيد أيضا لأنه يعكس وجود فرعين كبيرين في هذا الحقل. ويعتبر الفرع الأول المجتمع نقطة بداية واللغة مسألة ووسيلة اجتماعية. وتدخل مواضيع هذا الكتاب ضمن هذا الفرع. بينما يبدأ الفرع الرئيس الآخر باللغة، وينظر للقوى الاجتماعية على أنها تؤثر في اللغة وتساهم في فهم طبيعتها. وسيكون الكتاب الثاني حول هذا النوع من علم اللغة الاجتماعي. ويمكن النظر إلى تقسيم هذين الفرعين على أن هذا الكتاب يختص بنوع معين من علم الاجتماع، بينما يدور الكتاب الثاني حول علم اللغة من وجهة نظر معينة.

ومن وجهة نظري، فإن جوهر علم اللغة الاجتماعي يعتمد على حقيقتين تتعلقان باللغة وغالبا ما تجوهلتا في حقل علم اللغة. وأولى هذه الحقائق هي أن اللغة تتنوع، فالمتحدثون قادرون على التعبير عن شيء واحد تقريبا بأكثر من طريقة. وفي هذا السياق، فإني أضمن في هذا التنوع المدى الكلي للتنويع اللغوي بدءاً من الفروق الدقيقة في نطق الصوائت الفردية كتلك التي ورد وصفها في لابوف Labov (١٩٦٦م) وتردجل Trudgill (١٩٧٤م) وانتهاءً بالخيارات بين اللغات التي يقوم بها متحدثون ذوو ثنائية أو تعددية لغوية. أما الحقيقة الثانية فتتجلى في وجود هدف ملح ومساوٍ في أهميته هدفَ اللغة الواضح وهو أن تقوم اللغة بخدمة مستخدميها. ومن الواضح أنه من

المفترض أن تستخدم اللغة لنقل المعلومات والأفكار من شخص إلى آخر، ومع ذلك يقوم المتحدث في الوقت ذاته باستخدام اللغة للكشف عن هويته (للتعريف بنفسه)، وإلى أي جماعة يقدم ولاءه، وكيف ينظر إلى العلاقة بينه وبين المستمع، وأي نوع من الحدث الكلامي يعتبر نفسه مشتركاً فيه. ومن الممكن القيام بكلتا المهمتين (إيصال المعلومات وتعريف الوضع الاجتماعي) في وقت واحد، وبدقة؛ لأن اللغة تتنوع، حيث يستطيع المتحدثون انتقاء وسائل لغوية بديلة يقود استخدام أي منها إلى توصيل المعلومات الإخبارية بشكل مرض. فالاختيار من بين هذه البدائل هو الذي يعرف الوضع الاجتماعي. ودراسة التفاعل بين هاتين الحقيقتين عن اللغة هو بالضبط ما ينطوي عليه علم اللغة الاجتماعي.

وكمختص بعلم اللغة، فإنني أنظر إلى النظرية اللغوية نظرة جدية، ولا يجب على عالم اللغة والمهتم بعلم اللغة الاجتماعي الاكتفاء بوصف الظواهر الممتعة فحسب، وإنما يتوجب عليه دائما أن يدرس باستمرار كيفية ربط الوظيفة الاجتماعية للغة بأي نظرية صحيحة لها. (وحتى الآن، فإنني لا أجد أسبابا مقنعة لاتخاذ موقف يتعلق فيما إذا كان من الواجب على نظرية اللغة أن تقدم تفسيرا مباشرا للوظيفة الاجتماعية للغة، أو ما إذا كانت نظرية اللغة في حد ذاتها لا تقدم أي إشارة للوظيفة الاجتماعية ، ولكنها تتفاعل مع نظرية أعم للتواصل. ومن منظور عاطفي ، فإنني أميل للنهج الأخير).

وسيتضح في هذا الكتاب أنني أعتبر علم اللغة الإنساني (anthropological linguistics) وفرعا آخر من علم الإنسان (anthropology)، وهو علم الاتصال العرقي أو فنه (ethnography of communication)، جزأين من علم اللغة الاجتماعي. وكما سيتضح في الكتاب الثاني فإنني أعتبر النهج النظرية الفلسفية والنحوية إلى الأحداث

الكلامية والبراغماتية جزأين أيضا من علم اللغة الاجتماعي. وبما أنه لا يمكن دراسة اللغات المزيج والخليط دون الرجوع إلى البيئات الاجتماعية التي تطورت فيها هذه النظم اللغوية، فقد أفردت فصلا كاملا في الكتاب الثاني للغات المزيج والخليط.

وقد يتساءل بعض القراء عن سبب التركيز في الفصلين الثالث والخامس من هذا الكتاب على الطرق النوعية والكمية لتحليل التعددية اللغوية للمجتمع، وخاصة الصيغ والتصنيفات النوعية التي حظيت باهتمام كبير في الماضي، ولكنها لم تعد دارجة على ما يبدو في السنوات الأخيرة. ولكن سيتضح في الفصل الثالث أنني أجد أسلوب الصيغ النوعية نقطة انطلاق مفيدة للنهج الطبيعي في علم اجتماع اللغة. فهو يقدم إطار للتفكير بنوعية الوظائف الاجتماعية للغات الموجودة على مستوى التنظيم السياسي الاجتماعي، وما هي الخصائص التي تحتاجها اللغة لإنجاز واحدة من هذه الوظائف. ويقدم الفصل الخامس حول التحليل الكمي أدوات لتحليل التعددية اللغوية للمجتمع بلغة الأرقام. وعلى الرغم من أنه لم يستخدم أيٌّ من المنهجين، سواء النوعي أو الكمي، بشكلٍ واسعٍ في دراسة علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، يبدو لي أنه من الواجب تعريف طلاب علم اللغة الاجتماعي بهذه الأدوات المساعدة على التفكير المنهجي. وهناك فصل آخر (الفصل الرابع) عن الإحصاء، والذي جاء ترتيبه بهذا الشكل لحاجتي للرجوع إلى بعض المفاهيم الإحصائية الأساسية في الفصل الخامس، وقد يحتاج القارئ للإلمام البسيط بالإجراءات الإحصائية حتى يتمكن من فهم ما يرد في الفصول اللاحقة في هذا الكتاب.

وبغض النظر عن هذه المسائل، فإن كافة المواضيع التي سيتناولها الكتابان تندرج دون استثناء في إطار علم اللغة الاجتماعي. فالتعددية اللغوية للمجتمع، وازدواجية اللغة، والمواقف اللغوية، والخيار اللغوي، والإبقاء والتحول اللغويان، والتقييس والتخطيط اللغويان، واستخدام اللغة في التعليم هي في واقعها من ضمن

المفاهيم السائدة لدى أي فرد عن ماهية علم اللغة الاجتماعي للمجتمع. فجميعها تهتم بالمعنى الاجتماعي للخيارات من بين أشكال التنوع اللغوي، كما أنها متفقة مع مفهوم علم اللغة الاجتماعي، والذي أشرت إليه آنفا.

أعتقد أن من المفيد لقارئ هذا الكتاب معرفة المبادئ التي حاولت اتباعها. أبتدأ القول بأنني قد حاولت أن أقدم عملا أكثر شمولية بدلا من النقاش غير المتعمق لعلم اللغة الاجتماعي. كما أنني توخيت الدقة البالغة في رسم الفرق بين ما قد يسمى بـ "المعرفة النموذجية" وبين تفكيري الشخصي الأصيل في ما يخص المواضيع التي كتبت عنها. ومن الضروري إطلاع الطالب المبتدىء في أي فرع من فروع المعرفة على القاعدة المعرفية التي يفترضها مسبقا العلماء المتمرسون. والغاية من أي مقرر تعليمي أو كتاب منهجي تمهيدي هو تقديم طريقة فعالة للطالب الجديد في أي حقل للحاق بآخر ما استجد في ذلك الحقل. ويجب أن نجعل المبتدئ في دراسة علم ما يلم بالمفاهيم الأساسية لذلك العلم ويتعرف على المتخصصين البارزين فيه، والذين سوف يجد أعمالهم مذكورة في الكتب والمقالات التي سيقرؤها لاحقا. ويقع على عاتق مؤلف الكتاب التمهيدي وعلى مدرس المقرر التعليمي التمهيدي تقديم هذا الأساس، حتى وإن اختلف مع بعض ما ورد فيه، أو اعتقد أن بعض أجزائه قد بالغ الكاتب في تأكيدها.

ومن جهة أخرى، فمن غير المعقول أن نتوقع أن لا يفكر المؤلف أو المدرس بطريقة إبداعية في المسائل اللاتي يتعامل معها، أو الامتناع عن تقديم فكرهما الشخصي الأصيل فيما يخص هذه المسائل. ولا يمكن للمؤلف أو المدرس، إذا كان لديه أي مقدار من المهارة، الاكتفاء بلعب دور الجامع أو الناقل لأفكار الناس الآخرين. والخطر في كل هذا هو أن لا يستطيع الطالب التمييز بين هذين النوعين من المواد. وما لم يكن المدرس والمؤلف مدركين لمسئولياتهما، فقد ينظر الطلاب إلى فكرة خاصة جدًا

بمؤلف المقرر أو مدرسه إلى أنها معلومة مقبولة بوجه عام في الحقل. وحاولت عند تأليف هذا الكتاب أن أكون مدركاً لهذه المسئولية. فقد بذلت جهدا في تضمين المعلومات التي يفترض في المشتغلين بعلم اللغة الاجتماعي معرفتها، بغض النظر عن رأيي الشخصي في قيمة تلك المعلومات. وقد حاولت في المواضيع التي ضمنت فيها فكري الشخصي الأصيل أن أوضح ذلك. وأتمنى بكل صدق أن لا يخلط أي مستخدم لهذا الكتاب بين رأيي الشخصي، والذي لا يمكن اعتباره مقبولا عموما كأمر ملزم أو مهم، وبين الأمر الذي يعتبر من المعرفة النموذجية. وأرجو من المدرسين الذين قد يستخدمون هذا الكتاب كمقرر تعليمي تأكيد هذا الفرق.

وقد بذلت قصارى جهدي في أن أكتب هذا الكتاب بأسلوب غير رسمي شبيه بأسلوب المحادثة، فالكثير من مفاهيم علم اجتماع اللغة معقدة، ويبدو لي أن استخدام الأسلوب التقليدي المتبع في كتابة الكتب الدراسية أو الأسلوب المتحفظ قد يجعل فهمها أكثر صعوبة من استخدام أسلوب أقل رسمية. وكنتيجة لذلك الجهد فقد تعمدت إغفال بعض القواعد التقنينية المعتادة في استعمال اللغة الإنجليزية. فمثلا سيجد القارئ عددا من الجمل المنتهية بحرف جر. وأدرك أن هناك العديد من القراء لن يستسيغوا هذا التطبيق ولكنني أظن أن غالبية الطلبة سيجدون الأسلوب الأقل رسمية مساعدا أكثر منه عائقا. وهذا بالطبع يعني أنه يجب ألا يلام المصححون اللغويون لهذا الكتاب على الهفوات المقصودة التي ارتكبتها في أسلوب كتابته.

وسمة أخرى لهذا الكتاب هي وجود عدد كبير من الدراسات الفردية، وحيثما استطعت الحصول على معلومات مفصلة من بعض الأماكن في العالم والمستخدمة للتمثيل على مبدأ من مبادئ علم اللغة الاجتماعي فإنني قدمت هذه المعلومات على أنها دراسة فردية. وكان توفر المعلومات المعيار الرئيس لاختيار مجتمع ما لتقديمه كدراسة فردية. وكانت النتيجة في بعض الحالات تأكيد مجتمع ما في بقعة صغيرة من

العالم. فمثلا ، نظرا للدراسة الجيدة التي قامت بها سوزان قال Susan Gal (١٩٧٩م) عن الاختيار اللغوي والإبقاء والتحول اللغويين في المجتمع الهنغاري لأوبروارت في النمسا ، فقد استُخدمت تلك القرية الصغيرة كدراسة فردية رئيسة في الفصلين السابع والثامن. وبالمثل ، فقد استخدمتُ دراستي الخاصة المبنية على بيانات جمعتها عن مجتمع هنود التيوا (Tiwa) ، وهي جماعة صغيرة من الهنود الأمريكيين في الجزء الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة كمثال آخر للإبقاء والتحول اللغويين. وأشعر بالرضا إلى حد كبير من أن كل واحدة من هذه الدراسات الفردية التي انتقيتها تعتبر مثالا نموذجيّا للمبادئ التي وظِّفت لتوضيحها ، بالرغم من كونها غير معروفة بشكلٍ عام. ويستثنى من ذلك استخدام دولة الأمريكيين الجنوبيين في البراغوي كمثال على التعددية اللغوية في المجتمع. والبراغوي باعتبارها مثالا نموذجيا للدول ذات التعددية اللغوية بشتى الطرق ، إلا أنها تنفرد عن باقي الدول في القارة الأمريكية الجنوبية بسبب شهرة إحدى لغاتها الأصلية ، وهي لغة قوارني ، نسبة إلى لغة المستعمر فيها ، وهي اللغة الأسبانية. ولهذا السبب وجدت سحرا خاصا في البراغوي وأطلقت العنان لرغبتي في استخدامها كدراسة فردية للتعددية اللغوية إلى جانب دراسة الهند في الفصل الأول. والخطر في استخدام الدراسات الفردية بهذا الشكل هو الاضطرار إلى الاعتماد بشكل كبير على مصادر ثانوية. وقادني هذا ، دون شك ، إلى ارتكاب أخطاء ، وإن لم تكن أخطاء فادحة ، وذلك بتأكيد بعض الحالات التي كتبت عنها. وقد أوضح لي بعضٌ ممن قرأ مسودات سابقة من الكتاب قبل طبعه بعض الأمثلة لهذا النوع ، ولكنني سوف أستغرب إذا لم توجد أخطاءً مشابهة ، وإن كنت أتمنى أن تكون أخطاء صغيرة. وإنني مستعد لمواجهة هذا الخطر ؛ لاقتناعي بأن استخدام مثال ما أفضل بكثير من مجرد محاولة شرح المبدأ بطريقة نظرية.

وقد ضمنت خرائط وأشكالاً وجداول كمعينات للشرح في المواضع التي

اعتقدت أن في ذلك التضمين فائدة. كما ضمّنت في نهاية كل فصل مجموعة من هوامش المراجع علّقت عليها باختصار؛ ليرجع إليها القارئ الراغب في قراءات إضافية عن الموضوع، والتي لم أستطع الاستشهاد بالكثير منها مباشرة في الفصل. وأتوقع أن يكون من ضمن استخدامات هوامش المراجع مساعدتها للطلاب الذين سيكتبون أبحاثا تتعلق بمادة الموضوع في الفصول المختلفة، وبالطبع فهذه الهوامش ستصبح قديمة سريعا، وسيضطر الطلاب الباحثون إلى البحث عن مراجع أكثر حداثة. ويلي الهوامش في كل فصل قائمة بالأهداف. وهي في الواقع أسئلة للنقاش تبين للقراء المعلومات التي أعتبرها مهمة بشكلٍ خاص. وأقصد من وراء هذه الأهداف أن تكون أداة يمكن استخدامها أو إهمالها. فقد يرغب بعض المدرسين في أن يتعلم طلابهم المعلومات التي أبرزتها الأهداف، بينما قد يختار بعضهم تجاهلها. ولا أعتقد أن فائدة هذا الكتاب تعتمد اعتمادا كبيرا على هذه الأهداف.

وفي الواقع فالأهداف جزء من أسلوب للتعليم طوره فريديريك كيلر وآخرون Fredreick Keller & others (١٩٦٨م). وتمكن هذه الطريقة المسماة بالنظام الشخصي للتعليم الطلاب من التقدم في المادة التعليمية بما يتوافق وقدراتهم، وإن كان ذلك يخضع لقيود. ويختلف النشاط في قاعة الدرس بشكلٍ كبير عما قد يوجد في المحاضرة أو في القراءات.

وتنقسم المواد في تصميم النظام الشخصي للتعليم إلى "وحدات"، لكل منها مجموعة قراءات خاصة بها، ويتعين على الطلاب القيام بالقراءات المطلوبة والإلمام بمجموعة الأهداف المشابهة لتلك الموجودة في نهاية فصول هذا الكتاب. ويفترض أن تكون الأهداف واضحة وتغطي بدقة ما تجب على الطلاب معرفته من القراءات، وهذا يعني أنهم ليسوا مسئولين عن أي شيء آخر. وإذا كان طالب ما غير متأكد من إلمامه بواحد أو أكثر من الأهداف، أو إذا لم يفهم بوضوح شيئا ما مما ورد في القراءات، فإنه

سيأتي للحصة التالية ولديه بعض الأسئلة. يُتعامل مع الطلاب بشكلٍ فردي. فإذا اعتقد طالب بأنه قد استوعب تماما قراءات الوحدة، فإنه يخضع لاختبار لسبر معلوماته ودرجة إتقانه لها. ويتضمن هذا الاختبار سؤالا واحداً فقط مصمماً لاختبار مدى تمكن الطالب من معرفة كلٍّ من هذه الأهداف. ولذلك وفي أجزاء كثيرة يمكن استخدام أسئلة ذات إجابات قصيرة، مثل طريقة الاختيار من عدة أجوبة وأسئلة مقالية قصيرة.

وقد وصفت بشكلٍ مقتضب النظام الشخصي للتعليم في حالة ما إذا رغب معلم باستخدام هذا الكتاب متبعا ذلك الأسلوب. ويحتوي هذا الكتاب، كما في الكتاب الآخر، على القراءات والأهداف، ولكن الفائدة من وراء اختبارات قياس درجة الإتقان سوف تضيع إذا ما أدرجناها في هذا الكتاب. ويستطيع المعلم تحضير اختبارات قياس لدرجة الإتقان الخاصة به معتمدا على الأهداف. سيسرني إبداء النصيحة لأي شخص عن كيفية إنشاء اختبار قياس درجة الإتقان. وبالطبع يمكن استخدام الكتاب بطريقة النظام الشخصي للتعليم، ولكن هذا لا يعني بأية حال أنه معتمد عليها. ويمكن استخدامه ككتاب منهجي عام، أو ككتاب مساعد في تصميم مقرر تعليمي نموذجي، ويمكن اعتبار إتقان الأهداف جزءاً من متطلبات المقرر التعليمي، و استخدامها كأساس للنقاش بهدف المراجعة في الصف الدراسي، كما يمكن تجاهلها كليّا. وقد حاولت استعراض علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، كما حاولت أيضا أن أجعل استخدام الكتاب بمنهجية تدريس أخرى ممكنا. ويمكن استخدام الاستعراض بتلك المنهجية أو بدونها.

وأنا ممتن كثيرا لعدد من الأشخاص الذين قرأوا أجزاء من الكتاب قبل طبعه. وقد ساعد كل واحد منهم دون استثناء في تحسين ما ورد في الجزء الذي قرأه . ولو تجرأت وفرضت عليهم أكثر مما فرضت فإنني متأكد من أن الكتاب سيكون أفضل مما

هو عليه. ولكنني أقبل بتحمل المسئولية كاملة عن القصور في الكتاب بشكله الحالي. وأرغب في أن أنوه بالعون الذي قدمه لي بيتر ترودجل Peter Trudgill وهو مؤلف مقرر دراسي تمهيدي جيد في علم اللغة الاجتماعي، وكذلك دبرا تانن Deborah Tannen وشاليقرام شوكلا Shaligram Shukla وروجر شوي Roger Shuy ومالكه يقر درور Malcah Yeager-Dror ووالت ولفرام Walt Wolfram وعلا كونور Ulla Connor . كما أنني ممتن لمختصين لا أعرفهم راجعوا الكتاب قبل طبعه للناشر. وقد استخدمت نسخة قبل النشر من هذا الكتاب في تدريس مجموعتين مختلفتين من الطلاب في جامعة جورج تاون، وأنني ممتن للعديد من الطلاب الذين نبهوني لأخطاء متنوعة في هذه النسخة. وأخص بالشكر اليزابيث أشيم Elizabeth Aasheim وماريا كلارا داسيلفا Maria Clara DaSilva وجينا دوغيت Gina Doggett ودونا كيم Donna Kim واليزابيت لانزا Elizabeth Lanza وماريا كارميليا ماخادو Maria Carmelia Machado وكاثرين نيل Catherine Neill وماريان فيني -لايا باز Marianne Phinney-Liapis وثيودورا بريداريس Theodora Predaris.

وأخيرا فإنني ممتن لجون دافي John Davey من دار باسل بلاكويل للنشر Basil Blackwell للطفه وتعاونه وصبره اللامحدود بينما كنت أنهي هذا المشروع.

رالف فاسولد

المحتويات

الفصل الأول

التعددية اللغوية في المجتمع

الأمم واللغات

يدور علم اللغة الاجتماعي حول الأهمية الاجتماعية للغة بالنسبة لمجموعات من الناس تتراوح بين مجموعات اجتماعية ثقافية صغيرة تتكون من بضع مئات من الناس وبين أمم بأكملها. وإذا تحدث كل فرد في الجماعة بالطريقة نفسها التي يتحدث بها الأفراد الآخرون في الجماعة، فلن يكون هناك ما يدعى بعلم اللغة الاجتماعي للمجتمع. ولا يستخدم الناس اللغة فقط لتبادل الأفكار وللتعبير عن المشاعر فيما بينهم، ولكنهم يستغلون الجوانب الدقيقة وغير الدقيقة من اللغة؛ ليبوحوا ويعرفوا علاقاتهم الاجتماعية بالناس الذين يتحدثون إليهم وبالناس الذين قد يسمعونهم عرضا، وحتى بالناس غير الموجودين حولهم.

وفي بلدان عديدة من العالم، يمكن إنجاز العديد من هذا النوع من عمل الهوية الاجتماعية ببساطة من خلال اختيار إحدى اللغتين أو اللغات التي يعرفها المتحدث. وهناك بلدان عديدة متنوعة لغويا لدرجة أنه من الشائع حتى لدى الأطفال أن يكونوا ذوي ثنائية أو تعددية لغوية. ويوجد لدى العديد من البلدان في أفريقيا وآسيا (مثل نيجيريا وتنزانيا والهند وإندونيسيا والفلبين) فعليا مئات اللغات داخل حدودها. واقع الأمر أنه لا توجد في تلك البلدان لغة واحدة يتحدثها كل شخص تقريبا، بينما تخص بقية اللغات قبائل صغيرة معزولة. وبالطبع فهناك لغات لمجموعات صغيرة وأخرى يستخدمها عدد كبير من السكان. فمثلا، يعترف الدستور في الهند بوجود أربع عشرة

لغة رسمية، وجميعها باستثناء لغة واحدة يتحدثها ما لا يقل عن مليونين من الناس (الاستثناء هي لغة السنسكريت، وهي لغة تقليدية قديمة). ويوجد في الفلبين ست لغات إقليمية رئيسة، كما يوجد في نيجيريا ثلاث لغات. ويوجد في نيجيريا على الأقل نسق آخر من اللغات المهمة داخل نطاق كل إقليم. وقد أعدّ لويس Lewis (أ ١٩٧٢) قائمة تبين وجود ٨٥ قومية داخل الاتحاد السوفيتي، والتي يمتلك معظمها لغات خاصة بها. ويوجد داخل حدود كندا، بالإضافة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، لغات عديدة للهنود والإسكيمو، بالإضافة إلى مجموعات كبيرة من المهاجرين الذين حافظوا على لغاتهم الخاصة بدرجات متفاوتة. وليست الولايات المتحدة دولة ذات أحادية لغوية كما يعتقد أحيانا، فهناك ثلاث مجموعات سكانية رئيسة ممن تتحدث الإسبانية، وهي: البورتوريكن والمهاجرون الكوبيون والتشيكانو. وهناك أيضا متحدثون للغات أمريكية أصلية ولغات أوروبية وآسيوية، وذلك بسبب الهجرة القديمة والحديثة.

مفاهيم

حتى نفهم ماذا تعني التعددية اللغوية للمجتمع، فمن المفيد التذكير ببعض المفاهيم. والمفاهيم التي سوف نستخدمها هي تلك التي طورها جوشوا فيشمن Joshua Fishman (ب ١٩٦٨ م و ج ١٩٧٢ م). والفرق بين القومية والأمة أساسي لفكر فيشمن. فالقوميات هي وحدات اجتماعية ثقافية تطورت إلى ما وراء المفاهيم والاهتمامات الذاتية الأساسية والروابط المتكاملة (فيشمن، ج ١٩٧٢م ص ٣). وبمعنى آخر فالقومية هي جماعة من الناس يعتقدون أنهم وحدة اجتماعية مختلفة عن المجموعات الأخرى، ولكن ليس على مقياس محلي خالص. وهناك نقطتان مهمتان يجب تذكرهما فيما يتعلق بمفهوم "القومية". أولا، يجب تمييزها عن مفهوم آخر مشابه جدا، وهو الجماعة العرقية، والتي تشبه القومية إلا أنها تشكل مستوى للتنظيم

الاجتماعي الثقافي "أبسط وأصغر وأكثر خصوصية ومحلية" (فيشمن، ج ١٩٧٢، ص٣). وكما هي العادة في علم اللغة الاجتماعي تعتبر "القومية" و"الجماعة العرقية" نقطتين على متّصل واحد أكثر من كونهما تميزين غير مترابطين. وبمعنى آخر فسنجد من الصعوبة في بعض الأحيان تحديد ما إذا كانت الوحدة الاجتماعية الثقافية قومية أو جماعة عرقية. ورغم ذلك فإن موقع جماعة ما على المتصل مهم أحيانا.

والنقطة الثانية المهمة المتعلقة بمفهوم القومية هي أنه ليس من الضروري أن يكون لكل قومية إقليم مستقل وذو سيادة. وباستخدام كلمات فيشمن، فالمصطلح "قومية" يعتبر حياديا بالنسبة إلى وجود أو عدم وجود وحدة سياسية مقابلة أو حكومة مستقلة (فيشمن، ج ١٩٧٢م، ص ٤). ولهذا يمكن اعتبار الحروب الأهلية كفاحا مسلحا تقوم به القوميات المسيطرة على الأقاليم الخاصة بها.

وبتعريف فيشمن فالأمة هي "أي وحدة سياسية إقليمية تخضع بأكملها أو بمعظمها لحكم قومية معينة" (فيشمن، ج ١٩٧٢، ص ٥). وهناك شيء من الغموض في تعريف فيشمن، فقد يتساءل المرء عن مدى السيطرة التي يجب أن تتمتع بها قومية معينة على أراضيها قبل أن تستحق تلك الوحدة مسمى أمة. والأمة مختلفة عن الدولة أو الحكومة أو البلد في أن الأخيرات قد لا يكن مستقلات عن السيطرة الخارجية، بينما الأمة مستقلة عن ذلك. وإضافة إلى هذه النقطة بالذات، فإن الدولة على عكس الأمة لا يوجد فيها دائما قومية واحدة مسيطرة (فيشمن، ج ١٩٧٢، ص ٥). ونتيجة لذلك، يمكن استخدام مصطلح فيشمن للتحدث عن دول ذات قوميات متعددة، وليس عن أمم ذات قوميات متعددة، إلا أن الأمة يمكن أن تتكون من مجموعات عرقية متنوعة. وبالجمع بين تميز فيشمن بين "القومية" و"الجماعة العرقية" وتمييزه بين "الأمة" و "الدولة" فإننا نحصل على متّصل جديد، نجد في أحد طرفيه دولا ذات قوميات متعددة وفي الطرف الآخر أمما ذات جماعات عرقية متعددة. ومن منظور

سياسي فالدول ذات القوميات المتعددة أقل استقرارا من الأمم ذات الجماعات العرقية المتعددة. وحيث تكون في بلد ما جماعات اجتماعية ثقافية تشعر بأنها تنتمي إلى قومية مختلفة، ولكنها مضطرة للعيش تحت سيطرة حكم أناس آخرين، تعتبر الدولة متعددة القوميات ومن الممكن أن تكون غير مستقرة أيضا. أما إذا شعر أفراد جماعة اجتماعية ثقافية في بلد ما أنهم، وفي نفس الوقت، مواطنون تابعون للأمة التي يعيشون فيها وأيضا أفراد في جماعتهم الخاصة، فإن البلد يقترب من كونه أمة ذات جماعات عرقية متعددة تقع في نهاية المتصل. والاحتمال الثالث، وهو غير شائع الحدوث بين الجماعات الاجتماعية الثقافية الصغيرة المعزولة جغرافيا، هو أنه ليس للجماعات العرقية أي اهتمام بالبلد الذي تعيش فيه، لا كمواطنيه المخلصين ولا كمعارضين تجب مقاومتهم. وإذا كانت جميع الجماعات في بلد ما، باستثناء القومية الحاكمة، من هذا النوع، فإن البلد ستكون أمة ذات جماعات عرقية متعددة.

دور اللغة في القومية وتسيير أمور الدولة

ويقودنا هذا إلى التمييز بين القومية، وهي شعور ينشأ من القوميات ويدعمها، وبين تسيير أمور الدولة أو المشاكل العملية الأخرى للحكم. وكما سنرى، فقد تتعارض متطلبات القومية وأمور الدولة فيما يخص اللغة.

ودور اللغة في تسيير أمور الدولة واضح المعالم إلى حد ما (فيشمن، ب ١٩٦٨م، ص ٧ وص ٩). فهناك مضماران رئيسان تصبح فيهما اللغة مشكلة لتسيير أمور الدولة: الإدارة العامة للحكومة والتعليم. وتتطلب عملية الحكم تواصلا بين المؤسسات الحاكمة وبين الحكومة والناس. وهذا يعني أنه يجب اختيار اللغة أو اللغات للاستخدام في الحكم. وفيما يخص تسيير أمور الدولة فإن أي لغة تقوم بالدور الأفضل تعتبر الاختيار الأمثل. ويتطلب التعليم وسيلة تعليمية (أو عدة وسائل) تقوم بنقل

المعرفة بكفاءة إلى أطفال المدارس، ومرة أخرى، وفيما يخص تسيير أمور الدولة، فإن اللغات التي تؤدي الدور بشكلٍ جيد وبأقل التكاليف هي التي سوف تُختار.[١]

ودور اللغة في القومية أكثر دقة. فاللغة، بالإضافة إلى الثقافة والدين والتاريخ، تعتبر إحدى المقومات الرئيسة للقومية. فاللغة كما أوضح فيشمن (ج ١٩٧٢م، ص ص ٤٤ - ٥٥) تخدم كرابط بين "الماضي المجيد" والأصالة. هذه مفاهيم مجردة وعاطفية جدا، ولكن لها قوة عظيمة. فاللغة ليست فقط وسيلة نقل لتاريخ القومية، ولكنها جزء من التاريخ نفسه. أما الأصالة فإنها ميزة كبيرة للقومية إذا استطاعت أن يكون لها لغة خاصة بها. وباستخدام كلمات فيشمن "فاللغة الأم هي جانب من جوانب الروح أو جوهر القومية" (فيشمن، ج١٩٧٢، ص ٤٦).

ودور آخر تلعبه اللغة في القومية هو ما أسماه فيشمن (ج ١٩٧٢، ص ٥٢) "الهوية المتباينة" أو ما أسماه قارفن وماثيوت Garvin & Mathiot (١٩٥٦م) "بوظائف التوحيد والفصل".[٢] فببساطة تشير هذه المصطلحات إلى شعور أفراد قومية ما بأنهم يتحدون ويتماثلون مع الآخرين الذين يتحدثون نفس لغتهم، ويتباينون وينفصلون عن أولئك الذين لا يتحدثون لغتهم. وفكرتا الاتحاد والانفصال أعمق من مجرد الحقيقة الواضحة وهي أن من الصعب عليهم الاتصال بالأشخاص الذين يتحدثون لغات مختلفة. فقد يكون الفرد ذو ثنائية لغوية ويجيد اللغة الثانية، ولكنه مع ذلك يشعر بأنه "متحد" مع من يتحدثون لغته الأولى و"منفصل" عمن يتحدثون لغته الثانية.

وإذا أخذنا الأهمية الرمزية العظمى للغة بالنسبة للقومية بعين الاعتبار فمن الممكن أن يكون لدينا مؤشر نستطيع استخدامه لتقرير ما إذا كانت جماعة اجتماعية ثقافية أقرب للقومية أو للجماعة العرقية. وقد كتب فيشمن (ج١٩٧٢م، ص ٦٢)

"تعمد القوميات وبملء إرادتها إلى تقديم لغات نموذجية وأصيلة معاصرة بذاتها ؛ لكي تستخدم بشكل متعمد وتعتنق بإخلاص في المكان الذي كانت تتواجد فيه فقط أنواع اجتماعية وإقليمية تستخدم لا شعوريا ويُتخلى عنها دون أدنى شعور بالأسف". وتحدث فيشمن في مقال سابق (١٩٦٨م، ص ٦) عن اللغة على أنها "رمز للهوية الثقافية – العرقية المضادة للقومية عند المجموعات الصغيرة التي تقاوم الاندماج في قومية أكبر، وتظهر وعيا قوميا محليا خاصا بها". ولذا فهناك مؤشر مفيد للتمييز بين القومية والعرقية، وهو إلى أي درجة تحافظ جماعة ما على لغتها وتدعم استخدامها، وفي مقابل ذلك إلى أي درجة هي مستعدة للتخلي عنها. وسوف نختبر هذا المؤشر عند التطرق إلى الدراسات الفردية عن البراغوي والهند.

التعددية اللغوية كمشكلة ووسيلة

المشاكل التي تواجه القومية

من الواضح أن لدى الدول ذات التعددية اللغوية مشاكل قد لا تعرفها الدول التي تقترب من الأحادية اللغوية. وعلى المستوى العملي الصرف، فالصعوبات في التواصل داخل البلد قد تقف عائقا أمام التجارة والصناعة وقد تكون ممزقة اجتماعيا. ولكن الأكثر خطرا من ذلك هو أن التعددية اللغوية تعمل ضد القومية. وبما أن الدول ذات القوميات الواحدة يحتمل أن تكون أكثر استقرارا من الدول ذات القوميات المتعددة ونظرا لأهمية اللغة بالنسبة للقومية، فإن تطوير الإحساس بالأمة أكثر صعوبة في دولة ذات تعددية لغوية منه في دولة أحادية اللغة. وتستطيع الدول ذات التعددية اللغوية التعامل مع المشكلة بأحد أمرين: إما محاولة إظهار لغة قومية وإما محاولة

إظهار قومية على أساس آخر غير اللغة.(٣) وقد سلكت معظم البلدان تاريخيا الطريق الأول. وهذا يقود مباشرة إلى مشكلة اختيار اللغة القومية وتشجيع قبولها ممن ليست هي لغتهم الأم، وغالبا تطوير اللغة نفسها حتى يتسنى لها خدمة احتياجات الدولة الحديثة. وليست كل هذه المشاكل تافهة.

المشاكل التي تواجه تسيير أمور الدولة

طالما أن المشاكل التي تحدثها اللغة لتسيير أمور الدولة عملية أكثر منها رمزية، فإن حل مشكلة تسيير أمور الدولة غالبا ما يخلق مشكلة للقومية. فعلى سبيل المثال، ومن منطلق عملي، فإن أحسن اختيار مباشر للغة الحكومة في مستعمرة حديثة الاستقلال هي اللغة القديمة للمستعمر. فالمؤسسات والسجلات الحكومية أيام المستعمر لا زالت موجودة في لغة المستعمر، كما أن هناك مواطنين لديهم خبرة كبيرة بأعمال الحكومة يعرفون تلك اللغة. ولكن لغة المستعمر القديمة هي اختيار سيئ على أساس قومي. وبالنسبة لقومية استعادت لتوها إقليمها الجغرافي الخاص بها، فإن آخر لغة تريدها كرمز وطني هي لغة الدولة التي حرمتها من حق السيطرة على أراضيها. وتبقى مع ذلك المشاكل الحالية لتسيير أمور الدولة ملحة جدا، مما يدعو عادة إلى تأجيل المتطلبات القومية في الدول الحديثة فيما يتعلق بلغة الحكومة. وأحد الحلول الذي تبنته ايرلندا هو إعلان كل من اللغة القومية ولغة السلطة المخلوعة لغاتٍ رسمية (الايرلندية والإنجليزية، على التوالي، في حالة ايرلندا)، واستخدام لغة المستعمر لأغراض تسيير أمور الدولة الحالية، بينما يجري العمل على تشجيع استخدام اللغة القومية وتطويرها.(٤) والحل الذي تبنته الهند كان مشابها لذلك، فقد أعلنت اللغة القومية المختارة (اللغة الهندية) لغةً رسمية، بينما سمحت في الواقع بإبقاء اللغة الإنجليزية لغةً ثانية في الحكومة، دون أن تمنحها اعترافا دستوريا. وقد وضع موعد

نهائي للإحلال الكامل للغة الهندية بدلا من الإنجليزية، والذي اتضح فيما بعد أنه لا يمكن الالتزام به. وبلدان أخرى، على سبيل المثال، مالي، التي لم تتخذ أي اختيار رسمي واستمرت باستخدام لغة المستعمر لشئون الحكومة، بينما يجري البحث عن حل لمشكلة اللغة القومية.

والخلاف في التعليم بين القومية وتسيير أمور الدولة هو من نوع مختلف، فمن ناحية، فإن أفضل استراتيجية للغة في التعليم هي استخدام لغات المجموعات العرقية المختلفة. وفي نهاية الأمر، فهي اللغات التي يتحدثها الأطفال الآن، وعليه يمكن البدء فورا في تعليم المواد الدراسية دون الانتظار حتى يتعلم الأطفال اللغة القومية. ولكن هناك وجهة نظر مفادها أن هذه الاستراتيجية قد تكون خطيرة على مسألة تنمية القومية. فإذا تلقى الأطفال تعليمهم بلغاتهم العرقية، فإنها قد تزيد في الأهمية وتصبح رموزا مضادة للقومية. وسنناقش الصراعات بين تسيير أمور الدولة والقومية في التعليم بتفصيل أكثر في الفصل الحادي عشر.

التأثيرات الممكن قياسها للتعددية اللغوية للمجتمع

إذا كان صحيحا أن لدى الأمم ذات التعددية اللغوية مشاكل غير موجودة في تلك ذات الأحادية اللغوية، فمن الممكن إيضاح أن البلدان ذات التعددية اللغوية غير محظوظة مقارنة بتلك ذات الأحادية اللغوية بأمور يمكن قياسها. مثلا، هل يمكن إثبات أن البلدان ذات الأحادية اللغوية أغنى اقتصاديا من البلدان ذات التعددية اللغوية؟ ولإيضاح ذلك فلا بد من وجود قياس للرخاء الاقتصادي، كما سنحتاج أيضا لقياس درجة التنوع اللغوي بطريقة ما، طالما أن هناك أمما قليلة جدا ذات أحادية لغوية كاملة ودرجات عديدة للتعددية اللغوية. بعد ذلك، فإذا كانت الأمم ذات المستوى العالي بمقياس التعددية اللغوية هي أيضا على مستوى متدن من الرخاء الاقتصادي،

فإن ذلك دليل على أثر ضار للتعددية اللغوية يمكن قياسه.

ولقد حاول العالمان فيشمن (أ ١٩٦٨م) وبول Pool (١٩٧٢م) أن يتقصيا هذا الأمر. ولقد بين كل منهما أن القيام ببحث من هذا النوع لا يتم بهذه الطريقة الواضحة تقريبا كما وصفتها. ولقد ذكر بول (١٩٧٢م، ص ٢١٥ - ٢١٨) ثلاث صعوبات، هي، أولا، ماذا نقيس وكيف نقيس؟، ثانيا، عدم ثبات المصادر الإحصائية للمعلومات، وثالثا، الاستنتاجات السببية. وقد يفكر المرء بعدد غير محدد من الطرق لقياس الرخاء الاقتصادي أو التنوع اللغوي.(٥) وأي مقياس يتم انتقاؤه سيكون تقريبيا على أحسن تقدير. ويجب أن تؤخذ الإحصائيات المتوفرة عن مختلف المقاييس المختارة من الإحصائيات الرسمية للسكان وتقارير المسح الأخرى . وغالبا ما تكون هذه المصادر مضللة ولا يمكن الاعتماد عليها، كما سنرى في هذا الفصل وفي الفصل الخامس، والأكثر خطورة هو الإدلاء باستنتاجات سببية خاطئة. فمثلا، لنفترض أنه تبين أن معظم الأشخاص الذين يفضلون رياضة البولنج كنشاط ترفيهي أكثر من التنس، يفضلون أيضا نوعا معينا من المشروبات دون آخر، فقد يحاول المرء بناء على هذه المعطيات أن يبرهن أن لعبة البولنج تسبب رغبة في المشروب الأول، بينما تسبب لعبة التنس رغبة مماثلة في تناول المشروب الثاني. أو ربما أمكن برهان أن تناول المشروب الأول يجعل الناس يشعرون بالرغبة في ممارسة لعبة البولنج، وأن أحد نتائج تناول المشروب الثاني هو الرغبة الملحة في لعب التنس! وإذا أمكن إثبات الصلة بين نوع المشروب والرياضة، والتي أعتقد أنها لا توجد على حد علمي، فإن الاحتمال الأكبر أن هناك بعض المسببات المشتركة، قل مثلا مجموعة من القيم المرتبطة بنوع معين من نمط المعيشة، هي المسئولة عن هذين النوعين من التفضيل. ويجب على المرء الحذر عند القيام باستنتاجات سببية من معطيات تلازمية، فإذا كان هناك ارتباط بين (أ) و (ب)، فمن الممكن أن (أ) سبب (ب)، أو أن (ب) سبب (أ)، أو أن هناك

عاملا ثالثا (ج) هو المسبب لكل من (أ) و (ب). حتى وإن كان (أ) سبب (ب) في النهاية فقد يكون ذلك بطريقة غير مباشرة، فـ (أ) سبب (س) الذي سبب (ص)، والذي بدوره سبب(ب).

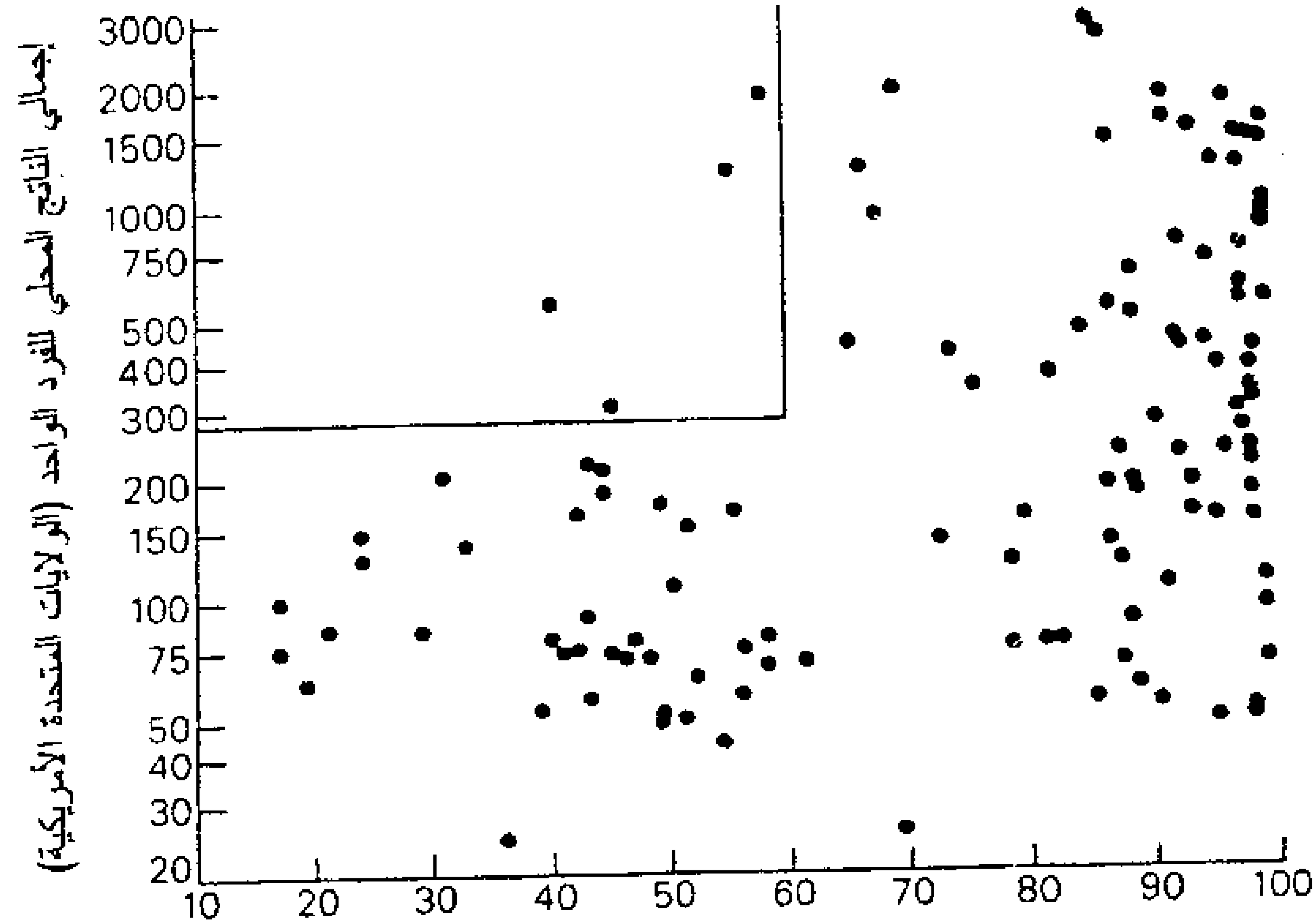
وبأخذ هذه التحذيرات في الحسبان، فمن النافع استعراض النتائج التي توصل إليها بول. اختار بول إجمالي الناتج المحلي للفرد الواحد والذي يقيس قيمة الناتج الاقتصادي لبلد ما في سنة معينة مقسوما على عدد السكان في تلك البلد. واختار بول سنة ١٩٦٢م أو أقرب سنة لها استطاع الحصول على معلومات عنها. واختار عدد أفراد أكبر مجتمع للغة أو مقارنة بعدد السكان الكلي كمقياس للتعددية اللغوية للمجتمع. وبقليل من التفكير نرى بسهولة صلاحية عمل مقياس التعددية اللغوية. فلو افترضنا أن أكبر جماعة لغوية تكّون ٢٥٪ من مجموع سكان بلد ما، فإن هذا يعني أن النسبة المتبقية وهي ٧٥٪ من السكان موزعة على مجموعات ذات لغات مختلفة أكبرها أقل من ٢٥٪ من العدد الكلي. ومن جهة أخرى، إذا كانت الجماعة الكبرى تشكل ٩٠٪ من عدد السكان، فإن هذا يترك ١٠٪ فقط لجميع المجموعات اللغوية الأخرى.

واستطاع بول، بعد بحث مضنٍ وباستخدام مصادر عديدة، قياس هاتين القيمتين لـ١٣٣ بلد. ووضعت هذه القيم في شكل بياني، حيث تم وضع قيم إجمالي الناتج المحلي على المحور العمودي؛ ونسبة أكبر جماعة لغوية إلى العدد الكلي للسكان على المحور الأفقي؛ ويوضح الشكل (١, ١) هذه النتيجة.(٦) وقد عُلمّ المربع العلوي الأيسر في الشكل (١, ١) حتى يؤكد حقيقة أنه خالٍ تقريبا، مقارنة ببقية الشكل. ويبدو أن هذه التعميمات، والتي سنذكرها هنا مستخدمين كلمات بول (بول، ١٩٧٢م ، ص٢٢٢) هي حقيقية جدا تقريبا:

فقد يكون للبلد درجات متفاوتة من الوحدة أو الاختلاف اللغويين، ومع ذلك يبقى بلدا متخلفا، وقد يتراوح مستوى البلد الذي يتحدث جميع سكانه اللغة نفسها

تقريبا بين الغني جدا إلى الفقير جدا. ولكن البلد غير المتجانس لغويا بشكلٍ كبير هو دائما بلد متخلف أو شبه نام، أما البلـد النامي جدا فيتحلى دوما بدرجة كبيرة من الوحدة اللغوية.

ولـدى فيشمن (أ ١٩٦٨م، ص ٦٠) اعتقاد جازم بـأن "الكيانـات المتجانسـة لغويا عادة ما تكون أكثر تطورا اقتصاديا". وعلى ضوء نقاشنا السابق، فمن المهم عدم التسرع باستنتاج أن الدرجة الكبيرة من التعددية اللغوية تعرقل النمو الاقتصادي.



الشكل رقم (١ , ١). إجمالي الناتج المحلي للفرد الواحد وحجم أكبر مجتمع للغة الأم لسنة ١٩٦٢م، تمثل كل نقطة أمة واحدة.

المصدر: مقتبس من بول (١٩٧٢م ص ٢٢١).

قد يكون الأمر أن الرخاء الاقتصادي يشجع على تقليل التبـاين اللغـوي. أو أن التوحد والرخاء الاقتصادي يعـزز كـل منهما الآخر. كمـا يجـب أن نتقبـل احتماليـة أن

يكون هناك سبب واحد لحقيقة وجود بلد واحد تجتمع فيه غالبا نسبة تعددية لغوية عالية ويكون في الوقت نفسه متخلفا اقتصاديا. فمثلا، من الممكن الجدل بأن كلا من التباين اللغوي والتخلف الاقتصادي من مخلفات الاستعمار. بالإضافة إلى ذلك، فمن الممكن جدا أن تكون البيانات المتوفرة رديئة النوعية ولا يمكن وضع الثقة في أي أنماط قد تنتج عنها. وسنعود لموضوع التعددية اللغوية وارتباطها بالنمو الاقتصادي مرة أخرى في الفصل الخامس كمثال على استخدام الطرق الإحصائية. ولكن ما تزال هناك علاقة أكيدة بين التوحد اللغوي والنمو الاقتصادي، وإن لم تكن علاقة سببية.

التعددية اللغوية للمجتمع كوسيلة

سنكون مجحفين حقا لو نظرنا إلى التعددية اللغوية للمجتمع كمشكلة فقط، ويمكن اعتبار التعددية اللغوية وسيلةً بطرق عديدة. أولا، قد تكون التعددية اللغوية حلا مؤقتا على الأقل للصراع بين القومية وتسيير أمور الدولة في السياسة اللغوية. فقد يكون استخدام كل من لغة المستعمر (لأسباب تسيير أمور الدولة) واللغة القومية (لأسباب قومية) كلغات رسمية للحكومة أحد الحلول للصراع بين القومية وتسيير أمور الدولة في هذا المستوى. وفي التعليم، قد يحل الصراع أحيانا بين استخدام لغات المجموعات العرقية كوسائل للتعليم لأسباب تسيير أمور الدولة بكفاءة، وبين استخدام اللغة القومية بدواعي الوحدة القومية عن طريق استخدام اللغات العرقية للتعليم الأولي ويتم التحول لاحقا في المراحل المتقدمة إلى التعليم باللغة القومية. وهذه، كما سنرى لاحقا في هذا الفصل، السياسة الرسمية في الهند. وقد تساهم هذه السياسة في الإبقاء على لغة الجماعة العرقية بالإضافة إلى اللغة القومية. وبذلك يستمر التباين، ولكن هذه النتيجة جزء من الحل.[٧]

وعلى المستوى الفردي، تخدم التعددية اللغوية كوسيلة للتفاعل بالنسبة

للمتحدث ذي التعددية اللغوية. وتميل نموذجيا المجتمعات متعددة اللغات إلى إعطاء مهام مختلفة للغات المختلفة أو الأشكال المختلفة من اللغة. فمثلا ، قد تستخدم عادة لغة ما كلغة المنزل مع الأصدقاء الحميمين ، بينما تستخدم لغة أخرى للتعامل مع المؤسسات الحكومية. ولنأخذ مثالا أبسط ، تخيل وجود صديقين يتمتعان بثنائية لغوية بنفس لغتي المنزل والحكومة ، وافترض أن أحدهما أيضا موظف حكومي محلي وأن لدى صديقه عملا رسميا معه. افترض أيضا أن لدى الموظف الحكومي نصيحتين يريد تقديمهما إلى صاحبه: الأولى مبنية على وضعه الرسمي كممثل للحكومة ، والأخرى مبنية على صداقتهما المتبادلة. فإذا قدم موظف الحكومة النصيحة الرسمية مستخدما لغة الحكومة ، والنصيحة الأخوية باستخدام لغة المنزل ، فإن هناك فرصة ضعيفة للخلط بين النصيحتين ، ولن يأخذ الصديق بالنصيحة المقدمة بلغة المنزل. ولكن لو تم ذلك في وضع مماثل أحادي اللغة ، فإنه من السهل فهم النصيحة الأخوية خطأً على أنها النصيحة الرسمية.

ويعطي عبد العزيز مخيلفي Abdulaziz Mkilifi (١٩٧٨) مثالا أكثر دقة عن الاستخدام اللغوي أثناء نقاش يدور بين زوجين ذوي ثنائية لغوية يتحدثان اللغتين السواحيلية والإنجليزية في تنزانيا. فالزوج يستخدم السواحيلية ، بينما تجادل زوجته باللغة الإنجليزية. والتفسير الذي يعتقده عبد العزيز مخيلفي هو أن السواحيلية رمز للعلاقة التقليدية والأكثر وضوحا بين الأزواج والزوجات ، بينما ترتبط الإنجليزية بأدوار أقل تقليدية وأكثر تقاربية. فالزوج باستخدامه السواحيلية ، يعكس دوره التقليدي دون أن يقول كلمة واحدة بهذا الخصوص ، وفي الوقت نفسه تعكس الزوجة دورها الذي يظهر خضوعا أقل فقط بمجرد اختيارها الإنجليزية.

وانظر إلى هذه الأمثلة على أنها تعني ما يقوله سوثورث Southworth (١٩٧٧م ، ص ٢٢٤) المذكور في ابت Apte (١٩٧٦م ، ص ٩٢٧) حين قال: "إن

الأفراد ذوي ثنائية لغوية يظهرون وظائف لعدم التجانس اللغوي، والتي من المحتمل على الأقل أن تتجاوز الإمكانيات التعبيرية المتاحة لأصحاب اللغة الواحدة."

وبالإضافة إلى كون التعددية اللغوية حلا للصراعات حول سياسة تسيير أمور الدولة- القومية ووسيلة للتفاعل الفردي. فإنها تساهم في خلق مجتمع أكثر دينامية. فيمكن البرهان على أن المجتمع ذا التعددية العرقية والتعددية اللغوية المصاحبة المحتملة هو مجتمع أغنى من الأمة التي تحكمها جماعة عرقية واحدة. فتعدد أنماط الحياة والنظرات المختلفة للعالم قد تجعل من تلك الأمة مكانا أكثر إثارة وتشويقا للعيش. فالوضع الأمثل من هذا المنظور هي الأمة ذات التعددية العرقية والتي تكون فيها المجتمعات الاجتماعية الثقافية مدركة هويتها الثقافية واللغوية على المستوى المحلي، ولكنها في الوقت ذاته تعتبر نفسها جزءا من الأمة ككل. وباختصار فالأمة أقرب إلى موقع الأمة ذات التعددية العرقية في المتصل أكثر من موقع الدولة ذات القوميات المتعددة.

كيف تنشأ الأمم ذات التعددية اللغوية

من المستحيل فهم التعددية اللغوية للمجتمع بشكلٍ كامل دون فهم شيء من النماذج التاريخية التي أدت إلى وجودها. ويمكن تمييز أربعة من هذه النماذج بالرغم من أنها ليست خاصة بنمط واحد دون الآخر. فالحالات التي سوف أذكرها كأمثلة على أحد النماذج قد تؤخذ أيضا وبشكلٍ مبرر على أنها أمثلة لنموذج آخر. وبالإضافة إلى ذلك فإن أي مجتمع لا على التعيين ذي تعددية لغوية محل النقاش يكون في العادة مثالا لأكثر من نموذج من هذه النماذج التاريخية في الوقت نفسه. وهذه النماذج هي (١) الهجرة، (٢) "الإمبريالية"، (٣) الائتلاف، (٤) التعددية اللغوية في مناطق الحدود.

الهجرة

يمكن تقسيم الهجرة إلى نوعين رئيسين، ففي النوع الأول توسع جماعة كبيرة إقليمها بالتحرك إلى مناطق مجاورة مسيطرة في الوقت نفسه على مجموعات اجتماعية ثقافية أصغر كانت موجودة من قبل. وفي آخر المطاف ستعتنق بعض الشعوب الأصلية قومية الجماعة الكبيرة وتتمثلها لغويا وثقافيا بدرجات متفاوتة. بينما يحافظ الآخرون على قوميتهم الأصلية، ويشكلون بذلك عقبة في وجه الأمة المحكومة بالقومية الغالبة. فالكتلونيون في إسبانيا والبريتونز في فرنسا مثالان على القوميات غير المتماثلة كليًا. وفي الولايات المتحدة الأمريكية يمكن النظر إلى الهجرة الغربية لسلالات المستعمرين البريطانيين بعد الاستقلال على أنها مثال لهذا النوع من الهجرة، والتي ابتلعت في طريقها مختلف الثقافات الأمريكية الأصلية. وقد اندمجت بعض المجموعات الأمريكية الأصلية لغويا، إن لم يكن ثقافيا، بينما لم يندمج بعضها الآخر، وهذا مبعثه فقط أن تلك الجماعات كانت صغيرة لدرجة أن طموحاتها القومية لم تعد ملحوظة.

ويحدث النوع الآخر للهجرة عندما ينتقل عدد قليل من الأفراد من جماعة عرقية ما إلى إقليم تسيطر عليه قومية أخرى. وبالطبع يصل المهاجرون وهم يتحدثون لغاتهم الأصلية، وهذا يضيف للتعددية اللغوية للأمة المضيفة. وأفضل مثال لهذا النوع من الهجرة هي الولايات المتحدة الأمريكية التي هاجر إليها صينيون وأوروبيون في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والهجرة الأحدث من بلدان الصين الهندية، وكوريا، وكوبا، وهيتي.[٨] أمثلة أخرى تشمل الهجرة إلى بريطانيا من أمم الكومنولث، وهجرة "الضيوف العمال" إلى ألمانيا وسويسرا. وقد لاحظ لبرسون وآخرون Lieberson et al (١٩٧٥م) أن تجربة الولايات المتحدة بمجملها قد اشتملت على تماثل لغوي سريع نسبيا للمجموعات المهاجرة، بينما حافظت المجموعات الاجتماعية الثقافية التي كانت تحكمها أغلبية ساحقة من المجموعات المهاجرة، مثل

التشيكانوز، والأكاديين الفرنسيين ، وبعض مجموعات الأمريكيين الأصليين، على لغاتها لفترة أطول. ولكن هناك استثناءات لكل من هذين الاتجاهين، ومن الخطر التعميم.

الإمبريالية

الإمبريالية كلمة تحمل الكثير، وكنت أفضّل استخدام مصطلح حيادي لما أريد التحدث عنه. ولكنني لم أستطع العثور عليه. والأنواع الفرعية التي تندرج تحت الإمبريالية هي: الاستعمار، والضم، والإمبريالية الاقتصادية. وتختلف الإمبريالية عن هجرة الجماعة الكبيرة في أمور نسبية فقط. ففي هجرة الجماعة الكبيرة تنتقل أعداد كبيرة نسبيا من الناس من قومية معينة إلى أراضٍ جغرافية مجاورة وتسيطر عليها. أما في العمليات الامبرالية فالسيطرة تتم بواسطة قلة من الناس ممن ينتمون إلى القومية المسيطرة ، والتي تأخذ مكان إقامتها فعليا في المنطقة الجديدة. فالاستعمار والضم نوعان للإمبريالية يختلفان فيما يبدو لي في ما إذا كان على الناس عبور محيط للقيام بهذه المهمة.(٩) ولقد أصبح هذان النوعان من الإمبريالية أقل شيوعا بمرور الوقت. ومثال حديث للضم هو ابتلاع الاتحاد السوفيتي لجمهوريات البلطيق (لثيوينيا، ولاتيفيا، واستونيا) بعد الحرب العالمية الثانية. ونود القول في حالة لاتيفا واستونيا إنهما حالة هجرة جماعة كبيرة ، فقد ذكر لويس (١٩٧٢ أ م) أن ٢٦٪ و ٢٠٪ بالترتيب من السكان كانوا من الروس في عام ١٩٥٩.(١٠) أما في لثيوينيا فإن نسبة الروس كانت ٨٪ فقط من مجموع السكان في عام ١٩٥٩م (لويس أ ١٩٧٢م، ص٣٣٠) وبالطبع فالاستعمار قد يمثل بأي عدد من المستعمرات السابقة لبريطانيا، وفرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وهولندا في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، والتي نالت معظمها استقلالها في هذا القرن.

وفي الإمبريالية الاقتصادية تأخذ لغة أجنبية طريقها إلى بلد ما دون أن تكون للقومية المصاحبة أي سيطرة سياسية، وجزء من سبب ذلك هي الميزة الاقتصادية المصاحبة لها (فيشمن وآخرون ، ١٩٧٧م). ومثال جيد على ذلك هو استخدام الإنجليزية في تايلاند، وهي البلد التي لم تكن مستعمرة لأي بلد يتحدث الإنجليزية، ولكنها حاولت رغم ذلك تدريس الإنجليزية لشريحة كبيرة من سكانها (أكسورنكول Aksornkool ، ١٩٨٠م).

ولجميع هذه الأشكال الثلاثة التي أسميتها الإمبريالية أثر في تقديم لغة البلدان المستعمرة للمجتمعات الأخرى. وبالرغم من حقيقة الأمر أن أناسا قليلين نسبيا من الأمة المستعمرة تختار مكان إقامتها في الأراضي المُخْضَعة، إلا أن لغتهم تصبح في نهاية المطاف ذات أهمية كبرى. وفي الضم والاستعمار، فمن المرجح أن تستخدم لغة المستعمر في الحكومة والتعليم. أما في الإمبريالية الاقتصادية، فتصبح لغة المستعمر ضرورية للتجارة والدبلوماسية الدوليين . وللضم وخاصة الاستعمار أثر إضافي على التعددية اللغوية وهو الائتلاف الإجباري.

الائتلاف

الائتلاف هو النموذج التاريخي الثالث المساهم في نشأة التعددية اللغوية. وأقصد بالائتلاف اتحاد مجموعات عرقية مختلفة، أو قوميات تحت سيطرة سياسية لدولة واحدة. وقد يكون الائتلاف إجباريا أو طوعيا. وحالات الائتلاف الاختياري نادرة، وأفضل مثال له هي سويسرا، والتي يوجد فيها اتحاد من الدول تسمى الكانتونات، والتي دخلت في الائتلاف طوعيا. وتوجد في سويسرا أربع لغات لها مكانة رسمية، هي: الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والرومانش، بالرغم من عدم وجود متحدثين عدة للرومانش . ويمكن اعتبار بلجيكا مثالا آخر على ذلك. فبلجيكا بلد تتكون من

مجموعتين لغويتين رئيستين، هما: متحدثو الفرنسية، الوالونز في الجزء الجنوبي من البلاد، والفليمش في الشمال. ويتحدث الفليمشون لغة تحمل نفس اسمهم، وهي شبيهة باللغة الهولندية. وعندما استقلت بلجيكا في عام ١٨٣٠م، فقد كان الصفوة من الفليمش يتحدثون الفرنسية، ولم تكن في ذلك الوقت القومية الفلميشية أو لغتها الرمزية قد نشأت بعد. وفي هذا القرن زاد الشعور بالقومية الفليمشية بشكلٍ كبير مسببا قلقا كبيرا في بلجيكا (لاروين Lorwin ١٩٧٢م). وهكذا فقد مرت بلجيكا بالضغوط نفسها التي تمر بها بلدان الائتلاف الاجباري، بالرغم من أن ائتلافها تاريخيا كان غير إجباري.

الكاميرون مثال آخر للائتلاف التطوعي، ولكن فقط من حيث إنها ائتلاف بين مستعمرتين، فرنسية وبريطانية، سابقتين. وحقيقة استخدام كل من الفرنسية والإنجليزية في الكاميرون هي ناتج عن ذلك الائتلاف. وفيما يخص اللغات الأصلية في الكاميرون، فإن تعدديتها اللغوية كما هو الحال في المستعمرات السابقة ناتج عن الائتلاف الإجباري.

وأقصد بالائتلاف الإجباري قبل كل شيء أثر الاستعمار الأوروبي في أفريقيا وآسيا وإلى درجة أقل في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية. وكثير من الدول ذات التعددية اللغوية التي ائتلفت بالقوة نشأت وسقطت في أوروبا خلال التاريخ وما زالت آثار اللغوية الاجتماعية لبعضها قائمة حتى اليوم، ولكننا سنركز اهتمامنا على الحالات الأكثر حداثة للاستعمار. فقد رسمت الحدود بين المستعمرات الأوروبية بشكلٍ كبير على أسس لا علاقة لها بالروابط العرقية للشعوب المستعمرة. ونتيجة لذلك، فإن الكثير من المستعمرات قد دمجت جماعات اجتماعية ثقافية ولغوية تحت لواء إدارة واحدة، والتي لم يكن لها حكومة واحدة قبل ذلك، والتي إن تركت بمفردها لما أصبحت جزءا من أمة واحدة مطلقا. والنتيجة الواقعية هي ائتلاف

مجموعات اجتماعية ثقافية عديدة ليس لها رأي في هذه المسألة. وعندما تنال المستعمرة السابقة استقلالها فإن الدولة الجديدة تبقى دولة ائتلافية. وأحيانا قد تحاول القومية الموحدة إجباريا الانسحاب من هذا الائتلاف، كما حاولت بيفرا الانفصال عن نيجيريا، وكتنقا عن زائير، وبنجلاديش عن باكستان، ولم تنجح في الانفصال إلا بنجلاديش. ولذا تصبح مهمة الأمة الجديدة تطوير المجتمع الذي يعد أمة ذات تعددية عرقية أكثر من كونه دولة ذات تعددية قومية. وتنعكس هذه الضرورة في السياسة اللغوية. ولذا فمعظم المستعمرات الأوروبية السابقة هي أمثلة للإمبريالية والائتلاف الإجباري.

المناطق الحدودية

ويتعلق المنشأ التاريخي الرابع للتعددية اللغوية بالمناطق الحدودية. ولا بد لكل دولة أن يكون لها حدود جغرافية محددة بشكلٍ منطقي حتى تتمكن مثلا من معرفة ممّن تستطيع جباية الضرائب، وما هي المناطق الملتزمة بالدفاع عنها عسكريا، وأين يكون من واجبها تقديم الخدمات الحكومية. ولكن لا تختار دائما المجموعات الاجتماعية الثقافية أماكن إقامتها من أجل تسهيل عملية رسم الحدود السياسية. ونتيجة لذلك نجد في مناطق عديدة قريبة من الحدود بين البلدان مواطنين للدولة الأولى، ولكنهم أفراد لجماعة اجتماعية ثقافية موجودة في الدولة الأخرى. ومثال من بين العديد من الأمثلة لهذه الظاهرة، هو وجود متحدثين للفرنسية في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية الذين يعيشون في الولايات المتحدة، ولكنهم أقرب عرقيا للمواطنين الكنديين في مقاطعة كويبك.

وترتبط إحدى التعقيدات المتعلقة بالمناطق الحدودية بغنائم الحرب. فالأمة التي تخسر الحرب غالبا ما تجبر على التخلي عن أراضٍ للبلدان المجاورة المنتصرة. وتكون

هذه المناطق أحيانا لجماعات عرقية متعددة أو قوميات متعددة، والتي تتنازع عليها البلدان المجاورة لزمن طويل، قبل أن ينتهي بها المطاف لتكون جزءا من أي بلد كان فائزاً في أحدث حرب. ومثال على ذلك الألزاس واللورين. فهاتان المنطقتان يسكنهما متحدثون لأشكال من الألمانية والفرنسية، حيث كانت هاتان المنطقتان جزأين من ألمانيا وفرنسا خلال تاريخهما. والآن فإن الألزاس واللورين جزء من فرنسا، إلا أن السكان الذين يتكلمون الألمانية يساهمون في خلق التعددية اللغوية في ذلك البلد.

وهناك حالة أمريكية من الممكن النظر إليها من خلال منظور أي من النماذج الأربعة، وهذه الحالة هي حيازة الولايات المتحدة أراضيَ شاسعة في الجنوب الغربي منها عن طريق تنازل المكسيك عنها في أعقاب الحرب المكسيكية الأمريكية في عام ١٨٤٨م. ويمكن أخذ هذا مثالا على تحويل منطقة حدودية ذات تعددية عرقية كنتيجة للحرب. أو أنه من السهل البرهان على أنها في الواقع حالة من نموذج الضم الإمبريالي من جانب الولايات المتحدة. كما يمكن اعتبارها حالة هجرة جماعة كبيرة إذا ما نظرنا إلى أن المصالح الأمريكية في المنطقة جاءت نتيجة لانتقال الأمريكيين للعيش فيها. أما فيما يخص المجموعات المختلفة من الأمريكيين الأصليين في الجنوب الغربي فإنها حالة ائتلاف إجباري. وأوضح هنا هذا الغموض لتأكيد حقيقة الأمر، وهي أنه لا يجب النظر إلى النماذج التاريخية الأربعة على أنها فئات صارمة، بحيث يصبح كل مجتمع متعدد اللغات مثالا على نموذج واحد فقط دون غيره من بقية النماذج. ولكنها في المقابل خيوط متشابكة تاريخيا يصعب التمييز فيما بينها، كما هو الحال في نموذجي الضم والهجرة الجماعية الكبيرة. بالإضافة إلى ما سبق، فإن اثنين أو أكثر من هذه الخيوط المتشابكة عادة ما تتقارب في تاريخ بعض المجتمعات الخاصة أو البلدان المعينة.

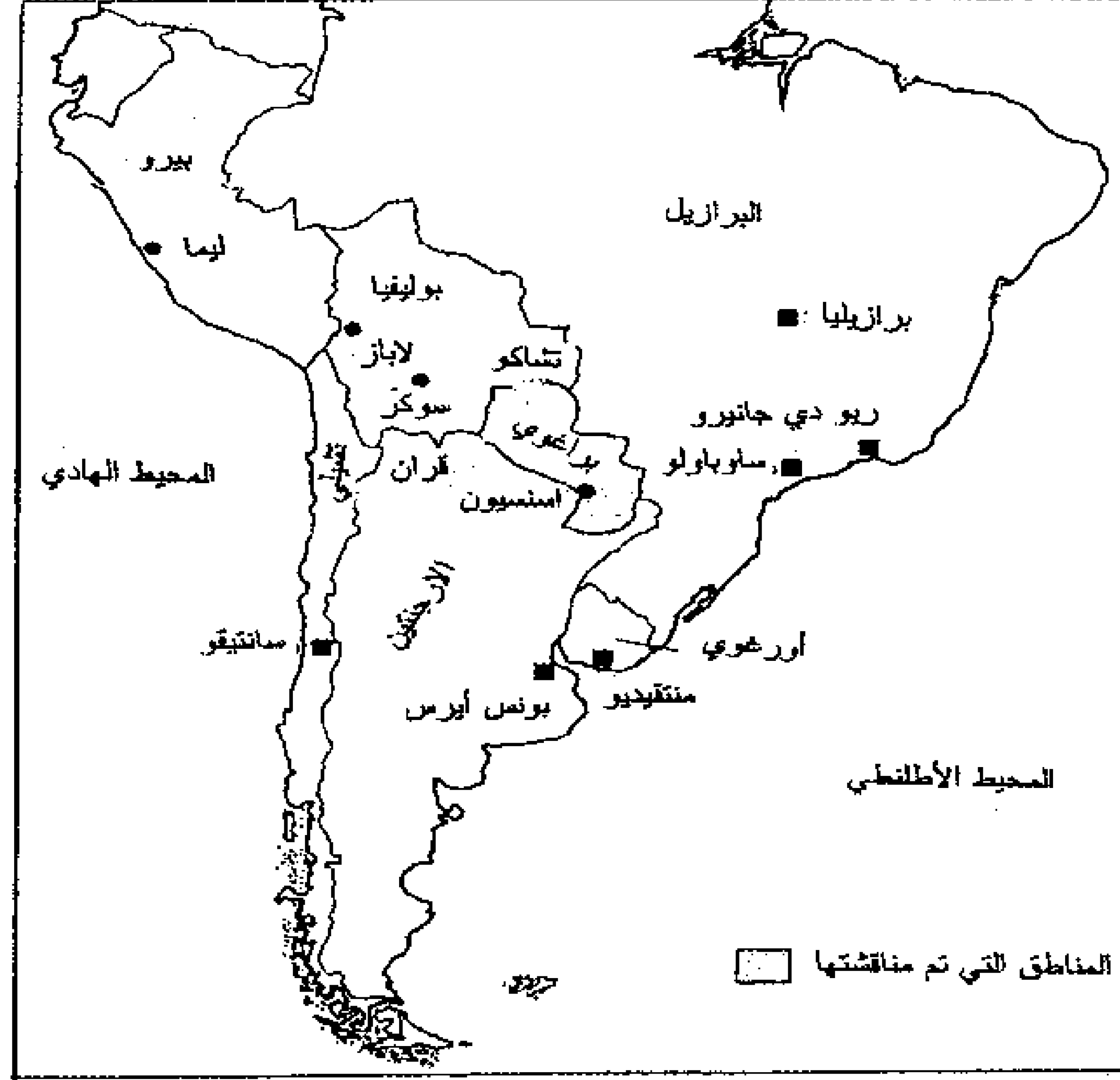
وبعد تقديم ما سبق من نقاش كخلفية للموضوع، فإننا سننظر الآن إلى براغوي والهند كمثالين على الكيانات ذات التعددية اللغوية.

براغوي

لمحة خلفية

براغوي بلد لا يطل على بحار، يقع في وسط أمريكا الجنوبية (انظر الخريطة رقم ١و١). ولبراغوي تاريخ ذو صبغات مختلفة، يشمل الاستعمار الأوروبي ودرجات متفاوتة من الاستقلال عن إسبانيا وبلدان أمريكا الجنوبية المجاورة، وحروب مدمرة مع جيرانها. ومثل جميع البلدان الواقعة في النصف الغربي من الكرة الأرضية، فإن جزءا من التعددية اللغوية في براغوي مرجعه إلى الاستعمار، والائتلاف الإجباري للسكان الأصليين. ولكن هناك فرقا في حالة براغوي يجعلها متميزة عن باقي البلدان في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وربما عن بقية بلدان العالم. فقد بدأ المستعمرون الإسبان وسلالاتهم في بداية القرن السادس عشر الميلادي بتبني إحدى لغات الأمريكيين الأصليين واستخدامها، وهي قوارني. وكانت النتيجة أنه في عام ١٩٥٠م كانت نسبة سكان براغوي ممن يتحدثون قوارني نحو ٩٥٪، وهذه النسبة أكبر بكثير ممن ادعوا أنهم يعرفون الإسبانية (رونا Rona، ١٩٦٦م، روبين Rubin، ١٩٧٨م). ولا يوجد في أي بلد من العالم الجديد أن تبنت لغة أصلية بهذا الشكل.

إذا فأهم أمر لغوي في براغوي يشمل العلاقة بين قوارني والإسبانية، ولكن هناك مصدرين آخرين ثانويين للتباين اللغوي في براغوي، أولهما هجرة الجماعة الصغيرة، وهذا في الأغلب يقصد به المينونايتز الذين أسسوا مستعمرات تتمتع بحكم شبه ذاتي في النصف الغربي من البلاد، بالإضافة إلى مهاجرين آخرين من الألمان والسلافيكيين واليابانيين. أما المصدر الآخر فهو نتيجة للائتلاف الإجباري لمجموعات اجتماعية ثقافية غير مندمجة من السكان الأصليين والذين مثل المنيونايتز، يعيشون بشكلٍ كبير في منطقة تشاكو الغربية (كلين وستارك Klein & Stark، ١٩٧٧م). وسنقول المزيد عن لغات الهنود في تشاكو فيما بعد.



الخريطة رقم (١,١). براغوي، وتظهر منطقة هنود تشاكو.

أنماط الثنائية اللغوية

تستخدم الإسبانية في براغوي لغة للحكومة. وحتى عهد قريب جدا كانت هي اللغة الوحيدة المستخدمة في التعليم في مدارس الدولة. ويدعي أغلبية السكان في المناطق الحضرية أنهم يعرفون الإسبانية أساسا كلغة ثانية. وطبقا لبيانات الإحصاء السكاني في عام ١٩٥٠م والذي أورده رونا Rona (١٩٦٦م ، ص ٢٨٤)، فإن ٨٩,١٪ من سكان العاصمة اسانسيون يعرفون الإسبانية. وكان جزء كبير منهم (٧٦,١٪ من سكان المدينة) ذا ثنائية لغوية، هي: الإسبانية وقوارني.[١١] وتختلف الصورة تماما في المناطق الريفية. فقد أشارت بيانات الإحصاء السكاني خارج العاصمة أن ٤٥,٨٪ قد ذكروا أنهم لا يعرفون إلا لغة قوارني، بينما بين ٤٩,٥٪ أنهم ذوو ثنائية لغوية.[١٢] لكن رونا يعتقد أن نسبة أحادي اللغة مبالغ فيها حتى بتلك النسبة المذكورة. فقد ذكر أن وسائل النقل والاتصال في براغوي في عام ١٩٥٠م كانت رديئة جدا، والنتيجة الحتمية لذلك هي أن بعض المناطق المعزولة لم يتم الوصول إليها،

وهذه هي المناطق التي يتحدث فيها السكان قوارني فقط. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن معظم سكان المناطق الريفيـة الذين أخبروا موظفي الإحصاء السكاني أنهم يعرفون الإسبانية هم في الواقع لا يعرفون أكثر من بضع كلمات منها.

وبأخذ هذين العاملين في الحسبان، فقد قدر رونا أن أقل من نصف مجموع السكان في براغوي يعرفون الإسبانية حقا، وأن أقل من ٤٠٪ هم بالفعل ذوو ثنائية لغوية. وفي المناطق الريفية فإن معرفة الإسبانية وثنائية اللغة ستكون أقل من ذلك بكثير. وباستثناء اسانسيون فإن بيانات الإحصاء السكاني في براغوي تعطى فقط بالمقاطعة (تقابل تقريبا الولايات في أمريكا). وتشمل المقاطعات كلا من المناطق الريفية والحضرية، وكما هو معلوم فإن معرفة الإسبانية شائعة في الحضر أكثر منها في الريف. وباستخدام بيانات من مقاطعة كاقوزو، والتي تشتمل على بلدتين رئيستين، فقد قدر رونا (١٩٦٦م، ص ٢٨٥) أنه إذا كان ٦٠٪ من البلدتين يتحدثون الإسبانية (مقارنة بما يزيد على ٨٩٪ في اسانسيون) فلن يكون هناك أحد يتحدث الإسبانية في المناطق الريفية في تلك المقاطعة. ويبدو أن تقدير رونا صحيح. فقد أورد روبن (١٩٧٨، ص ١٨٩) أن نسبة أحادية اللغة بلغة قوارني الموردة خارج اسانسيون قد ارتفعت من ٤٥,٨٪ في الإحصاء السكاني عام ١٩٥٩م إلى ما يزيد على ٥٢٪ في إحصاء عام ١٩٦٢م. وهذا يفترض أن مناطق معزولة أكثر قد شملها إحصاء عام ١٩٦٢م.[١٣] والصورة اللغوية التي نحصل عليها لبراغوي هي أنها أمة يوجد فيها القليل ممن يتحدثون الإسبانية فقط، ومعرفة شبه عامة بلغة قوارني، وثنائية لغة بين اللغتين كبيرة في المناطق الحضرية وخاصة العاصمة، وأحادية لغة بلغة قوارني في المناطق الريفية.

المواقف اللغوية

شعور الناس تجاه اللغتين الرئيستين عامل مهم في براغوي. ولكن اتضح أن

الشعور متناقض. فمن جهة تقوم لغة قوارني بوظائف التوحيد والفصل التي ذكرها قارفن وماثيوت (وهي وظائف "الهوية المتباينة" نفسها عند فيشمن)، وفي الواقع فقد كانت قوارني هي اللغة التي استخدماها لشرح هاتين الوظيفتين (قارفن وماثيوت، ١٩٥٦م، ورونا ١٩٦٦ : ص ٢٨٦). ويبدو أن الشعور السائد هو أن من لا يعرف قوارني ليس من مواطني براغوي الحقيقيين (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٢). وهذا يعني إبعاد مهاجري المجموعات الصغيرة، ومن لم يندمج مع المجتمع من الهنود، ومن يتحدثون الإسبانية فقط. ويعتقد البراغويون أن قوارني قادرة بشكل خاص على التعبير عن الأفكار المجردة وأنها لغة عظيمة (رونا، ١٩٦٦م، ص٢٨٧-٨). ومن جهة أخرى، يعتقد البراغويون ممن يعيشون في المناطق الحضرية أن براغوي لن تتقدم حتى تصبح المعرفة بالإسبانية أكثر شيوعا. ويترفع الأفراد ذوو الثنائية اللغوية على من لا يعرفون إلا لغة قوارني الذين يرون أنفسهم أغبياء؛ لأنهم لا يتحدثون الإسبانية (روبين، ١٩٧٨م، ص ٤٧٩). ولدى غالبية البراغويين شعور مزعج بأن اللغة القورانية غير جديرة بالاحترام تماما لمجرد كونها لغة هندية. ولدى معظم البراغويين إحساس عميق بالحب للغتهم، لأنهم يريدون أن يكونوا فخورين بها، وهم في الواقع كذلك. ولكن هناك شعور خفي بالقلق من ذلك وإحساس بأن الإسبانية هي حقا لغة أفضل وأكثر روعة.

وفيما يخص المنزلة الاجتماعية للغتين، فإن هذه الأحاسيس تجاههما تتفاعل بطريقة معقدة. وببساطة فقوارني مطلب سابق لأن يكون المرء براغويا أصيلا، ولكنها لا تحمل أي منزلة خاصة داخل الأمة. وتستخدم الإسبانية للوظائف العليا في المجتمع، ولذا فهي تعطي منزلة اجتماعية راقية لمن يتحدثها بالإضافة إلى لغة قوارني. "أما من يتحدثون الإسبانية فقط، فليس لهم أي مرتبة اجتماعية على الإطلاق" (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٦).

الصراعات بين القومية وتسيير أمور الدولة في الحكومة والتعليم

لم يكن هناك اعتراف رسمي بأي لغة إلا الإسبانية حتى عام ١٩٦٧م. وفي عام ١٩٦٧م عُدِّل الدستور لُيعترف بكلٍ من الإسبانية وقوارني كلغات قومية، والإسبانية فقط كلغة رسمية (روبن، ١٩٧٨ م، ص ١٩١). ويبدو أن الغلبة في اختيار لغة الحكومة كانت للاهتمامات بتسيير أمور الدولة . وقد بقيت لغة المستعمر في مكانها فيما يخص هذه الوظيفة. ومن الواضح أنه لا يمكن استخدام قوارني، وهي الرمز اللغوي للقومية، كلغة رسمية للحكومة بسبب النقص في تطور مفرداتها التقنية (أعطى رونا ١٩٦٦ أدلة على ذلك). ومهما يكن فقد استقلت براغوي عن إسبانيا منذ ما يقارب المائة وخمسين عاما، ولا ينظر لاستخدام الإسبانية على أنه تهديد للقومية، ولا تبدو هناك أي رغبة ملحّة لتبني قوارني كلغة رسمية للحكومة. ويبدو أن براغوي مثال تقليدي لقيمة حل التعددية اللغوية للصراعات بين القومية وتسيير أمور الدولة ، فقوارني يمكن أن تفيد كلغة قومية (طبقا لمفهوم فيشمن) بينما سمح للإسبانية بخدمة أهداف الدولة.

ومن غير الواضح بشكلٍ مباشر سبب وجود صراع بين القومية و تسيير أمور الدولة فيما يخص حقل التعليم. ومن الوهلة الأولى يبدو أن قوارني هي الخيار الأمثل كلغة تعليم في كلا الصعيدين. فاستخدام قوارني كلغة تعليم سيقوي القيمة الرمزية للغة القومية، وبذا يخدم أهداف القومية. وبما أن نحو ٩٥٪ من السكان يتحدثون قوارني بينما يتحدث أقل من نصفهم الإسبانية، فيبدو أن مهمة تعليم الأطفال ستسير بشكلٍ أفضل لو استخدمت قوارني كلغة للتعليم. أما واقع الأمر فإن الإسبانية كانت دائما اللغة الوحيدة للتعليم في براغوي، ولم يكن من المسموح إطلاقا استخدام قوارني في الصفوف الدراسية حتى عام ١٩٧٣م (روبن ١٩٧٨، ص ١٩١). فقد كان الأطفال يجبرون على عدم استخدام قوارني، ليس فقط في الصفوف الدراسية ولكن

أيضا في الملاعب، وأحيانا يكون الجلد هو العقاب لمن يخالف ذلك (روبن أ ١٩٦٨م، ص ٤٨٠، ١٩٧٨، ص ص ١٩٠-١٩١). وقد رسم روبن صورة متجهمة لأثر هذه السياسة وخاصة في المناطق الريفية، تمثل بعض منها في اكتساب بطئ وغير جيد للإسبانية، ومعدل كبير لعدم إكمال التعليم، وعدد مذهل من الطلاب ممن يرسبون ويعيدون السنة الدراسية.(١٤)

وإذا كانت الاعتبارات القومية تفرض استخدام قوارني والاهتمامات العملية لتسيير أمور الدولة لم تُحقّق باستخدام الإسبانية كلغة للتعليم، فلماذا استمرت سياسية التعليم باللغة الإسبانية فقط؟ وحقا فلماذا استخدمت منذ البداية؟ وحتى نجيب على هذه التساؤلات دعنا نأخذ الاعتبارات القومية والمتعلقة بأمور الدولة كلا على حدة. فيما يتعلق بالاهتمامات القومية، فقوارني لم تكن ولن تكون بحاجة إلى دعم من النظام التعليمي كلغة قومية، فقد أسِّست بشكلٍ راسخ كلغة قومية فريدة حتى قبل الاستقلال. ومسألة استخدام نظام التعليم لتعليم الناس لغتهم القومية لم تكن ببساطة موضع نقاش. وعلى صعيد تسيير أمور الدولة، وعلى الرغم من أنه يبدو أن الأطفال سيتعلمون بشكلٍ أفضل إذا استخدم المدرسون لغة يستطيعون فهمها، وعلى الرغم من أن تجربة براغوي بينت أن استخدام الإسبانية كلغة تعليمية لم يكن عمليا، فإن الأمر لم يؤخذ بهذا الشكل. فقوارني ببساطة لم ينظر إليها ولا ينظر إليها الآن بدرجة كبيرة على أنها لغة مناسبة للمهمة النبيلة المتمثلة بتعليم أطفال الأمة. وعلى المستوى العملي، فهناك نقص في المادة التعليمية المكتوبة بالقوارني، وفي المدرسين القادرين على استخدامها.

ونخلص إلى أن قوارني لم تستخدم كلغة تعليم في براغوي؛ لأنها لم تكن محتاجة لدعم نظام التعليم في وظيفتها القومية، ولم ينظر إليها كلغة مناسبة لهدف تسيير أمور الدولة المتمثل بتعليم فعال. ومن هذا المنظور، وهو على العكس تماما مما

ورد في مناقشتنا السابقة ، فإن الإسبانية هي الاختيار الواضح كلغة تعليم.

وهذه ليست كل الحكاية، فمن الممكن القول بأن قوارني لم تطور بشكلٍ كاف للتعليم العالي أو حتى الثانوي (وإذا كانت أم لم تكن ، فمن المستبعد أن البراغويين يعتقدون أنها كذلك). ولكن ربما من الممكن إقناع البراغويين أن من الأفضل استخدام قوارني للتعليم الابتدائي، وفي نفس الوقت تعليم الإسبانية كلغة ثانية، وبعد ذلك يُتَحول إلى الإسبانية كلغة تعليم. وقد اتخذت الحكومة بعض الإجراءات في هذا الاتجاه. ففي عام ١٩٧٣م بدأت وزارة التربية باستخدام منهج جديد يسمح باستخدام قوارني، ويشجع على استخدامها في التعليم الابتدائي، طريقة لتسهيل الانتقال لاستخدام الإسبانية (روبن، ١٩٧٨م، ص ١٩١-٢). ولقد اتخذت بعض الخطوات الملموسة في سبيل تنفيذ نهج التعليم ثنائي اللغة، ولقد أوضح روبن بعض الأمور الواجب نقاشها إذا ما أريد للبرنامج النجاح، ولكن الاستخدام الأولي لقوارني لا يضر بالأهداف القومية. وإذا ثبت أن استخدامها عملي من وجهة نظر تسيير أمور الدولة، فإن الوضع في براغوي سيسير إلى الأفضل.

هنود تشاكو(١٥)

سيكون من الممتع والمفيد، النظر عن كثب إلى التعددية اللغوية الثانوية في براغوي، والتي كانت نتيجة الائتلاف الإجباري. ومن الممكن النظر إلى براغوي على أنها تتكون من جزأين رئيسين، هما: الجزء الشرقي ويعرف بالشرق؛ والجزء الغربي ويعرف بالتشاكو (انظر خريطة١.١). فالتشاكو منطقة غير كثيفة السكان، فهي تشغل ٦٠٪ من المساحة الجغرافية للأمة، ولكن يسكنها نحو ٣٪ من سكان براغوي (كلين وستارك، ١٩٧٧م). والتشاكو موطن معظم الجماعات العرقية من الهنود البراغويين غير المندمجين. ولاحظ كلين وستارك وجود ١٣ لغة في خمس مجموعات لغوية

يتحدثها نحو ٢٤,٠٠٠ نسمة. وهذا يعني أن عددا كبيرا من اللغات يتحدثها قليل من الناس، وصحيح أن هناك درجة كبيرة من التباين اللغوي بين هنود التشاكو. ومن جهة أخرى، فبعض هذه اللغات مرتبطة ببعضها بشكلٍ كبير، ومن الممكن لمتحدثي اللغات الأخرى فهمها بدرجات متفاوتة. واللغات الخمس من عائلة ماسكوي يفهمها متحدثو هذه اللغات فيما بينهم إلى حد ما، وجميعها يسميها متحدثوها بالإنلهت أو الإننلهت.

وعموما فقد أجبر الهنود على التخلي عن اقتصادهم التقليدي، والمعتمد على صيد الأسماك، والصيد، وقطف الثمار، ومحاولة العثور على أماكن لهم في الاقتصاد الوطني لبراغوي. وقد كان بعضهم قادرا على المساهمة في كلا النظامين، وذلك بصيد الحيوانات البرية وبيع جلدها، ولكن هذا العمل تلاشى بسبب النمو الزراعي في تشاكو والقوانين الجديدة التي تحظر بيع جلود الحيوانات البرية. أما بعضهم الآخر، فقد عمل لأجيال في مصانع تصنيع المواد الكيماوية لمعالجة الجلود، ولكن هذه الصناعة قد تلاشت أيضا نتيجة للسبب نفسه. وأما الفرص المتبقية للعمل فتشمل في معظمها الاستخدام في المزارع كعمال زراعيين، وفي الأعمال الزراعية، وخاصة في مستعمرات ميونايتز شبه المستقلة ذاتيا في وسط تشاكو (شيء غريب أن نسبة كبيرة من الهنود يعملون عند الميونايتز)، وفي القواعد العسكرية. ويعيش بعض الهنود في مناطق تديرها جماعات تبشيرية نصرانية مختلفة، يقوم بعضهم بتعليم الهنود الأساليب الزراعية آملين أن يتمكنوا من تحقيق الاكتفاء الذاتي.

وتختلف الممارسة اللغوية بين هذه المجموعات الاجتماعية الثقافية بشكلٍ كبير، فمنهم من أبقى بنسبة ١٠٠٪ على لغة قبيلته، وتحول آخرون عنها تماما. ويعتمد مصير أي من هذه اللغات بشكل كبير على تاريخ متحدثيها الحديث وعلى قيمهم الثقافية. ومناقشة مقتضبة لمجموعتين من الهنود، هما الأنجاتي والتشولوبي، ستوضح هذه

النقطة.

يتحدث الأنجاتي واحدة من أشكال الماسكوي ، وقد عمل بعضهم ولأجيال في مصانع الكيماويات والتي وظفت أيضا هنودا آخرين يتحدثون أشكالا أخرى من الماسكوي. ونتيجة لذلك فقد حدث العديد من التزاوج بين هذه المجموعات . وبالرغم من أن هذه اللغات المختلفة مفهومة نوعا ما لهم، إلا أن الأزواج والزوجات ممن يتحدثون لغات مختلفة يستخدم قوارني فيما بينهم ومع أطفالهم. ويعمل البعض الآخر من الأنجاتي في مرابي الماشية أو في مزارع الميونايتز، ومثل عمال المصانع فإنهم يعتبرون قوارني لغة ذات منزلة رفيعة، ولذا فهم إما أن يتحدثوها مع أطفالهم وإما أن يشجعوهم على تعلمها من البراغويين الآخرين. ولم يحافظ على الأنجاتي كلغة تستخدم في المنزل إلا جماعة تكونت من ٢٥٠ فردا كانت تعيش في موقع إحدى الجماعات التبشيرية حيث كانوا يتعلمون الأساليب الزراعية، وباستثناء هذه الجماعة، فإنه يبدو أن الأنجاتي سوف يتحولون من استخدام لغتهم إلى استخدام قوارني بشكلٍ تام في غضون جيلين.

ويتحدث التشولوبي إحدى لغات مجموعة الماتاقويو، ويعتبرون أكثر جماعة عرقية تعتز بلغتها وثقافتها في تشاكو. وبالرغم من أن بعضهم قد أجبر على تعلم الإسبانية أو قوارني لأسباب التوظيف، إلا أنهم لا يتعلمونها بشكلٍ جيد ولا يخلطونها بلغتهم القبلية. وعلى العكس من الأنجاتي، فإن اللغة المستخدمة في المنزل هي دائما التشولوبي. وبمقارنتهم مع الأنجاتي، فإن هنود التشولوبي يبذلون جهدا كبيرا في فهم متحدث من إحدى لغات الماتاقويو الأخرى، دون أن يلجأوا لاستخدام قوارني كلغة اتصال. وهذا هو الواقع بالرغم من أن لغات الماتاقويو أقل شبها فيما بينها من لغات الماسكو. وفي مناطق عديدة، حيث يعيش التشولوبي، هناك برامج تعليمية ثنائية اللغة بالتشولوبي والإسبانية، وفي بعضها تستخدم مواد تعليمية طورها

الهنود أنفسهم. وفي فيلادلفيا، وهي إحدى البلدات الموجودة في المينونايت، يقوم الميونايتز بإدارة محطة إذاعية تبث بعض البرامج باللغات الهندية. وقد طلب التشولوبي إزالة جميع الكلمات المقترضة من الإسبانية من النشرات الإجبارية المذاعة بالتشولوبي، بحيث لا تسمع إلا لغة تشولوبية خالصة. ومن السهل تخمين أن التشولوبي سيبقون على لغتهم في المستقبل القريب.

ذكرت سابقا إمكانية استخدام عبارات فيمشن عن الإبقاء والتحول اللغويين أو المناصرة كمؤشر على ما إذا كانت الجماعة الاجتماعية الثقافية عرقية أكثر منها قومية. تذكر أن فيمشن ذكر أن القوميات تهتم شعوريا باستخدام ودعم وأصالة لغاتها. وهذا النمط يقابل الاستخدام اللاشعوري للغات والتخلي عنها دون اكتراث من قبل مجموعات عرقية ليست قوميات لمجموعات صغيرة. والنمط الأول ينطبق على التشولوبي. فهم يستخدمون بشكلٍ شعوري لغتهم الأصلية كلما أمكن ذلك، ويعلمونها أطفالهم في المنزل، ويدعمونها من خلال مشاركتهم النشطة في برامج التعليم ثنائي اللغة، كما أنهم يصونون أصالتها برفض استخدام كلمات مقترضة من الإسبانية أو قوارني. وعلى هذه المحّكات فهم مؤهلون ليكونوا قومية فرعية.

ومن جانب آخر، يبدو أن الأنجاتي ينظرون إلى لغاتهم على أنها ليست أكثر من أداة اتصال، وبمجرد أن يجدوا أن الأداة غير فعالة، حتى وإن كان المتحدث إليه يتحدث اللغة نفسها، فسيتخلى عنها دون اكتراث لصالح أداة أفضل، وهي لغة قوارني. فالأنجاتي على محك اللغة كرمز تعتبر جماعة عرقية وليست قومية.

وأخيرا، يجب علينا أن نذكر ولو باختصار عائلة التوبي-قوارني. فقد ميز كلين وستارك (١٩٧٧م) بين اثنتين منها، ويسميها متحدثوها قوارنيتي. وكلتاهما مرتبطة باللغة القومية، القوارني، وتسمى إحداهما أحيانا "بالقوارني القبلية"، وتختلف عن "قوارني البراغويية"، وهي اللغة القومية. واللغات القبلية شبيهة جدا لغويا باللغة

القومية، وقد تكون أشكالا أكثر محافظة من اللغة الأم. وبسبب التشابه اللغوي، فإن كل متحدثي التوبي - قوارني يتحولون سريعا للغة القومية. وإن كان مرجع ذلك التحول بشكلٍ كبير إلى القيم الثقافية.

هل براغوي أمة ذات تعددية عرقية، أو دولة ذات تعددية قومية؟

من الواضح أن براغوي تميل أكثر لأن تكون أمة ذات تعددية عرقية. فلها لغة قومية تتحدثها الغالبية العظمى من مواطنيها. وتؤدي قوارني الوظائف الرمزية للغة القومية، وخصوصا وظيفتي التوحيد والفصل. أما الإسبانية فتقوم بوظائف تسيير أمور الدولة، دون أن يكون لها خطر يهدد القومية. ومن الممكن أن تقوم قوارني جزئيا بإحدى وظائف تسيير أمور الدولة، وهي لغة التعليم، وهذا يضيف مزيدا من القوة للغة القومية. وقد تحسن علاوة على ذلك التعليم الأساسي. ولا تعتبر المجموعات المهاجرة مواطنين حقيقيين لبراغوي، ولا ينظر إليهم على أنهم خطر يهدد وحدة الأمة. ويتكون السكان الأصليون من كل من الجماعات العرقية كالإنمائي والقوميات الفرعية مثل التشولوبي. ولكن حتى الجماعات ذات الحس القومي الناشئ صغيرة جدا لدرجة أنها لا تشكل خطرا حقيقيا على الوحدة (مثلا، هناك فقط ٥٠٠٠ فرد من التشولوبي). وليس هناك أي شك في أن براغوي من بين الدول القومية الأصلية في العالم.

الهند

لمحة خلفية

الهند، أو عملاق علم اللغة الاجتماعي، واحدة من أكثر بلدان العالم في التعددية

اللغوية.(١٦) فلا أحد يعلم على وجه التحديد كم لغة تتحدث داخل حدودها، ولكن عددها يبلغ بضع مئات. فقد ذكر خوبتشانداني Khubchandani أن هناك "نحو ٢٠٠ لغة مصنفة" (١٩٧٨م، ص٥٥٣). أما قرايمز Grimes فقد أدرج ٣١٢ لغة في الهند (١٩٧٨م، ص ٢٦٦). وقد ذكر لي بيج Le Page ما مجموعه ٨٤٤ لغة، من بينها ٦٣ لغة "غير هندية". وقد ورد في الإحصاء السكاني الذي تم في عام ١٩٦١م ما مجموعه ١٦٥٢ "لغة ولهجة" (أبت Apte، ١٩٧٦م، ص ١٤١). ولكن هذا الرقم كبير جدا بشكلٍ غير معقول، ويعود السبب الرئيس لذلك إلى أنه شمل مئات من اللغات الأصلية التي يتحدثها أفراد قليلون جدا (كان هناك ٢١٠ لغة يتحدثها فرد واحد أو فردان فقط)، والسبب أيضا أن بعض اللغات قد أُدرجت أكثر من مرة تحت أسماء مختلفة قليلا(أبت، ١٩٧٦م، ص ١٤٢). ولكن العدد الحقيقي بكل تأكيد كبير جدا.

وكمستعمرة بريطانية نالت استقلالها عام ١٩٤٧م ، فنمط التعددية اللغوية في الهند اليوم مبعثه بشكلٍ رئيس إلى الآثار المعتادة للاستعمار والائتلاف الإجباري. وبالطبع فقد كان هناك تاريخ طويل من التعددية اللغوية في الهند حتى قبل أن تكون مستعمرة بريطانية.(١٧) ومهما تكن التنظيمات السياسية التي قد تنشأ، لو لم يكن هناك تدخل أوروبي، فليس هناك شك أنه سوف تنشأ قوميات وجماعات عرقية يحكمها آخرون. وقد يكون صحيحا أن من الممكن تجنب العديد من الصراعات الاجتماعية والسياسية التي واجهتها الهند بما فيها الصراع اللغوي، لو لم تكن مستعمرة.

وبالطبع فليس لمئات اللغات في الهند المنزلة نفسها. فقد اختيرت لغة الهندي، كما سنرى، كلغة قومية، وقد نص الدستور على ذلك. أما الإنجليزية فلم يرد ذكرها في الدستور، ولكنها في الواقع تستخدم كلغة حكومة على المستوى الاتحادي (الفيدرالي) وفي بعض الولايات. ولقد ورد في الملحق الثامن، وهو فقرة في الدستور

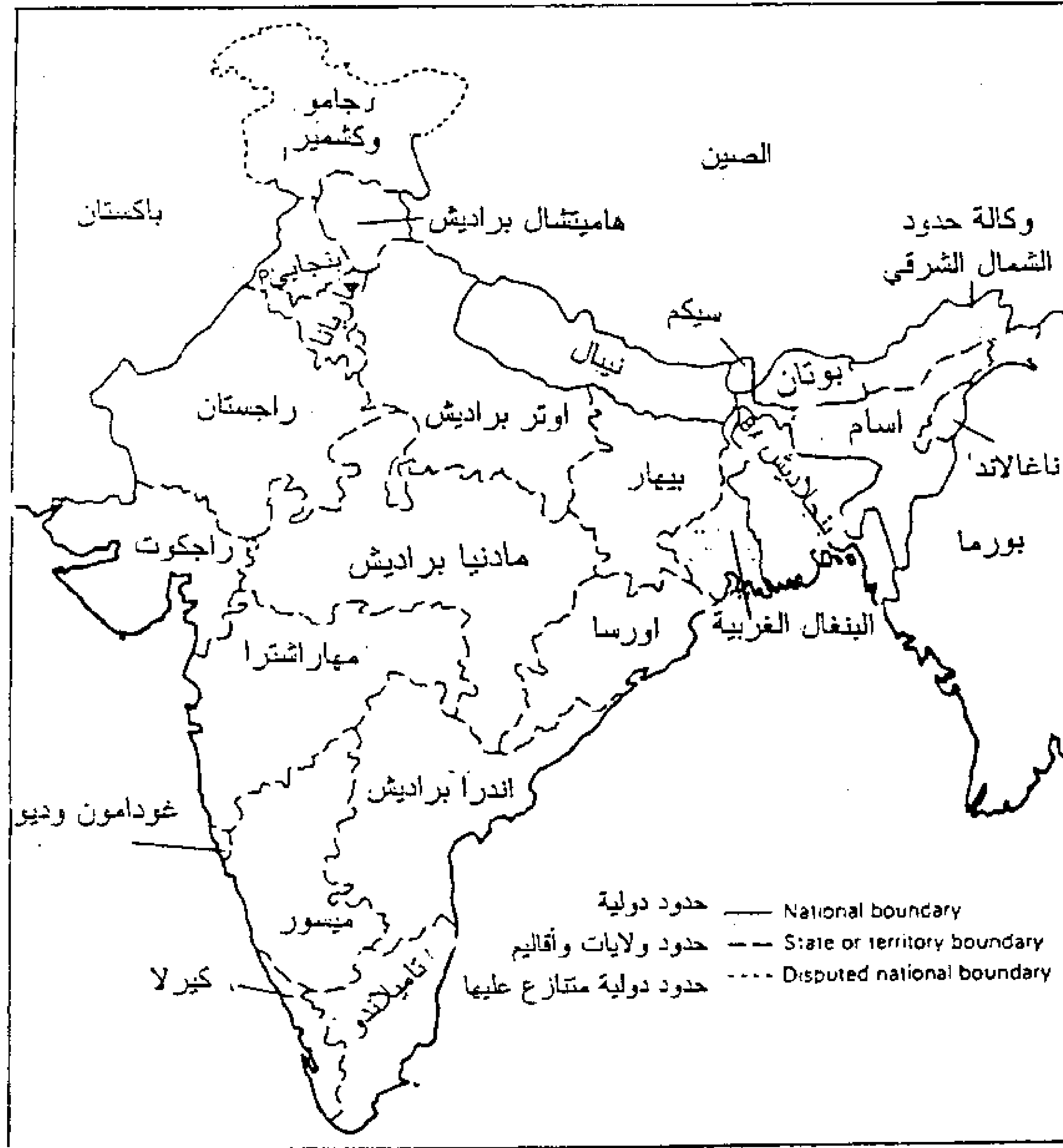
الهندي، أن لغات الهند هي ١٤ لغة (لي بيج، ١٩٦٤م، ص ٥٣). وتنقسم الهند لغويا إلى عائلتين لغويتين رئيستين، هما: اللغات الهندية الآرية في الشمال، واللغات الدرافيدية في الجنوب؛ بالرغم من وجود بعض اللغات تنتمي إلى أي من هاتين العائلتين اللغويتين. ومن اللغات المدرجة في الملحق الثامن عشر لغات هندو - آرية (هي: أسامس، وبنغالي، وجوجرتي، وهندي، وكشميري، وماراثي، وأوريا، وبنجابي، وسنسكريت، والأردو). أما اللغات الأربع الباقية فهي لغات درافيدية (هي كانادا، ومالايام، وتاميل، وتلغو). واللغات المدرجة في الملحق الثامن تغطي ما يقارب ٩٠٪ من سكان الهند. وفي الإحصاء السكاني لعام ١٩٧١م، تبين أن كل لغة من اللغات الأربعة عشرة يتحدثها عشرة ملايين نسمة أو أكثر باستثناء أسامس (٨,٩٥ مليون نسمة)، كشميري (٢,٤٢ مليون نسمة)، وسنسكريت (أبت، ١٩٧٦م، ص ١٥٩). والسنسكريتية لغة قديمة علاقتها باللغات الهندية –الآرية تشبه العلاقة بين اللغة اللاتينية واللغات الرومانسية. وبالرغم من أنها غالبا ما تعتبر لغة ميتة، إلا أن ٢٥٤٤ فردا ذكروا أنها لغتهم الأم في إحصاء عام ١٩٧١م.(١٨) وعلى أية حال، فهي مضمنة في الملحق الثامن بسبب أهميتها الدينية والثقافية لغالبية سكان الهند وليس بسبب عدد متحدثيها.

وبالإضافة إلى لغات الملحق الثامن، فهناك ١٩ لغة يتحدثها مليون فرد أو أكثر، كما أن هناك ٤٩ لغة أخرى بعدد متحدثين لا يقل عن ١٠٠,٠٠٠ نسمة (أبت، ١٩٧٦م، ص ١٤٢). واللغات المتبقية لغات جماعات صغيرة، ويمكن مقارنتها نوعا ما بلغات التشاكو الأصلية في براغوي.

أنماط ثنائية اللغة

بدرجة التباين اللغوي الموجود في الهند، فإننا نتوقع وجود ثنائية لغوية وتعددية

لغوية فردية كبيرة. وتشير أرقام الإحصاء السكاني لعام ١٩٦١م إلى أن ٩,٧٪ من السكان في الهند ثنائيو اللغة (خوبتشانداني، ١٩٧٨م، ص ٥٥٩)، وهذا رقم صغير غير متوقع. ولكن هناك أسباباً تدعو للاعتقاد بأن أرقام الإحصاء فيما يخص الثنائية اللغوية غير صحيحة، وخاصة في الجزء الشمالي الأوسط من البلاد (خوبتشانداني، ١٩٧٨م). والتحقق من هذه سيعطينا رؤى جديدة عن التباين اللغوي في الهند.



الخريطة رقم (١,٢). القطاعات السياسية للهند، ١٩٦٦.

وكنقطة بداية، فقد ثبت أن تصنيف اللغات وتسميتها في الهند مصدر خلاف. وجزء من سبب هذا، وخاصة بين اللغات الهندية -الآرية، هو أن لغة ما تميل لأن تضمحل في لغة قريبة لها دون وجود فاصل واضح بينها. ومثال مهم على هذا، بالرغم من أنه ليس نموذجيا، العلاقة بين لغة الهندية والأردو، فالهندي والأردو يشتركان فعليا في نفس النظام القواعدي والصوتي، ولكنهما يكتبان بنظامي كتابة مختلفين، كما تختلف مكانتهما التاريخية والثقافية، وفي أسلوب النثر المكتوب، تختلف مفرداتهما جزئيا. ويستخدم أفراد المجتمع الهندوسي لغة الهندية منذ زمن بعيد، وهي تكتب بخط يسمى ديفناجاري، وهو الخط نفسه الذي تكتب به اللغة السنسكريتية. وعلى العكس من متحدثي الأردو، فإن متحدثي الهندية يستخدمون مفردات مشتقة أو مقترضة من السنسكريتية. أما الأردو فهي لغة المسلمين وتكتب بخط عربي فارسي، كما أن مفرداتها مقترضة من الفارسية والعربية، وليس من السنسكريتية. ومن الواضح أن أي شخص يستطيع على الفور تمييز النص المكتوب بأنه مكتوب بالهندي أو الأردو، بسبب الفرق الشاسع بين الخطين. وفي الأسلوب الكتابي فإن هناك مفردات معجمية قد تخص لغة الهندية أو الأردو، ولكن في أسلوب المحادثة، والذي تستخدم فيه الهندية -الأردو كلغة وصل لتحقيق مهام الاتصال اليومي، فإن اللغتين تتداخلان. وقد دأب العديد من الكتاب الذين بحثوا في علم اللغة الاجتماعي في الهند على تأكيد التشابه بين الهندية والأردو، ويسمونهما بالهندي-أردو (مثلا كاتشرو وبهاتيا Kachru & Bhatia، ١٩٧٨م، خوبتشانداني، ١٩٧٧م، ١٩٧٨م)(١٩). وبالرغم من أن ارتباط بنجابي بالهندي أو الأردو أقل من ارتباطهما ببعضهما، إلا أنها في أوقات ماضية كانت تعتبر جزءا من تلك المجموعة اللغوية، حتى من قبل متحدثيها (كاتشرو وبهاتيا ١٩٧٨م، ص ٥٣٢). ولقد اعتبر الإحصاء السكاني لعام ١٩٥١م هذه اللغات الثلاث لغة واحدة ، ولكنها اعتبرت لغات منفصلة في

الإحصاءات اللاحقة.

ووجه آخر للمشكلة هو صعوبة تصنيف بعض الضروب الكلامية. وهذه تنطبق على مالثالي. فلقد ذكر أكثر من ٦ مليون نسمة في إحصاء عام ١٩٧١م أنها لغتهم الأم (ابت ، ١٩٧٦م، ص ١٦٠)، كما أن لها خطا خاصا بها في الكتابة وتراثها الأدبي. ويشبه تركيبها لغة البنغالي، وبدون شك، فهي تعتبر من منظور لغوي تقني ضربا من ضروب تلك اللغة. ولكنها تحتوي على عدد كبير من المفردات المقترضة من الهندية. وإذا كان وضع مالثالي سيقرر بناء على معايير لغوية فقط، فالمشكلة ستكون صغيرة، وذلك لأن اقتراض المفردات لا يعتبر معيارا لتحديد العلاقات بين اللغات. ولكن مالثالي تعتبر رسميا لهجة من الهندي، ويرى كاتشر وبهاتيا (١٩٧٨م ، ص٥١) هذه الحالة مؤسفة. فهم يفضلون احتمالا ثالثا، وهي أن تعتبر المالثالي لغة منفصلة عن كل من الهندية والبنغالية. ومن الواضح فإن قرار تحديد مكانة ضرب كلامي كالمالثالي يوضع استنادا إلى أرضية سياسية أكثر منها لغوية.

وكل هذا يعني أنه عندما يأتي موظف الإحصاء السكاني ليسأل مواطنا هنديا عن لغته الأم، وما هي اللغات الأخرى التي يتحدثها، فإن الإجابة ليست سهلة. فقد تكون هذه هي المرة الأولى لبعض الناس التي يحتاجون فيها للتفكير في اللغة التي يتحدثونها. وعادة ما تكون الإجابة مبنية أكثر على الرغبة في الارتباط بلغة ذات منزلة عالية، أو حتى يبدو محبا لوطنه، أو حتى يدعي التحالف مع جماعة عرقية محلية. فمثلا تصور أن متحدثا يستخدم ضربا كلاميا من اللغات الهندية الآرية في المنزل والذي لا يملك له أي اسم، ومن المحتمل أن يعتقد أنها ليست لغة حقيقية على الإطلاق، وقد يستطيع فهم لغة الهندية إلى حد ما، وأن يستخدم الهندية العامية للتعامل مع المجموعات العرقية المختلفة. والهندي هي اللغة القومية، ولها قدر ومنزلة رفيعة. ولذا فهو يخبر موظف الإحصاء أنه يتحدث الهندي. ومتحدث آخر يتحدث

شكلا من اللغات الهندية الآرية تسمى راجستاني. هل يستطيع القول إن لغته هي راجستاني؟ فهي ليست من بين اللغات التي ورد ذكرها في الملحق الثامن، وهي تشبه لغة الهندية بشكلٍ واضح، والهندي هي اللغة القومية. ولأنه يريد أن يبدو محبا لوطنه، فيدعي أن لغته هي لغة الهندي. وطبقا لكاتشر وبهاتيا (١٩٧٨م، ص ٥٣-٤)، فإن هذا هو الدافع لإجابة معظم الناس في إحصاء عام ١٩٥١م، مباشرة بعد الاستقلال. أما في إحصائيات عامي ١٩٦١م، و ١٩٧١م، فقد انخفض عدد من ادعوا تحدث الهندية بدلا من إحدى لهجاتها.

ومن جهة أخرى فلدى بعض الناس مفاهيم محلية خاصة بهم، فبما أنهم لا يعرفون أسماء لغاتهم، ولا يرغبون لسبب أو لآخر أن يدعوا أن لغتهم من اللغات الرئيسة، لذا فهم يطلقون على لغتهم اسما وفقا لطائفتهم الاجتماعية، أو وفقا للمكان الذي يعيشون فيه، أو حتى أسماء حرفتهم (أبت، ١٩٧٦م، ص ١٤٢). وهنا فإن الأمر يعود إلى موظف الإحصاء في كيفية اعتبار تلك الإجابة.

ويؤدي عدم وجود خطوط واضحة للفصل بين بعض اللغات الهندية الآرية إلى وضع أسماه خوبتشانداني بالسيولة (مثلا، ١٩٧٧م، ص ٤٠، قارنه بما ورد في قمبرز ونعيم Gumparz & Naim، ١٩٦٠م). فقد يملك المتحدث أشكالا لغوية لفظية تجعله متحدثا أصليا لعدد من الضروب الكلامية المسماة بأكثر من اسم لهجة واحدة. ومعظم ما يسمى "بثنائية اللغة" في الهند هو تباين داخلي أكثر منه تحولا من لغة إلى أخرى. وما يدعو لعدم وضوح الرؤية هو أن أجزاء مختلفة من ذلك التباين تسمى بأسماء مختلفة. وإذا استطعنا تصور أن محاميا أمريكيا يتحدث في مكتبه "الإنجليزية"، ويتحدث في المنزل "الأمريكية"، وأنهما تعتبران لغتين منفصلتين، فإننا نستطيع حينئذ إدراك ما يقصد بالسيولة. وبالطبع، فإن الضروب اللغوية في الهند تختلف عن بعضها أكثر من الاختلاف بين الضروب الخيالية للغة الإنجليزية.

وبعد معرفة كل هذا، فلا يزال من غير الواضح تماما ما إذا كان علينا القول بأن هناك ثنائية لغوية في شمال وسط الهند أكثر مما ذكرت أرقام الإحصاء. وقد يكون الوضع هو أن الناس قادرون على فهم بعضهم أكثر مما تقودنا أرقام الإحصاء إلى اعتقاده. وستمكننا الأدوات الإحصائية التي ستناقش في الفصل الخامس من إلقاء مزيد من الضوء على مدى الثنائية اللغوية في الهند.

لغة الحكومة

الحكومة الاتحادية.

مثل معظم الدول المستقلة حديثا، فقد تركت لغة المستعمر، وهي الإنجليزية، كلغة حكومة في الهند. وفي ذلك الوقت، فلقد فرضت حاجة الدولة للقيام بمهامها الحكومية فورا الاستمرار في الاعتماد على استخدام اللغة الإنجليزية. ومن جهة أخرى، فقد فرضت الدوافع القومية أن تُتبنى لغة هندية أصلية كلغة قومية. وبدت الهندية كأفضل لغة مؤهلة لذلك الدور. فهي اللغة ذات العدد الأكبر من المتحدثين الأصليين لها، كما كانت شائعة الاستخدام كوسيلة للاتصال بين الجماعات العرقية.

ولكن كان هناك ثلاث مشاكل باختيار الهندية. أولا، بالرغم من أنها معروفة للكثيرين وأنها لغة شائعة الاستخدام، إلا أن توزيع متحدثيها غير متساو في جميع أرجاء الدولة. فمن جهة، أشارت أرقام الإحصاء لعام ١٩٦١م في ولاية أوتر براديش الشمالية (منطقة لغات هندية آرية) التي قدمها خوبتشانداني (١٩٧٨) إلى أن ٩٦,٧٪ من السكان ادعوا أن الهندية أو الأردو هي لغتهم الأولى أو الثانية. وعلى النقيض من هذا، ذكر أقل من ٠,٠٠٠٢٪ من السكان في تاميلنادو، وهي منطقة في الجنوب يتحدث أفرادها اللغات الدرافيدية، أنهم يعرفون إما لغة الهندية أو الأردو. ثانيا، لقد أساء اختيارها إلى مشاعر القوميات الفعلية ممن يتحدثون لغات أخرى.

فلبعض اللغات الهندية الأخرى (مثلا التاميل والبنغالي) تراث أدبي غني مثل تراث اللغة الهندية، ومن وجهة نظر متحدثيها فإن لها حقّا يساوي حق لغة الهندية في أن تصبح لغة قومية. ثالثا، وبمقارنتها بالإنجليزية، فيبدو أن الهندية بحاجة إلى تطوير مفرداتها قبل أن تستخدم بشكلٍ فعال كلغة حكومة. ولكن، اعتبرت هذه المسائل ممكنة الحل، وسميت لغة الهندية كلغة قومية في الدستور. وبدأت مهمة تطوير اللغة ووضع موعد نهائي لذلك بعد خمس عشرة سنة للإحلال الكامل للهندي مكان الإنجليزية. وقد انقضى ذلك الموعد في عام ١٩٦٥م . وبسبب المعارضة المستمرة للهندي في الجنوب، فلم يكن من الممكن سياسيا عمل ذلك الإحلال. وقد أقر قانون في عام ١٩٦٧م يسمح باستخدام كل من الهندية والإنجليزية لجميع الأغراض الرسمية، وما زال ذلك الوضع مستمرا.

والصراع بين القومية وتسيير أمور الدولة فيما يخص لغة الحكومة معقد في الهند أكثر منه في براغوي . وفي مصلحة لغة الهندي، كان الشعور بأن اللغة غير جديرة بالاستخدام الرسمي في الهند تجاه الهندية أقل منه عن الشعور في براغوي تجاه قوارني. ومن جهة أخرى، فعند استقلال براغوي، كانت قوارني هي اللغة القومية بالفعل، ولم يكن هناك ضرورة لجعلها كذلك. وهذا بالطبع لم يكن صحيحا في حالة لغة الهندي، والأهم من كل ذلك هو أنه لم يكن هناك منافس لقوارني من بقية اللغات الأصلية الأخرى، ولم يكن هناك لغة أخرى تخدم كرموز لقوميات الجماعات الكبيرة. والهند ليست محظوظة في هذا السياق. ولم يكن الحل عن طريق الثنائية اللغوية على المستوى الرسمي للحكومة الاتحادية في الهند حلا بدرجة كبيرة للصراعات بين القومية وتسيير أمور الدولة بقدر كونه حلا للمتطلبات القومية في البلد ككل مقابل مشاعر القومية للجماعات المكونة لها.

والسؤال عن ما إذا كانت لغة الهندية مرشحا قويا لتكون لغة قومية أم لا، من

جهة احتمال استخدامها من قبل أعداد كبيرة من السكان في كل البلد، هي مسألة موضع جدل كبير. وباستخدام الأرقام الواردة في إحصاء عام ١٩٦١م حلل خوبتشانداني (١٩٧٨م) منزلة لغة الهندية -الأردو واللغات الهندية الأخرى كلغات اتصال. وهذه واحدة من نتائجه:

"*ولخليط الهندية -الاردو*"، بسبب كونه أكثر اللغات انتشارا في أكبر منطقة، تأثير كبير على الاتصال فيما بين الجماعات في عموم البلد (وبالطبع فهذا بدرجات متفاوتة من شدة الاستخدام في مناطق مختلفة). وقد اكتسبت في الواقع مكانة *اللغة المشتركة* للأغراض التجارية، والترفيهية، والاتصال غير الرسمي في مواضع متباينة (وبشكلٍ رئيس في أماكن الاستيطان الحضرية، والصناعية، والعسكرية) *على مستوى البلد، بفترة طويلة حتى قبل بدء المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية بالتدخل المحموم في دعم الهندي.*" (خوبتشانداني، ١٩٧٨م، ص ٥٦٣).

أما كيلي Kelley (١٩٦٦، ص ٣٠٤)، والذي استخدم أرقام إحصاء عام ١٩٥١م، فقد توصل إلى نتيجة معاكسة:

"تقدم أرقام الإحصاء دليلا ضعيفا على التأكيد بأن الهندية معروفة الآن (أو على الأقل أنها تستخدم لأمور الحياة اليومية) في عموم البلد. ومن بين جميع المدن الرئيسية التي تقع خارج قلب مناطق الهندي، فإن بومبي وحدها تقدم دليلا يدعم الادعاء بأن الهندية تعمل كلغة مشتركة."

ويستطيع من يقرأ هذين المقالين أن يرى أن اختلاف النتائج يعكس وجهات نظر المؤلفين المختلفة، وليس الاختلاف بين الإحصائيتين. وفي الواقع، فإن القراءة المتأنية لكل من الاقتباسين السابقين تبين أنهما قد يكونان صحيحين فعليا.

وأرى أن أكثر الخلاصات منطقية فيما يخص هذا الموضوع هي ملاحظات فرجسون ردا على بحث كيلي (برايت Bright، ١٩٦٦م، ص ٣٠٧): "إذا نظرت إلى

البلد بأكمله وقمت بقياس اللغة الثانية في كل مكان، فأي لغة ستستخدم بشكل واسع كلغة ثانية أكثر من غيرها ؟ وأنا متأكد من أن الإحصائيات ستدعم الهندية كلغة تحقق هذا المعيار."

حكومات الولايات.

تنقسم الهند إلى نوعين من الوحدات السياسية. فهناك الولايات و"الأراضي الاتحادية" التي تدار بشكلٍ مركزي. وقد أنشئت الولايات على أسس لغوية. وكنتيجة لذلك، فإن غالبية السكان في معظم الولايات يتحدثون نفس اللغة، باستثناء ولايتين. والولايتان اللتان لا يوجد بهما أغلبية لغوية، هما: هيماتشال و براديش، ونقالاند. وتتراوح الأغلبية اللغوية ما بين أقل بقليل من ٥٥٪ في بيهار (لغة أغلبية هي الهندي-الأردو) وولاية جامو وكشمير (لغة الأغلبية هي كشميري) وأكثر من ٩٥٪ في ولاية أوتر براديش (الهندي -الأردو) وكيرلا (لغة مالاليام) (أبت ١٩٧٦م ، ص ص ١٦١-٣). ولا يوجد في جميع الولايات الاتحادية ولاية ذات أحادية لغوية كاملة. وقد ترك للولايات والأراضي الاتحادية حرية اختيار اللغات الرسمية الحكومية الخاصة بها في ذلك المستوى. وقد اختارت معظم الولايات لغة أغلبيتها اللغوية، ولكن بعضا منها اختارت الإنجليزية، فقد اختارت نقالاند، وهي إحدى ولايتين بدون أغلبية لغوية، الإنجليزية، أما الولاية الأخرى، وهي هيماتشال براديش، فقد اختارت الهندي. أما ولاية جامو وكشمير فقد تركت لغة الأغلبية فيها، وهي كشميري، واختارت الأردو لغة رسمية لها. وقد بذلت الولايات جهدا كبيرا في تطوير مفردات خاصة، ونظم اختزال، والآلات الكاتبة ، ومواد تعليمية بلغات ولاياتها الرسمية. وقد وفّرت ترجمات للقوانين والنظم والتعليمات الاتحادية وتلك الخاصة بالولايات باللغات الإقليمية لكل ولاية، وكذلك بالنسبة للنماذج الرسمية على اختلاف

أنواعها.

ولا يخلو ترك الحرية للولايات لاستخدام لغتها وتطويرها من شيء من المغامرة المحسوبة. فمن جهة طالما أن اللغة قد تكون رمزا لقومية القوميات الفرعية، فالسماح بمثل هذه الحرية قد يشجع على تقسيم الشعور القومي على مستوى الولاية. ومن جهة أخرى، فإن محاولة قمع اللغات الإقليمية سيسبب نقمة كبيرة. وقد تكون الاستحالة السياسية لعدم جعل الهندية اللغة الرسمية الوحيدة على المستوى الاتحادي مؤشرا على أن الهند قد سلكت الطريق الأقل خطورة. وفي الواقع هناك سبب يدعو للاعتقاد بأن التباين اللغوي في الهند أقل تهديدا سياسيا منه لو كان ذلك في أوروبا. وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

الأقليات اللغوية.

امتد النهج التعددي الذي اتبعته الحكومة الاتحادية تجاه اللغات الإقليمية الرئيسية إلى لغات الأقليات في السياسة الرسمية. فلمتحدثي لغات الأقليات حقوق معينة مضمونة قانونيا. وهناك مسئول، وهو مفوض الأقليات اللغوية، وظيفته التعامل مع شكاوي تلك الأقليات. ولكن من المعلوم جيدا أن حكومات الولايات قد أهملت بشكلٍ محزن لغات الأقليات مقارنة باللغات الرسمية للولايات. ولمفوض الأقليات اللغوية سلطة استشارية فقط، ولا يستطيع إجبار حكومات الولايات على اتباع توصياته. وتتبع حكومات الولايات عادة سياسات لا تشجع على الإبقاء على لغات الأقليات، بل تشجع على اكتساب لغة الولاية واستخدامها. وبعد حصول حكومات الولايات على استقلالها اللغوي على مستوى الولاية، فإنها مترددة في منح ذلك الاستقلال داخل ولاياتها. وفيما يتعلق بحكومات الولايات، فالأقليات اللغوية أقل عددا وأضعف بشكلٍ كبير مما هي عليه لغات الولايات بالنسبة للحكومة

الاتحادية. ونتيجة لذلك، فالولايات أكثر نجاحا في استخدام اللغة لتشجيع قومية القوميات الفرعية من الحكومة الاتحادية في استخدامها للهندي لمساندة القومية في البلد ككل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن جماعة لغوية واحدة تقودها جماعات السيخ التي تتحدث البنجابية كانت قادرة على السيطرة على ولايتها، وذلك بإرجاع التجزئة القديمة لولاية البنجاب. وقد احتفظت إحدى هاتين الولايتين الجديدتين، والتي أبقت على اسم البنجاب، بلغة البنجابي كلغتها الرسمية، بينما أبقت الولاية الأخرى والتي تدعى هاريانا على لغة الهندي. ولكن هذا الحدث يعتبر استثناءا إلى حد ما.

والآن نحن بموقع أفضل لرؤية أن اعتبار ضرب لغوي مثل المثيلي لغة أو لهجة هو أمر سياسي. فلو اعتبرناها ببساطة لهجة من الهندي، فسوف يكون من المفترض تُلبى احتياجاتها من خلال الجهود المبذولة لتطوير الهندي. أما إذا أعلنت كلغة منفصلة، فإن لها بعض الحقوق القانونية لتلقى الدعم الرسمي الخاص بها.

اللغة في التعليم

ستكون السياسات والممارسات التعليمية في الهند أوضح لو أخذنا بالاعتبار، أولا، الهيكل التنظيمي الهرمي للغات في الهند (أبت، ١٩٧٦، ص١٥٥-٦). ففي أعلى الهيكل تقع لغتان رسميتان للحكومة على المستوى الاتحادي، هما: الهندية والإنجليزية. بعد ذلك، تأتي اللغات الرسمية للولايات. وفي المستوى الثالث، نستطيع وضع اللغات التي ليس لها وظيفة حكومية رئيسة على المستوى الاتحادي أو الولاية، ولكن يتحدثها أكثر من مليون نسمة (المثالان على ذلك هما: لغتا بهجبوري وماقاهي).[٢٠] وأخيرا هناك لغات الجماعات الصغيرة واللغات القبلية، والتي يعترف فيها فقط على أي مستوى من المستويات الحكومية، ولكن أملها ضعيف في الحصول على أي شيء، إن لم يكن الإهمال أو العدوانية من المصادر الرسمية.

وكانت السياسة البريطانية تنص على استخدام الإنجليزية كلغة تعليم. وقد لخصت فلسفة الإدارة الاستعمارية بشكلٍ موجز بخطاب قصير ألقاه عضو المجلس الأعلى للهند توماس بابنجتون ماكيولي Thomas Babington Macaulay في عام ١٨٣٥م. ففي خطابه الشهير، المعروف باسم "محضر ماكيولي"، عبر عن يأسه من استطاعة الحكومة تعليم جميع المواطنين الهنود. ولكن قال: إن الهدف يجب أن يكون إنشاء "طبقة تعمل كمترجمين بيننا وبين الملايين الذين نحكمهم طبقة هندية الدم واللون، ولكنها إنجليزية الذوق، والرأي، والأخلاقيات، والفكر" (مقتبس من خوبتشانداندي، ١٩٧٧م، ص ٣٥). وكانت الإنجليزية بالطبع أنسب لغة تعليمية. وبالرغم من أن السياسة قد عدلت فيما بعد لتجعل التعليم ممكناً لجميع الناس، وكما أوصت السياسة الرسمية باستخدام اللغات الأصلية للتعليم في المراحل التعليمية الدنيا في بعض المواضيع، ولكن عمليا كانت الإنجليزية في الغالب دوما هي لغة التعليم. وطبقا لمنظور ماكيولي، فإن هذا لوحده دأب على جعل التعليم الرسمي أساسا تدريبيا للصفوة من الناس بغض النظر عن السياسة الرسمية. وحتى اليوم، فالإنجليزية هي لغة الطبقة المثقفة جدا في الهند.

وبعد الاستقلال، اتخذت الحكومة الاتحادية للهند موقفا تعدديا جدا فيما يخص اللغات المفترض استخدامها في التعليم، كما فعلت فيما يخص الحقوق اللغوية للولايات والأقليات اللغوية. وتنطبق السياسة الرسمية مع ما يسمى "بصيغة اللغات الثلاث" (أبت، ١٩٧٦م، ص ١٤٩). وطبقا لهذه الصيغة، فيجب تعليم ثلاث لغات على المستوى الثانوي، هي اللغة الإقليمية، والهندي، والإنجليزية. وفي الأماكن التي تكون فيها الهندية هي اللغة الإقليمية، فتبدل بلغة هندية أخرى. وفي نظر الولايات الأخرى، فإن بعض الولايات التي كانت فيها الهندية اللغة الإقليمية قد خالفت نص صيغة اللغات الثلاث عندما أحلت السنسكريتية مكان الهندي. وهذا

الموقف يشبه ما سيكون عليه موقف متحدثي الإسبانية في الولايات المتحدة لو كان هناك قانون يقول: إنه يجب على المدارس تعليم الإسبانية، إذا كانت هي اللغة الأم لمعظم الأطفال في المدارس المحلية، بالإضافة إلى الإنجليزية. تصور أيضا أن القانون ينص على أنه إذا كانت الإنجليزية اللغة الأم للأطفال، فيمكن استخدام أي لغة أخرى كلغة ثانية. وبدون شك فسيتوقع متحدثو الإسبانية أن اللغة الإسبانية هي التي ستنتقى في عدد كبير من المدارس التي تكون فيها الإنجليزية اللغة الأم للأطفال، وسيستاؤون لو اختيرت إنجليزية تشوسر بدلا منها.

وتؤيد الحكومة أيضا فكرة تلقي الأطفال تعليمهم الأولي بلغاتهم الأم، مهما كانت تلك اللغات. وإذا طبق هذا، فإن صيغة اللغات الثلاث تترجم إلى صيغة اللغات الأربع لمتحدثي اللغات التي تكون في الطبقتين السفليتين من الهيكل التنظيمي الهرمي الهندي. فسيتلقى هؤلاء الصغار تعليمهم الابتدائي بلغاتهم الأولى، ويبدأون بدراسة اللغة الإقليمية للإقليم الذي يعيشون فيه، في الوقت الذي يصلون فيه للمدارس الثانوية، ومن ثمّ يدرسون كلا من الهندية والإنجليزية. وفي ولاية نقالاند ذات التعددية اللغوية الكبيرة، ينتهي المطاف بالناس بتعلم خمس لغات أو على الأقل دراستها. فبالإضافة إلى اللغات الأربع التي يتعلمها أطفال الأقليات اللغوية الأخرى، فإن العديد من مواطني نقالاند يتعلمون أيضا لغة هجينة تسمى نقاسامسي، وهي لغة مزيج مبنية على لغة أساميس. وليس لنقاسامسي أية مكانة رسمية، ولكنها أداة مهمة للاتصال العادي بين الجماعات في نقالاند (سريدهار، Sreedhar، ١٩٧٩م).

وفكرة توفير التعليم من خلال استخدام "اللغات الأم" معقدة أكثر مما يبدو. فبغض النظر عن مشكلتي تطوير وسائل التعليم وتدريب المدرسين، فإن مسألة تحديد ما هي "اللغة الأم" فقط هي مسألة غاية في الصعوبة. فتاريخيا، هناك تعريفان للغة الأم

مستخدمان في الهند. وهما التعريف العام والتعريف الضيق. وطبقا للتعريف العام، فإن أي لغة ليس لها تراث مكتوب تعتبر وبشكلٍ تلقائي لهجة من لهجات اللغة الإقليمية. وهكذا ، فقد ينتهي المطاف بطفل يتكلم لغة جماعة صغيرة غير مكتوبة أن تعين له لغة أم لا يكاد يفهمها .أما التعريف الضيق فيعتبر لغة المنزل للطفل هي اللغة الأم، بغض النظر عن مستوى تطورها. وطبقا لخوبتشانداني (١٩٧٧م، ص٤٤) فقد قررت السياسة الرسمية لصالح التعريف الضيق، ولكن التنفيذ الفعلي بطئ. وفي بعض الحالات، فيبدو أن حكومات الولايات تتمنى أن تموت لغات الأقليات قبل أن يضطروا إلى استخدامها في التعليم.

وحتى تحت التعريف الضيق، فقد ينشأ وجه آخر لمشكلة اللغة الأم، هو: صيغة اللغة الأم التي ستستخدم في المدرسة. وكما رأينا سابقا، فإن السيولة اللغوية الشائعة في الهند تعني أن تعيين فرد على أنه "متحدث للهندي" قد يعود إلى مجموعة كبيرة من الضروب اللغوية. ومن المرجح أن تكون صيغة الهندية المنتقاة كلغة في المدرسة نموذجا حضريا رفيع المستوى. وقد تكون هذه الصيغة النموذجية مفهومة على الأقل بالنسبة لشخص بالغ من قرية صغيرة، وقد يستخدمها أحيانا في الظروف الرسمية، ولكن أطفاله قد يعرفون فقط نوعا عاميا مختلفا جدا من الهندي. ونتيجة لذلك، فإن لغة الهندية التي يتعامل معها الطفل في المدرسة قد لا تتطابق مع لغة المنزل بشكلٍ جيد إطلاقا. ومن جهة أخرى، قد تعني ظاهرة السيولة نفسها في بعض الأحيان أن الذي يقول: إن لغة أقلية هي لغته الأم، قد يكون ملما بدرجة كبيرة بلغة الإقليم.

وتبرر عادة السياسة التعددية بشكلٍ علني، على أسس عملية خاصة بالدولة، بأنها أكفأ تعليميا. ولكن يبدو من الواضح، وعلى النقيض مما في براغوي، أن مناصرة التعليم باستخدام اللغة الأم في الهند هو قرار قومي أكثر منه قرارا يتعلق

بتسيير أمور الدولة. وأكثر مما في اختيار لغة الحكومة، فإن الخطر الحقيقي للقومية في التعليم لا يأتي من الأعداد الكبيرة من اللغات الهندية الأصلية، ولكن من الإنجليزية. وينم استخدام الإنجليزية عن الاستغلال الاستعماري لنظم التعليم بما يتفق مع محضر ماكيولي. فإذاً، ومن منظور قومي، فإن تقليل الاعتماد على الإنجليزية أهم من تشجيع استخدام الهندي. طالما أنه من غير الممكن استخدام الهندية كلغة تعليم في كل مكان، فإن الالتفات إلى اللغات الهندية الأصلية المختلفة أفضل من الاستمرار باستخدام الإنجليزية . ولربما كان استخدام اللغات الأم هو القرار الأفضل على أسس خاصة بمصلحة الدولة أيضا، على الأقل في المستويات الأولى من التعليم. ومن وجهة نظر عملية، فالسؤال عما إذا كان من الأفضل للهند الإبقاء على الإنجليزية في التعليم العالي بدلا من تحويل التعليم الجامعي إلى استخدام لغات هندية موضوع مفتوح للنقاش (قارن أبت، ١٩٧٦م، ص١٥٢).

الهند – أمة ذات تعددية عرقية أو دولة ذات تعددية قومية؟

وباستخدام ملاحظات فيشمن عن المحافظة أو التخلي عن اللغات كمقياس للشعور القومي، فإن من الغالب أنك ستخلص إلى أن معظم اللغات الواردة في الملحق الثامن تعمل كرمز لقومية من القوميات الفرعية، وأن معظم اللغات الهندية المتبقية تمثل جماعات عرقية. وهذا سيضع الهند في موقع على المتصل أقرب إلى نهاية الدولة ذات التعددية القومية. وكدولة ذات تعددية قومية، فستتألف من مجموعة من قوميات متعددة الأعراق، تقريبا الولايات اللغوية. ومن هذا المنظار، فسيكون هناك أسس لقلق جدي على الاستقرار السياسي للهند، كما هي العادة في الدول ذات التعددية القومية. وقد يكون هذا المنظور في الواقع صحيحا. وهذه تبدو وجهة النظر التي أخذها كيلي (١٩٦٦م، ص ٢٩٩)، الذي اعتبر الهند "تجربة" تحمل "المقارنة مع

وضع لولايات متحدة أوروبية. وفي هذا المنظور، فإن التجربة مهددة "بالأعداد الكبيرة من اللغات الإقليمية، والتي تخدم كمصدر للولاء الثقافي والسياسي تحت المستوى القومي".

ومن جهة أخرى، فهناك شعور عام بين المفكرين الهنود بأن مثل هذه المقارنات مع أوروبا مضللة بشكلٍ خطير. ففي رأيهم، أن القومية، بمعنى أنها لغة واحدة يعرفها ويستخدمها في الواقع تقريبا كل المواطنين، ليست أساسية للقومية الهندية. وقد عبر بانديت Pandit (١٩٧٥م، ص٨١) عن وجهة النظر هذه بقوله:

"لا يضطر الفرد الهندية للتخلي عن لغته كي يستقر بين متحدثين من لغات مختلفة. فهو يجد الترحيب، بغض النظر عن لغته المختلفة، فتحدث لغة مختلفة لا يجعله غريبا. والقبول الضمني لأي هندي في أي وضع ثقافي هندي يدل على الهوية الثقافية والتجانس في مستوى أعمق."

وأعطى لي بيج (١٩٦٤م، ص٦٠) الاقتباسات التالية من تقرير لجنة التكامل العاطفي لعام ١٩٦٢م. "كان للهند على مر العصور إدراك فاق كل الفوارق بالمقاطعات، والطبقات الاجتماعية، واللغات، والعقائد." وهذه الآراء لا تشكل وجهات نظر معزولة. فقد ذكر أبت Apte (١٩٧٩م) أن هذا الرأي كان أمرا متداولا خلال ندوة عن الثنائية اللغوية الهندية، عقدت في عام ١٩٧٦م. ويبدو أن السياسات التعددية للحكومة الهندية مبنية على فكرة أن القومية الهندية لا تعتمد بشكلٍ ضروري على لغة واحدة معروفة عالميا.

وإذا كانت هذه النظرة البديلة دقيقة، فإن الهند تبدو أقرب للأمة ذات التعددية العرقية مما كانت عليه من قبل. وإذا كان الأمر كذلك، فاختبار القومية المبني على الاحتفاظ أو التخلي لا ينطبق بشكل جيد على حالة الهند. وعلى الأقل، فيجب أن نحذر من إطلاق التعميمات اللسانية الاجتماعية على أساس تجارب أوروبا

وأمريكا الشمالية، أو حتى على التفسير الغربي للترتيب الاجتماعي غير الغربي. ويجب أخذ الطريقة التي يرى فيها أفراد المجتمع وضعهم الخاص في الاعتبار قبل أن نقرر فيما إذا كانوا مثالا لمفهوم أو لآخر.

خلاصة

العديد من بلدان العالم ، إن لم يكن معظمها، هي بالتأكيد ذات تعددية لغوية. وفهم ماذا تعني التعددية اللغوية للمجتمع هو صميم علم اللغة الاجتماعي في المجتمع. وتقدم مفاهيم فيشمن للقومية (على نقيض الجماعة العرقية) والأمة (على نقيض البلد أو الدولة) إطارا مفيدا لدراسة التعددية اللغوية. وتُحرك القومية ومسألة تسيير أمور الدولة السياسات اللغوية بأشكالٍ مختلفة ، وقد تكون متضاربة. وتكون التعددية اللغوية في بعض المواضيع مشكلة للبلد، وقد تعوق الأهداف القومية وأهداف تسيير أمور الدولة. وهناك أدلة بأنها قد ترتبط بالتخلف الاقتصادي . ومن جهة أخرى، فهناك مواضيع تكون فيها التعددية اللغوية وسيلة. وبالرغم من أنها أحيانا تسبب مشاكل للقومية ولمصلحة الأمة، فقد يكون من السخرية أن تكون سياسيات التعددية اللغوية الرسمية أفضل حل للصراع بين القومية ومسألة تسيير أمور الدولة كذلك. وبالإضافة إلى ذلك، تمد التعددية اللغوية الأفراد بوسائل التفاعل، وتمد المجتمعات بالغنى الاجتماعي والثقافي.

وتاريخيا، هناك أربعة عوامل متميزة كانت سببا في نشأة الدول ذات التعددية اللغوية، وهي: الهجرة، والإمبريالية، والائتلاف، وظواهر المناطق الحدودية. وقد تصبح دولة ما متعددة اللغات بسبب تأثير أكثر من عامل، وليس من السهولة دائما تحديد أي عامل ينطبق على حالة معينة.

وقد نوقشت براغوي والهند بشيء من التفصيل كحالتين للدول ذات التعددية

اللغوية، وقد كان العديد من المفاهيم الأولية مفيدا في شرح هذه الحالات. ولكن بالرغم من أن استخدام التخلي عن اللغة أو المحافظة عليها مؤشرا على القومية مقابل العرقية قد انطبق على الوضع في براغوي، إلا أنه كان موضع جدل في حالة الهند. وقد بدت براغوي كثيرا كأمة، والتي تبدو قليلا كأنها ذات تعددية عرقية. وتبدو الهند قريبة من وضع دولة ذات قوميات متعددة أو أنها بالأحرى أمة ذات تعددية عرقية، وذلك يعتمد على أي منظور نأخذه عن أهمية اللغة كأحد مقومات القومية.

هوامش لمراجع إضافية

لم يُستشهد بالعديد من الدراسات المهمة التي ناقشت التعددية اللغوية في براغوي والهند. وقد أدت النزعة الموسومة للغات الهند بتأثيرها على بعضها بالصيغة اللغوية إلى دراسة الهند كـ"منطقة لغوية"، وتعتبر دراسة إيمانوي Emmeneau (١٩٥٦م) عملا ممتازا في هذا المضمار. وتوجد دراسات مهمة سابقة عن أهمية علم اللغة الاجتماعي للتعددية اللغوية في الهند مثل برايت (١٩٧٦م) وقمبرز (١٩٧١م)، وفرجسون وقمبرز (١٩٦٠م). وتعتبر دراسة روبن (ج ١٩٦٨م) من أكثر الدراسات مصداقية عن التعددية اللغوية في براغوي.

هوامش

(١) حتى وإن لم توجد صراعات مع متطلبات القومية، فليس من السهولة بجميع المعايير تقرير أي اللغات تقوم بأفضل عمل وبأقل تكلفة في التعليم.

(٢) تحدث قارفن وماثيوت عن هذه كوظائف للغة النموذجية، ولكن يبدو أنه لا يجب أن تكون اللغة نموذجية حتى تقوم بهذه الوظائف. وقد ناقشا أيضا

وظيفتين إضافيتين، هما: وظيفتا المنزلة والإطار المرجعي. فالوظيفة الثانية تتطلب على الأقل لغة نموذجية.

(٣) هناك ثلاث حركات قومية في التاريخ الأمريكي، والتي لم يكن فيها لجوء للغة كرمز للقومية، أو كان فيها لجوء قليل. الأولى هي الثورة الأمريكية، والتي حلت فيها القومية الأمريكية محل القومية البريطانية. والثانية كانت القومية التي أدت إلى تأسيس الاتحاد الأمريكي للولايات والحرب الأهلية. والثالثة كانت الحركة القومية للسود الأمريكيين التي وصلت ذروتها في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من هذا القرن. والتي استشهد بها فيشمن (١٩٧٢، ص ٨) كواحدة من ثلاث حركات قومية شاهدها، والتي دفعته بشكلٍ جزئي لدراسة اللغة والقومية.

(٤) الوظيفة الأخيرة لم تُحقَّق في أيرلندا.

(٥) سيناقش مقياس أكثر تطورا للتباين اللغوي بالتفصيل في الفصل الخامس.

(٦) شرح بول عدم تساوي المسافات على المحور الأفقي بهذه العبارة: قُيِّس التباين تقريبيا في هذا الشكل، وذلك بإخضاع المتغير الاقتصادي إلى تحويل لوغارثمي، حتى تمثل كل وحدة هن المسافات الأفقية نسبة متساوية عوضا عن تغير مطلق (بول، ١٩٧٢م، ص ٢٢٢، هامش ٥١).

(٧) كما أوضح بول Bull (١٩٥٥ م) فإن استخدام لغات العرقيات أو العامية كلغات تعليم قد يسارع في انقراضها.

(٨) لا يعتبر، تقنيا، زحف البورتوريكيون من بورتوريكو إلى قارة الولايات المتحدة حالة هجرة، لأن بورتوريكو جزء من الولايات المتحدة. ولكن في مفهوم فيشمن طالما أن لبورتوريكو قومية أخرى فإن وضعهم يعتبر مثالا على الهجرة من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية.

(٩) وفرق آخر ينطبق على الضم وليس الاستعمار، هو أن من المفترض أن يصبح السكان المُخْضَعين جزءا من "البلد الأم"، وهذا ما حاولت البلاد المستعمرة عمله أحيانا، فقبل استقلال أنجولا وموزمبيق عن البرتغال، ادعت البرتغال أن مواطني مستعمرتيها في أفريقيا هي "البرتغال لما وراء البحار". واندماج السكان المُخْضَعين أسهل بكثير إذا كانوا في دول متلاصقة جغرافيا.

(١٠) لروسيا تاريخ طويل في التوسع الحدودي عن طريق الضم.

(١١) هذه الأرقام قديمة الآن، ولكن روبن (١٩٧٨م) ذكر أن أرقام ثنائية اللغة في أسنسون كانت تقريبا متقاربة في إحصاء عام ١٩٦٢ م.

(١٢) كان ضروريا إجراء بعض التصحيح البسيط في النسب المئوية التي ذكرها رونا فيما يخص السكان خارج العاصمة؛ لأن الأخطاء الحسابية كانت موجودة في الأصل.

(١٣) قد يكون الرقم ٥٢٪ أكبر من الصحيح بسبب اختلاف صيغة السؤال عن اللغة في إحصاء عام ١٩٦٢ م (روبن أ ١٩٦٨ م، ص ٤٨٦، هامش ١). وسنناقش هذه المشكلة المتعلقة ببيانات الإحصاء السكاني بتفصيل أكثر في الفصل الخامس.

(١٤) في إحدى المدارس الريفية، كان ٤٠ - ٦٠ ٪ من صفوف السنوات الثلاث الأولى راسبين معيدين للصف (روبن أ ١٩٦٨ م ، ص ٤٨٥). ويستغرق الطالب البراغويي ٣ - ٧ سنوات حتى ينهي الصف الرابع (روبن، ١٩٧٨ م، ص ١٩٠).

(١٥) يعتمد النقاش في هذا الجزء على معلومات كلين وستارك (١٩٧٧م).

(١٦) أنا ممتن لزميلي شالنقرام شوكلا Shaligram Shukla لاقتراحاته العديدة على مسودة سابقة تتعلق بالجزء الخاص بالهند. وهو بالطبع غير مسئول عن أي

أخطاء متبقية.

(١٧) لدراسة التباين في اللهجات والاختلاف في التراكيب الصوتية في الهندية - الآرية المتوسطة ارجع إلى شوكلا ١٩٧٤م.

(١٨) هناك جامعة سنسكريتية في بناريس حيث يتجمع فيها المتخصصون بالسنسكريتية من كل أنحاء البلد. وبما أنه لا توجد لغة مشتركة بينهم، فإنهم يستخدمون السنسكريتية كلغة تعليم (شالنقرام شوكلا، كلام شخصي).

(١٩) العلاقة بين الهندية والأردو هي على العكس تماما مما قد نجده أحيانا . وعادة يكون التماثل في الأسلوب الكتابي والأسلوب التحدثي الرسمي جدا، بينما تتباين في الأسلوب العامي غير الرسمي (قارن تردجل، ١٩٧٤م، ص٤٠-٣ لمزيد من النقاش حول العلاقة بين التلفظ النموذجي واللهجات الإقليمية الإنجليزية في هذا الخصوص). وحالة الهندي -الأردو متباينة جدا في القمة" ومتماثلة في "الأسفل"، ولا مجال لنا هنا لاستكشاف أسباب عدم توافق الهندي -الأردو مع هذا التعميم اللغوي -الاجتماعي.

(٢٠) تعتبر بعض هذه اللغات لهجات للغات الملحق الثامن لأسباب معينة.

الأهداف

١- أن يكون قادرا على ملاحظة الفروق بين القومية والأمة والجماعة العرقية.

٢- أن يكون قادرا على ملاحظة الفرق الذي أشار إليه فيشمن بين الأمم والبلدان (الدول والكيانات).

٣- أن يتمكن من التمييز بين القومية وتسيير أمور الدولة.

٤- أن يكون قادرا على تعريف (ليس بالضرورة التعريف الحرفي) " للهوية

المتباينة" و"وظائف التوحيد والفصل" (مجموعتا المصطلحين تعنيان الشيء نفسه).

٥- أن يكون قادرا على ذكر طريقة يمكن بواسطتها معرفة تعامل جماعة مع لغتها كمؤشر على إذا ما كانت أقرب إلى كونها قومية منها إلى جماعة عرقية.

٦- يفترض أن الدول ذات التعددية اللغوية تواجه مشكلة ما ، فإنه يكون قادرا على تحديد ما إذا كانت مشكلة لتسيير أمور الدولة أو مشكلة للقومية.

٧- أن يكون قادرا على ذكر العلاقة التي بدا أن بول وجدها بين التباين اللغوي والرخاء الاقتصادي.

٨- أن يكون قادرا على التعرف على الطرق التي تكون فيها التعددية اللغوية وسيلة على المستويين القومي والفردي.

٩- أن يكون قادرا على تمييز تعاريف الطرق الأربع التي تصبح فيها البلدان متعددة اللغات ذات تعددية لغوية.

١٠- أن يكون قادرا على تمييز نماذج التوزيع الجغرافي العامة للغتين الرئيستين في براغوي.

١١- أن يكون قادرا على التعرف على المساهمة في المنزلة الاجتماعية التي تأتي من معرفة اللغة الإسبانية ومعرفة لغة قوارني.

١٢- أن يكون قادرا على التعرف على الأسباب الداعية لاختيار لغة قوارني كلغة تعليم ، والأسباب الداعية لاختيار اللغة الإسبانية.

١٣- أن يكون قادرا على إعطاء السبب لماذا يبدو التباين اللغوي في تشاكو أقل مما هو عليه للوهلة الأولى.

١٤- بعد إعطاء تقديرات تقريبية لعدد اللغات التي يتكلم بها الناس في الهند ،

يكون قادرا على تحديد أكثر هذه التقديرات دقة.

١٥- أن يكون قادرا على ذكر عدد اللغات المدرجة في الملحق الثامن من الدستور الهندية ، والنسبة الكلية للسكان المتحدثين لكل لغة.

١٦- أن يكون قادرا على معرفة تعريف خوبتشانداني لمصطلح "السيولة".

١٧- أن يكون قادرا على معرفة خصائص الهندية وقوارنني المتعلقة باختيارهما كلغتين قوميتين.

١٨- أن يكون قادرا على ذكر عدد الولايات الهندية ذات الأحادية اللغوية ، وعدد الولايات التي لا يوجد فيها لغة واحدة تتكلمها أغلبية سكانها.

١٩- أن يكون قادرا على ذكر موقف الحكومة الهندية الاتحادية تجاه اللغات الإقليمية الرئيسة ، وموقف حكومات الولايات تجاه لغات الأقليات داخل الولايات.

٢٠- أن يكون قادرا على التعرف على وضع الأنواع الأربعة من اللغات في الهند طبقا للتسلسل الهرمي من حيث الأهمية السياسية.

٢١- أن يكون قادرا على التعرف على الموقف تجاه التعليم الهندية الذي قدمه "محضر ماكويلي".

٢٢- أن يكون قادرا على بيان السياسة المسماة "صيغة اللغات الثلاث" ، وعدد اللغات التي سيتعلمها الأطفال أو يدرسونها في الواقع لو طُبقت.

٢٣- أن يكون قادرا على بيان التعاريف "العامة" و "الضيقة" "للغة الأم" التي نوقشت ، وتسمية التعريف الذي تم تبنيه رسميا.

٢٤- أن يكون قادرا على التعرف على اختلاف الدوافع المؤيدة للتعليم باستخدام اللغة الأم في الهند عن الدوافع في براغوي.

٢٥- أن يكون قادرا على بيان أي من الأمتين المختارتين كدراسات فردية في هذا الفصل هي المثال الأفضل للأمة ذات التعددية العرقية أكثر من كونها ذات تعددية قومية.

٢٦- أن يكون قادرا على أن يتعرف رأي بعض المفكرين الهنود فيما يتعلق بالتعددية اللغوية في المجتمع الهندي على أنها تشكل خطرا على الوحدة.

الفصل الثاني

ازدواجية اللغة

عند مناقشة التعددية اللغوية كوسيلة تفاعلية في الفصل الأول، ذكرت أن اللغات المختلفة تعطي عادة مهام مختلفة في المجتمعات ذات التعددية اللغوية. وقد درست هذه العلاقة بين الشكل اللغوي والوظيفة الاجتماعية من منظور ظاهرة ازدواجية اللغة Diglossia . وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة في الإنجليزية عن طريق شارلز فرجسون Charles Ferguson في عام ١٩٥٩م (الكلمة الفرنسية Diglossie والتي ألهمت نحت فرجسون للكلمة استخدمها قبل ذلك اللغوي الفرنسي ماركيز Marcais). ويعتبر الآن مقال فرجسون المرجع التقليدي لازدواجية اللغة. وقد أجرى فيشمن Fishman (١٩٦٧م) تعديلا مهما على المصطلح. وحتى نأخذ فكرة عن ماهية ازدواجية اللغة، سنراجع بالتفصيل ما قاله هذان العالمان عن الموضوع.

وصف فرجسون لازدواجية اللغة

لقد انصب اهتمام فرجسون على الحقيقة العامة، وهي أن المتحدثين عادة ما يستخدمون أكثر من شكل لغوي في حالة ما وشكلا لغويا آخر في حالة أخرى. وقد لاحظ أيضا أن هناك حالة خاصة لذلك، حيث يوجد شكلان لغويان للغة واحدة يستخدمها المجتمع بشكل متساو، ولكن لكل شكل دورا محددا يقوم به (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٣٢).[1] "ويجب أن نميز هذه الحالة الخاصة التي أسماها "ازدواجية

اللغة" عن الاستخدام المتبادل بين اللغة القياسية واللهجة الإقليمية، كما يجب تمييزها عن وضع يكون فيه استخدام لغتين منفصلتين... في مجتمع كلامي ما، والتي يكون لكل منها دور واضح محدد" (فرجسون، ١٩٧٢م، ص٢٣٣). في الوقت المناسب سأشرح أهمية هذه الاختلافات، أما في الوقت الحاضر فيكفي القول إن علينا في النهاية أن نقرر ما إذا كانت الحالتان اللتان يستبعدهما فرجسون مختلفتين حقا عن ازدواجية اللغة. ومضى فرجسون مستخدما أربعة مجتمعات كلامية ولغاتها، وهي العربية واليونانية الحديثة والألمانية المتحدثة في سويسرا، ولغة هيتي المزيج، في شرح ازدواجية اللغة تحت عناوين تسعة، وهي: الوظيفة، والمقام، والتراث الأدبي، والاكتساب، والتقييس، والثبات، والقواعد، والمعجم، والفونولوجيا.

الوظيفة

الوظيفة أهم معيار لازدواجية اللغة. وفي مفهوم فرجسون، فهناك شكلان لغويان مختلفان نوعا ما لنفس اللغة، والتي يسمى أحدهما باللهجة العليا، ويسمى الآخر باللهجة الدنيا. ففي العربية، العربية الفصحى، لغة القرآن، هي العليا، بينما تعود اللهجة الدنيا إلى الأشكال العامية المختلفة من اللغة، والتي تختلف من بلد عربي لآخر. وفي اليونانية، فاللهجة العليا تدعى كاثاريفوسا (وتعني، النقية)، أما اللهجة الدنيا فتدعى ديموطيقية، والديموطيقية اليونانية هي اللغة المحكية، بينما كاثاريفوسا هي نوع نقي من اليونانية محتفظة ببعض السمات اللغوية من اليونانية القديمة. وفي سويسرا المتحدثة للألمانية، فإن اللهجة العليا هي الألمانية القياسية، بينما تشكل اللهجات الألمانية المختلفة المتحدثة في سويسرا اللهجة الدنيا. واللغة الفرنسية في هيتي هي العليا، بينما الدنيا هي لغة هيتي المزيج المشتقة من الفرنسية. ويعني التوزيع الوظيفي لكل من اللهجات العليا والدنيا أن هناك حالات لا يمكن أن يستخدم فيها إلا اللغة العليا، أما

في حالات أخرى فلا يمكن استخدام سوى اللغة الدنيا، ولا تتدخل هـذه الحـالات إلا نادرا. والوظـائف التي تستدعي استخدام العليا هي تلك الرسمية والمتكلفة، بينما تكون الدنيا للاستخدام غير الرسمي، والمنزلي، وذلك غير متكلف. ويوضح الجدول (٢,١) قائمة فرجسون التي يدرج فيها الحالات النموذجية التي تميز بين الشكلين.

الجدول رقم (٢,١). الحالات النموذجية والاختيارات للهجات العليا والدنيا في ازدواجية اللغة

الحالة	اللهجة العليا	اللهجة الدنيا
الاحتفالات الدينية والخطب والمواعظ في المساجد والكنائس	x	
التعليمات للخدم والنادلين والعمال والباعة		x
الرسائل الشخصية	x	
الخطب في البرلمان والخطب السياسية	x	
المحاضرات الجامعية	x	
المحادثة مع العائلة والأصدقاء والزملاء		x
الأخبار المذاعة	x	
المسلسلات الإذاعية الشعبية		x
افتتاحيات الصحف، القصص الأخبارية، تعليقات الصور	x	
التعليقات على الرسوم الكاريكاتيرية السياسية		x
الشعر	x	
الأدب الشعبي		x

المصدر: فرجسون (١٩٧٢م، ص ٢٣٦).

ويعتبر استخدام الشكل اللغوي في حالة غير مناسبة غلطة اجتماعية كبيرة. فلو ألقى أستاذ جامعي محاضرته باستخدام اللهجة الدنيا، فسيعتبر إما مغفلا وإما متطرفا سياسيا. أما المتحدث الذي يستخدم اللهجة العليا في محادثة غير رسمية فهو إما أن

يكون عرضة للسخرية وإما أنه لن يرضى أحد مصاحبته؛ لأنه مغرور لا يمكن احتماله.

أما فيما يتعلق بالشعر والأدب الشعبي، فإن وجود شعر باللهجة الدنيا أمر شائع، ولكن في معظم المجتمعات، يعتقد أن الشعر المكتوب باللهجة العليا فقط هو الحقيقي.[٢] واللهجة العليا هي اللغة الرسمية في التعليم الرسمي، ولكن هناك اضطرارا لاستخدام الكثير من اللهجة الدنيا في المدارس.[٣] وسبب ذلك أن البراعة في اللهجة العليا محصورة في القليل من الصفوة، بينما يتحدث كل فرد في المجتمع اللهجة الدنيا. وعليه، فإن المدرسين يقضون بعض الوقت في شرح المواد المكتوبة باللهجة العليا، والتي قدمت في المحاضرة أو الكتاب المقرر مستخدمين اللهجة الدنيا.

المقام

يعتبر المتحدثون في المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية اللهجة العليا أرفع مقاما وأكثر أناقة ومنطقية، بينما يعتقد أن اللهجة الدنيا أقل مستوى منها للدرجة أن بعضهم لا يعترف بوجودها. وقد ذكر فرجسون (١٩٧٢م، ص ٢٣٧) أن العديد من المثقفين العرب والهيتيين يصرون على أنهم لا يستخدمون اللهجة الدنيا اطلاقا، بينما من الواضح تماما أنهم يستخدمونها في المحادثة اليومية. وهذا الإصرار ليس كذبا متعمدا، ولكنه بالأحرى نوع من خداع النفس. وحتى الناس الذين لا يفهمون اللهجة العليا سيصرون على استخدامها في المناسبات الرسمية كالخطابات السياسية وإلقاء الشعر. ويتقدم الاحترام الشديد للهجة العليا ومناسبتها للأغراض العليا على مدى فهمها كمعيار لاختيار اللهجة في هذه الحالات.

التراث الأدبي

هناك تراث أدبي كبير باللهجة العليا في ثلاثة من أمثلة فرجسون الأربعة والذي يحظى بإعجاب المجتمع الكلامي (الاستثناء في هذا السياق هي حالة اللغة اليونانية، كما سنرى). وتعتبر الأعمال الأدبية المعاصرة باللهجة العليا امتدادا لهذا التراث العظيم. ويبتعد التراث الأدبي في اللهجة العليا، على الأقل في الحالات الأربع، عن المجتمع المعاصر بطريقة من طريقتين. فللأدب جذوره إما في الماضي البعيد (كما في البلدان العربية ونوعا ما في المجتمع اليوناني) وإما في مجتمع كلامي آخر (في فرنسا وألمانيا على التوالي، لهيتي وسويسرا المتحدثة للألمانية).

الاكتساب

والأنماط المختلفة لاكتساب اللغة المرتبطة باللهجتين العليا والدنيا وجه مهم جدا لازدواجية اللغة. فاللهجة الدنيا هي المستخدمة عند التحدث إلى الأطفال، وهي التي يتكلم بها الأطفال فيما بينهم؛ ولذا فإن اكتساب اللهجة الدنيا يتم بطريقة طبيعية لاشعورية. أما اللهجة العليا فهي عادة ما تكون لغة مضافة، تُتعلَّم بعد أن تُكتسب اللهجة الدنيا بشكل كبير، وهي تكتسب عادة من خلال التعليم الرسمي في المدرسة. ولهذا النمط من الاكتساب أثران نموذجيان: أولا، أن من يترك المدرسة في الصفوف الدنيا، وهذه ظاهرة شائعة في أجزاء عديدة من العالم، قد لا يتعلمون اللهجة العليا على الإطلاق. ثانيا، أن من يتعلم اللهجة العليا فلن يصبح متمكنا منها كتمكنه من اللهجة الدنيا. والسبب وراء ذلك يكمن في أن اللهجة الدنيا تستخدم بانتظام في الاتصال اليومي، بينما تتعلم اللهجة العليا عن طريق حفظ قواعد النحو. وهذا يشبه الطريقة التي تُدرس بها اللغات الأجنبية في المدارس. ويستطيع المتعلمون تعليما متوسطا في تلك المجتمعات الكلامية ذات الازدواجية اللغوية استظهار قواعد النحو

للهجة العليا، ولكن لا يستطيعون ذلك بالنسبة لقواعد اللهجة الدنيا. ومن جهة أخرى، فهم، وبشكل لا شعوري، يطبقون القواعد النحوية للهجة الدنيا في حديثهم العادي بشكل يقترب من الكمال، بينما تكون القدرة المماثلة باللهجة العليا محدودة. وفي العديد من المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية، لو سُئل المتحدثون لأجابوا بأن اللهجة الدنيا لا تمتلك أي قواعد، وأن الحديث باللهجة الدنيا هو نتيجة الفشل في اتباع قواعد اللهجة العليا.

التقييس

ليس من المستغرب أن الشكل الأعلى من اللغة هو القياس بالوسائل المعتادة للتقعيد الرسمي. فهناك كتب المعاجم والنحو، ومرشدات النطق، وكتب القواعد للاستخدام الصحيح للهجة العليا، كما أن حروف الأبجدية وقواعد التهجية راسخة للهجة العليا، ولا تختلف كثيرا. وبالمقابل فمن النادر وجود أي من تلك الدراسات على اللهجة الدنيا (وهذا متوقع طالما اعتقد بعدم وجود اللهجة الدنيا، أو أنها شكل محرف للهجة العليا). أما تلك الدراسات الموجودة للهجة الدنيا فمن المرجح أن يكون علماء من مجتمعات كلامية أخرى قد قاموا بها، وغالبا ما تكتب بلغات أخرى. ويصعب كتابة اللهجة الدنيا بسبب افتقارها لقواعد تهجية راسخة، ولكن في معظم الحالات لا يرغب أحد في الكتابة باللهجة الدنيا.

الثبات

ازدواجية اللغة ظاهرة ثابتة جدا، وهناك حالات كثيرة استمرت لعدة قرون. ومن الممكن القول بأن ازدواجية اللغة مطلوبة حتى يُحافَظ على أكثر من شكل للغة في المجتمع الواحد. وفي الواقع يعتمد هذا على حجم رغبتنا في تعريف ازدواجية اللغة.

ويُحل التوتر بين اللهجتين العليا والدنيا في ازدواجية اللغة بتطوير خليط أشكال متوسطة من اللغة، والتي تشترك مع اللهجتين العليا والدنيا في بعض الخصائص. واقتراض مفردات اللهجة العليا حال استخدام اللهجة الدنيا أمر معتاد، ولكن استخدام مفردات اللهجة الدنيا في حال اللهجة العليا أقل شيوعا، ولكنه يحدث.

القواعد

بالرغم من أن منظور فرجسون لازدواجية اللغة يتطلب أن تكون للهجتين العليا والدنيا أشكال من نفس اللغة نفسها، إلا أن هناك اختلافا كبيرا نوعا ما في القواعد النحوية للهجتين العليا والدنيا. فمثلا، يوجد في الألمانية النموذجية أربع حالات للاسم وزمنان بسيطان للصيغ الإخبارية، يقابله في الألمانية المتحدثة في سويسرا ثلاث حالات للاسم وزمن بسيط واحد. ويظهر الاسم في الفرنسية المطابقة بالعدد والجنس، بينما لا يظهر أي من الأسماء في اللغة المزيج لهيتي. وفي النحو، فوجود جمل معقدة ذات تراكيب تابعة كثيرة أمر مناسب في اللهجة العليا، ولكن هذا يبدو متكلفا واصطناعيا إذا حاول أحدهم استخدامها في بعض الحالات في اللهجة الدنيا. وباختصار، واعتمادا على فكرة "البساطة" البديهية في القواعد، فإن قواعد اللهجة الدنيا أبسط من القواعد النحوية للهجة العليا.(٤)

المعجم

بوجه عام، هناك اشتراك بين اللهجتين العليا والدنيا في المفردات، وكما قد يتوقع، فالكلمات الفصيحة والمصطلحات التقنية كـ "الانشطار النووي" لا توجد إلا في اللهجة العليا فقط. وفي نفس الوقت، هناك كلمات باللهجة الدنيا للأشياء المنزلية، مثل أدوات المزرعة وبعض آنية الطبخ، والتي لا يوجد لها مقابل في اللهجة العليا.

ولكن أكثر الخصائص المذهلة لازدواجية اللغة، فيما يتعلق بالمعجم، هي وجود أزواج من المفردات، واحد باللهجة العليا والآخر باللهجة الدنيا، لمفاهيم تذكر غالبا. وقد أعطى فرجسون مثالا على ذلك من اليونانية، حيث زوج الكلمات للنبيذ (للشكل الأعلى كلمة inos، وللشكل الأدنى كلمة krasi). ويكتب في قائمة الطعام في المطعم كلمة للشكل الأعلى، بينما يطلب الزبون من العامل ذلك الشيء مستخدما كلمة الشكل الأدنى (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٤٢-٣). ويقترح فرجسون المثال الموازي لهذا في الإنجليزية الأمريكية، وهو زوج الكلمات الرسمي children ويقابلها الكلمة الأكثر عامية kids (كلتاهما يعني أطفالا). ولكن هذا المثال الموازي لا ينطبق تماما، فمن المقبول جدا استخدام أي من الكلمتين في المحادثة اليومية وفي الكتابة. وفي مجتمعات ازدواجية اللغة يكتب عادة فقط الشكل التابع للهجة العليا، بينما يتوقع شكل اللهجة الدنيا في المحادثة اليومية (فرجسون، ١٩٧٢م ص ٢٤٣).

الفونولوجيا

هناك مجال كبير من الاختلافات في فونولوجيا اللهجتين العليا والدنيا، تتراوح بين اختلافات طفيفة في حالة اليونانية واختلافات أكبر في حالة الألمانية السويسرية. وبرغم ذلك، ففرجسون الذي يفكر بالنظرية الصوتية للفونولوجيا التي كانت سائدة في عام ١٩٥٩م يقول: إنه يصح التعميم "بأن نظامي الصوت للهجتين العليا والدنيا يؤلفان تركيبا فونولوجيا واحدا، تكون فيه فونولوجيا اللهجة الدنيا هي الأساس، أما الخصائص المختلفة بالتركيب الصوتي للهجة العليا فهي إما جزء من النظام وإما نظام محاذ" (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٤٤). واقترح كازازيس Kazazis (١٩٦٨م) وفي ضوء نظرية الفونولوجيا التحويلية أنه كقاعدة فإن فونولوجيا اللهجة العليا أقرب للصيغ التحتية الشائعة في كل اللغة (طبقت قواعد أقل في الاشتقاقات الفونولوجية

لأشكال اللهجة العليا) وأن فونولوجيا اللهجة الدنيا أبعد عن الصيغ التحتية (نسبيا تطبق قواعد أكثر في اشتقاق أشكال اللهجة الدنيا). ويتفق هذا التفسير مع تفكير فرجسون الأصلي، طالما أن الاشتقاقات الفونولوجية في كلا اللهجتين تبدأ تقريبا بالتركيب التحتي الفونولوجي نفسه. وقد يكون لأحد الأشكال قليل من المقابلات التحتية وطرق ضم الأصوات، والتي لا توجد في الشكل الثاني، ولكن هذا ليس كافيا للقول بأن هناك تركيبين مختلفين.

تعريف فرجسون الكامل

وبعد أن ناقش فرجسون السمات التسع لازدواجية اللغة أعطى تعريفا كاملا لازدواجية اللغة، غالبا ما يستشهد به (فرجسون ١٩٧٢، ص ٢٤٥):

ازدواجية اللغة هي حالة لغوية ثابتة نسبيا يكون فيها - بالإضافة إلى لهجات اللغة الأساسية (والتي قد تشمل لهجة نموذجية أو لهجات نموذجية إقليمية) - نوع من اللهجات مختلف اختلافا كبيرا عن غيره من الأنواع ومقعد للغاية. (وعادة ما يكون هذا النوع أكثر تعقيدا من الناحية القواعدية)، وعادة ما يكون أعلى من غيره. ويكون هذا النوع عادة لغة لأدب مكتوب يحظى باحترام أفراد المجتمع، ويكون مصدر هذا الأدب إما من عصور سابقة وإما من مجتمع كلامي آخر غير المجتمع الذي توجد فيه ازدواجية اللغة. وهذا النوع من اللغة يُتعلم عن طريق التعليم الرسمي، ويستخدم للعديد من أغراض الكتابة والتحدث الرسمية، ولكن هذا النوع من اللهجة لا يستخدمه أي قطاع من قطاعات المجتمع لغرض المحادثة العادية.

بالإضافة إلى النقاط التي أوضحها هذا التعريف والتي ناقشناها سابقا، لاحظ أنه يجب أن تكون اللهجتان العليا والدنيا شكلين للغة نفسها (أي ليستا بعيدتي

الارتباط ، كما لا يمكن أن يكونا لغتين منفصلتين). وفي الوقت نفسه وعند مقارنتها باللهجة الدنيا ، فإن اللهجة العليا "متباينة كثيرا" (أي أنه لا يمكن أن تكون اللهجتان العليا والدنيا متشابهتين كثيرا من الناحية اللغوية ، كما لا يمكن أن تكونا أساليب مختلفة تماما أو لهجات خاصة) لاحظ أن زوج الازدواجية اللغوية يكون "إضافة إلى اللهجات الأساسية للغة" وأن اللهجة العليا لا تستخدم للمحادثة من قبل "أي قطاع من المجتمع". وهذه النقطة الأخيرة ، كما سيتضح فيما بعد ، أساسية لتمييز ازدواجية اللغة عن اللهجة النموذجية ذات اللهجات الإقليمية . وستكون هناك مناسبة للعودة إلى هذه النقطة لاحقا.

نتائج ازدواجية اللغة

إحدى النتائج الثلاث لازدواجية اللغة التي ذكرها فرجسون (١٩٧٢/ ، ص ٢٤٨) هي بالطبع أنها قد تبقى ثابتة لزمن طويل جدا. وتحت ظروف معينة ، فقد يؤدي ظهور ضغوط ما إلى زوالها. وقد ذكر فرجسون أن شيوع التعليم واتساع الاتصال في عموم البلد هما صورتان لتلك الضغوط. ومن المحتمل أن يسبب انتشار الإلمام باللهجة العليا وزيادة استخدام اللغة المكتوبة إلى عدم وضوح الفوارق اللغوية بين اللهجتين العليا والدنيا. والعامل الثالث هو نشأة القومية والرغبة في لغة قومية كرمز لها ، وهذه ظاهرة تعرفنا عليها في الفصل الأول. وفي هذه الحالة ، سيكون هناك الكثير من الجدل الساخن بين مؤيدي اللهجة العليا ومؤيدي اللهجة الدنيا حول أيهما أنسب كلغة قومية ، ولكن عادة فوز أحد الأشكال اللغوية لا يأتي كنتيجة لذلك الجدل ولا حتى نتيجة لتشريع في أمر اللغة. وأفضل تخمين بما سيكون عليه الوضع هو أن اللهجة الدنيا المتحدثة في مركز التواصل للمجتمع الكلامي ستصبح الأساس للغة القومية النموذجية ، ولكن من المحتمل وجود خليط بين اللهجتين العليا والدنيا. والنتيجة الثالثة

المحتملة هي أن تصبح اللهجة العليا الشكل النموذجي النهائي. ولكن فرجسون يعتقد، وقد يكون هذا الاعتقاد صحيحا، أن هذا قد يحدث في ظل ظرفين فقط، فقد تصبح اللهجة العليا هي النموذجية: (١) إذا كانت اللهجة العليا هي اللغة النموذجية في بعض المجتمعات الأخرى، و(٢) إذا اندمج مجتمع ازدواجية اللغة مع ذلك المجتمع الآخر. وإذا كان فرجسون محقا، فلن يكون هناك أمل في أن تصبح العربية الفصحى اللغة القومية لأي بلد عربي، (بالرغم من أنها قد تسمى باللغة القومية أو الرسمية)، ولا أن تلعب كاثاريفوسا وظيفة اللغة القومية في اليونان. وقد تصبح الألمانية النموذجية أو الفرنسية اللغة القومية لمتحدثي الألمانية في سويسرا أو هيتي، على التوالي، فقط إذا اندمجت مع ألمانيا وفرنسا. ولا داعي للقول هنا بأن احتمال وقوع ذلك في أي من الحالتين بعيد جدا.

وصف فيشمن لازدواجية اللغة

نشر جوشوا فيشمن مقالا في عام ١٩٦٧ عّدل فيه مفهوم ازدواجية اللغة وتوسع فيها.(٥) يعتقد فيشمن أن من الواجب تمييز ازدواجية اللغة عن ثنائيتها. وفي هذا السياق، فإن ثنائية اللغة موضوع لعلماء النفس، وعلماء علم اللغة النفسي، فهي ترجع إلى القدرة الفردية على استخدام أكثر من ضرب واحد من اللغة. أما ازدواجية اللغة فهي موضوع يدرسه علماء الاجتماع وعلماء علم اللغة الاجتماعي، كما ترجع إلى توزيع أكثر من ضرب لغوي لخدمة غايات التواصل المختلفة في المجتمع. وقد عدل فيشمن اقتراح فرجسون المبدئي بطريقتين مهمتين: أولا، قلّل فيشمن من أهمية الحالات المقتصرة على وجود شكلين للغة نفسها. فقد سمح بوجود "عدة رموز منفصلة"، بالرغم من أن هذا الفصل يجب أن يكون "غالبا بوجود لغة عليا من جهة، ولغة دنيا من جهة أخرى -نقل النص دون تعديل) لفيشمن ١٩٧٢: ص٩٢].(٦) ثانيا،

بينما يحصر فرجسون مصطلح ازدواجية اللغة في الحالات التي تقع في المدى المتوسط من الترابط اللغوي (فروق أكثر مما يوجد بين الأساليب وأقل مما يوجد بين اللغات المنفصلة)، يقوم فيشمن بتخفيف هذا الحصر فهو يصادق على الفكرة التي يعزوها إلى جون قمبرز بأنه "لا يقتصر وجود ازدواجية اللغة على مجتمعات تعددية اللغة، والتي يُعترف فيها بشكل رسمي بوجود لغات متعددة، كما لا يقتصر على المجتمعات التي تستخدم أشكالا عامية وفصحى، ولكنها توجد أيضا في المجتمعات التي تستخدم لهجات منفصلة، أو لغات خاصة، *أو ضروبا لغوية مختلفة وظيفيا مهما كان نوعها* (فيشمن، د ١٩٧٢م، ص٩٢، الخط المائل موجود في الأصل). ويمكن أن يشير استخدام فيشمن لمصطلح ازدواجية اللغة إلى أي درجة من الاختلاف اللغوي، والذي يتراوح بين استخدام أكثر الاختلافات الأسلوبية دقة في اللغة الواحدة واستخدام لغتين غير مترابطتين تماما، وهذا بالطبع يشمل الأشكال اللغوية التي أوردها فرجسون. والاختبار المهم هو أنه يجب تمييز الاختلافات اللغوية وظيفيا داخل المجتمع. بالإضافة إلى ذلك، وجد فيشمن أن درجة ثنائية اللغة الفردية الموجودة في المجتمع تعتبر معيارا تصنيفيا مهما. ويشرح عرضه، الموجود في جدول رقم (٢,٢) التفاعل بين ثنائية اللغة وازدواجيتها. ويجب فهم مصطلح ثنائية اللغة في جدول رقم (٢,٢) بشكل خاص نوعا ما؛ ليعني شيئا يقارب "إتقان كل من اللغتين العليا والدنيا موجود في عموم المجتمع". أما ازدواجية اللغة فتشير إلى التوزيع الوظيفي للغتين العليا والدنيا.

وحتى يمكن وصف مجتمع كلامي بأنه ذو ثنائية وازدواجية لغوية يجب على كل فرد تقريبا أن يعرف كلا من الشكلين الأعلى والأدنى، وأن يكون الشكلان موزعين بشكل نموذجي لازدواجية اللغة. وقد استشهد فيشمن ببلد نعرفه الآن كمثال على الأمة التي تقارب هذه الحالة، وهي براغوي. من الواضح تماما أن قوارني تخدم كلغة دنيا، وأن الإسبانية هي اللغة العليا. وتبين إشارة فيشمن هذه إلى البراغوي كيف أنه

يمكن للغتين متباعدتين تماما من الناحية اللغوية أن تكونا وتستمرا بعلاقة وازدواجية اللغة كما يراها فيشمن. فالإسبانية لغة هندية-أوروبية، بينما قوارني لغة أمريكية أصلية، وهناك اختلافات كبيرة في التركيب بينهما.(٧) وعند النظر إلى كل مقاطعة في سويسرا المتحدثة للألمانية كمجتمع كلامي مستقل ذي قومية فرعية، فإننا نحصل على أمثلة أخرى للمجتمعات الكلامية ذات الثنائية والازدواجية اللغوية. وبسبب نظام التعليم الفعال جدا، فإن معظم السويسريين ممن هم في عمر المدارس أو أكبر يبدلون بين استخدام الألمانية السويسرية والألمانية النموذجية، ويوزعون استخدامهما بشكل نموذجي لازدواجية اللغة.

الجدول رقم (٢و٢). العلاقة بين ثنائية اللغة وازدواجيتها.

		ازدواجية اللغة +	ازدواجية اللغة −
ثنائية اللغة	+	(١) ازدواجية اللغة مع ثنائيتها	(٢) ثنائية اللغة بدون ازدواجيتها
	−	(٣) ازدواجية اللغة بدون ثنائيتها	(٤) انعدام ازدواجية اللغة وثنائيتها

المصدر: فيشمن (د ١٩٧٢م، ص ٧٥).

ولكي يكون لدينا ازدواجية لغة دون ثنائيتها نحتاج إلى وجود جماعتين منفصلتين تعيشان داخل كينونة سياسية أو دينية أو اقتصادية واحدة. وإحدى هاتين الجماعتين هي الجماعة الحاكمة والتي تتحدث فقط اللغة العليا. أما الأخرى، وعادة ما تكون جماعة أكبر، فليس لها أي سلطة في المجتمع وتتحدث حصرا اللغة الدنيا. فمثلا

لم تكن مثل هذه الحالات نادرة قبل الحرب العالمية الأولى في أوروبا، ولكن يصعب وجودها في الوقت الراهن. ومثال على ذلك قد تكون إحدى الفترات في تاريخ روسيا القيصرية، فخلال تلك الفترة كان النمط السائد أن يتحدث النبلاء الفرنسية فقط، بينما يتكلم عامة الروس اللغة الروسية فقط. وأمثلة أخرى هي المستعمرات الآسيوية والإفريقية للبلدان الأوروبية بالرغم من أنه قد يكون هناك بالطبع عدة لغات دنيا، وليس لغة واحدة فقط. والمجتمعات ذات الازدواجية اللغوية دون ثنائية اللغة ليست مجتمعات كلامية؛ لأن الجماعتين لا تتفاعلان إلا بشكل قليل ومن خلال المترجمين أو باستخدام لغة خليط.

وثنائية اللغة بدون ازدواجيتها هو الوصف الذي أعطاه فيشمن للمجتمعات التي يكون فيها عدد كبير جدا من ذوي ثنائية اللغة، ولكنهم لا يقتصرون على استخدام إحدى اللغتين في مجموعة من الظروف واللغة الأخرى في مجموعة أخرى. فيمكن استخدام أي من اللغتين لأي غرض. وتنشأ مثل هذه المجتمعات من خلال التغيرات الرئيسة في علاقات ازدواجية اللغة، وهي غير مستقرة إلى أبعد حد، أو انتقالية (فيشمن، د ١٩٧٢م، ص١٠٥). وثنائية اللغة دون ازدواجيتها هي نتيجة "تسرب" ازدواجية اللغة. وتشير ازدواجية اللغة المتسربة إلى الحالات التي يتسرب فيها استخدام أحد الضروب اللغوية إلي وظائف كانت سابقا محفوظة للشكل الآخر. ومحصلة ثنائية اللغة دون ازدواجيتها فيما يخص الضروب اللغوية ذاتها ستكون إما ضربا جديدا، وهو مزيج من ضروب اللغتين العليا والدنيا القديمتين (خاصة إذا كانت اللغتان العليا والدنيا متشابهتين تركيبيا)، وإما إحلال أحدهما مكان الآخر (خاصة إذا كانت اللغتان العليا والدنيا مختلفتين تركيبيا). ومثال على ثنائية اللغة دون ازدواجيتها، والذي تتقهقر فيه اللغة الدنيا أمام اللغة العليا، هي المنطقة التي يتحدث أهلها الألمانية في بلجيكا، كما أورد ذلك فيردوت Verdoodt (١٩٧٢، ص ٣٨٢ -٥). وهناك

يسبق التحول من الألمانية إلى الفرنسية انتشار ثنائية اللغة التي يمكن من خلالها استخدام أي من اللغتين للقيام بأي غرض تقريبا.

والنمط الأخير الممكن منطقيا هو انعدام كل من ثنائية اللغة وازدواجيتها، ولأن فيشمن يرغب في أن يعترف حتى بالاختلافات اللغوية على مستوى الأسلوب على أنها من ضمن مفهوم ازدواجية اللغة، فمن الصعب جدا إيجاد أمثلة على هذا المربع من الشكل رقم (٢,٢)، ووجود مثل هذه الحالة يتطلب وجود مجتمع كلامي صغير جدا ومعزول وتكون فيه مساواة بين الأفراد. ويجب أن يكون هناك ضرب لغوي واحد، دون تمييز بالأدوار الذي يستدعي حتى الاختلافات الأسلوبية في الحديث، أو على الأقل اختلافات أسلوبية قد ينجم عنها وجود أسلوب أعلى وأسلوب أدنى. وطبقا لفيشمن فإن مجتمعات المربع مزدوج النفي في الجدول رقم (٢,٢) تصفي نفسها (فيشمن، ١٩٧٢، ص ١٠٦).

ومن بين أنواع المجتمعات الأربعة ، هناك فقط نوعان من أمثلة ازدواجية اللغة (ازدواجية اللغة مع ثنائيتها أو دونها). وهذه فقط هي الأنواع الثابتة. ومن المفيد النظر عن كثب إلى الاختلاف الدقيق بين هذين النوعين. فكلاهما يوصف بازدواجية اللغة؛ لذا لا بد أن يكون الاختلاف في ثنائية اللغة، حيث يقال عن أحدهما: إنه مجتمع "ذو ثنائية لغوية"، أما الآخر فهو مجتمع "بدون ثنائية لغوية". وهذا يعني أن ثنائية اللغة باللغة العليا أو الدنيا إما عامة تقريبا وإما غير موجودة على الإطلاق. وكما بين فرجسون فإن الوضع النموذجي لازدواجية اللغة هو أن تكون هناك ثنائية لغوية جزئية. وطالما أن اللغة الدنيا معروفة من قبل الجميع تُتعلم اللغة العليا من قبل الأفراد ذوي التعليم العالي، فإن ثنائية اللغة بالشكلين الأعلى والأدنى محصورة بأولئك الذين حصلوا على المقدار والنوع المطلوب من التعليم. ويشكل الأفراد ذوو الثنائية اللغوية تقريبا طبقة الصفوة، والتي يتراوح تكوينها بين جزء صغير جدا من المجتمع – ليس أكثر

من ١٢٪ في هيتي (ستيوارت **Stewart**، ١٩٦٣م، ص ١٥١) أو ١٥٪ في ازدواجية اللغة السواحيلية –الإنجليزية في تنزانيا (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ص١٣٧) وجزء آخر يشكل نحو ٤٠٪ من مجموع السكان في براغوي (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٥) إلى أن يصل تقريبا إلى كافة أفراد المجتمع في الكانتونات السويسرية (وينراخ Weinreich، ١٩٦٨م، ص ٨٩؛ فيشمن، د ١٩٧٢م، ص٩٥). (وبالطبع فكلمة "الصفوة" لا تعني الكثير في الحالة السويسرية). وفي الماضي، فإن طبقة الصفوة قد لا تكون ذات ثنائية لغوية، ولكن أحادية لغوية باللغة العليا، ولكن هذا النمط اختفى نهائيا ولا يعتبر صفة للمجتمع الكلامي في أي حالة من الأحوال. ومن بين المربعات الأربعة في جدول رقم (٢و٢)، فإن ما تبقى كازدواجية لغوية حقيقية هو ازدواجية اللغة مع ثنائيتها (بدرجات مختلفة ومتغيرة) (قارن جونسون، ١٩٧٥م).

مقارنة بين مفهومي فرجسون وفيشمن لازدواجية اللغة

لقد أثارت دراستا ازدواجية اللغة عدة قضايا مهمة في تعريف الظاهرة ومفهومها. تذكر أن فرجسون أراد تمييز ازدواجية اللغة عن العلاقة بين اللغات النموذجية واللهجات الإقليمية، وأيضا عن التوزيع المشابه لذلك الموجود في ازدواجية اللغة للغات المرتبطة بشكل غير وثيق واللغات غير المرتبطة على الإطلاق. ولم يقل فيشمن شيئا عن اللهجات الإقليمية، ولكن من الواضح أن مفهومه الازدواجية اللغة يشمل ازدواجية اللغة للغة في جميع مستوياتها. وقد ذكر فيشمن احتمالية أن يكون هناك أكثر من ضربين لغوين يخصصان لوظائف محددة في المجتمع، بالرغم من أنه لم يناقش مثل هذه الحالات على أنها ازدواجية لغوية. ويقتصر منظور فيشمن لازدواجية اللغة على ضربين لغويين فقط. ويتفق العالمان إلى درجة كبيرة في موضوع التوزيع الوظيفي في المجتمع، فلدى كليهما المفهوم الأساسي نفسه، وهو أن الضروب العليا

للغة تستخدم للأغراض الرسمية أما الضروب الدنيا فتخصص لاستخدامات أقل رسمية ولها طابع شخصي أكثر. وهذا يضعنا أمام أربعة أسئلة تحتاج إلى نقاش أكبر. يتعلق السؤال الأول بموضوع اللغة النموذجية واللهجات، فهل يجب تمييز ازدواجية اللغة عن اللغات النموذجية ولهجاتها؟ أما السؤال الثاني فيتعلق بمسألة الثنائية: فهل يجب حصر الظاهرة المعروفة بازدواجية اللغة بالتوزيع الوظيفي لضربين فقط من ضروب اللغة. والسؤال الثالث يتعلق بمسألة القرابة: فهل من الواجب فهم ازدواجية اللغة على أنها تنطبق فقط على الدرجة المتوسطة من القرابة اللغوية التي حددها فرجسون؟ أم أنها تنطبق على أي درجة من القرابة مهما كانت؟ أما السؤال الرابع والأخير فيتعلق بمسألة الوظيفة: ما هي الطبيعة الدقيقة للوظائف الاجتماعية التي تقترن بها ضروب اللغتين العليا والدنيا؟

مسألة اللغة النموذجية ولهجاتها

كما أشار فرجسون نفسه (١٩٧٢م، ص ٢٣٢)، فمرارا ما يستخدم متحدثو اللهجات الإقليمية لبعض اللغات لهجاتهم المحلية واللغة النموذجية بطرق توازي التوزيع الموجود في ازدواجية اللغة. فتستخدم اللهجة المحلية في البيت وبين الأصدقاء المحليين . بينما تنتقى اللغة النموذجية للاتصال مع متحدثي اللهجات الأخرى أو في الأمور العامة. ومضى فرجسون قدما ليقترح "أن بعض الأمثلة لهذه العلاقة قد تكون قريبة لازدواجية اللغة أو ربما من الأفضل اعتبارها ازدواجية لغوية" (فرجسون ١٩٧٢، ص ٢٤٥). ولكن ما يهم فرجسون هو أن لا تستخدم أي فئة من فئات المجتمع اللغة العليا لأغراض الحديث اليومي. وهذا بالتأكيد يبدو صحيحا لحالات ازدواجية اللغة التي رأيناها. أما في حالة اللغة النموذجية واللهجات، "فإن اللغة النموذجية عادة ما تشبه الضرب اللغوي الموجود في إقليم معين أو التابع لجماعة

اجتماعية ما (مثلا اللغة الفارسية في طهران، أو البنغالية في كلكتا)، والتي تستخدم تقريبا بشكل طبيعي لأغراض التحدث اليومي من قبل أعضاء الجماعة، وتستخدم كضرب فوقي من قبل الآخرين" (فرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٤٥). وبمعنى آخر، طالما أنه من الممكن أن نجد بعض الجماعات في المجتمع الكلامي تستخدم الشكل الأعلى المفترض في الحديث اليومي، حتى ولو كان هناك جماعات أخرى لا تستخدم تلك الوظيفة، فإننا لسنا أمام حالة لازدواجية اللغة، ولكن عوضا عن ذلك فهي حالة لغة نموذجية ولهجات. ولكن هذا المعيار يعتمد بشكل كبير على معنى مصطلح "المجتمع الكلامي". فهناك بالتأكيد من يستخدم اللغة العليا لهيتي (الفرنسية) في المحادثة اليومية، ولكنهم يعيشون في فرنسا، وليس في هيتي. وبالطريقة نفسها، تستخدم الألمانية السويسرية العليا للتفاعل العادي، ولكن في ألمانيا وليس في سويسرا. ولا يعرف فرجسون "المجتمع الكلامي"، ولكن مناقشته تشير إلى أن فكرته الضمنية عن المجتمع الكلامي هي تقريبا "جميع من يعيشون داخل حدود بلد ما ويتحدثون اللغة" نفسها. وقد نوقش مصطلح "المجتمع الكلامي" كثيرا في اللسانيات الاجتماعية (على سبيل المثال، لابوف Labov، ١٩٦٦، ص١٢٥؛ هايمز، ١٩٧٤، ص٥١؛ بايلي Bailey، ١٩٧٣، ص٦٥؛ فمبرز، ١٩٦٢، ص٣١؛ ميلوري Milroy ١٩٨٠م، سافيل - ترويك Saville- Troike، ١٩٨٢م)، ومن الصعب أن نجد إجماعا تاما على معنى "المجتمع الكلامي"، ولكن ليس هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن لذلك صلة مهمة بالحدود السياسية.

وعموما لن أحاول تعريف "المجتمع الكلامي" ولكني أقترح تعريف *المجتمع ذي الازدواجية اللغوية* بأنه وحدة اجتماعية تشترك في الضروب اللغوية العليا والدنيا نفسها.(٨) وعلى كل مجتمع كلامي أن يشترك ليس فقط في اللغة العليا نفسها، ولكن أيضا في اللغة الدنيا. وهذا يعني أن سويسرا المتحدثة بالألمانية ليست مجتمعا كلاميا

واحدا فيما يتعلق بازدواجية اللغة، لكن هناك مجتمعا كلاميا واحد لكل لهجة مميزة من اللهجات الألمانية في سويسرا. وأقصد بكلمة "مميزة" أنها مميزة من قبل الناس الذين يستخدمون هذه اللهجات، ولا أقصد مميزة بالمعايير اللغوية التقنية. ونموذجيا، فإن مجتمعات عديدة لازدواجية اللغة طبقا لهذا التعريف تشترك في اللغة العليا نفسها، ولكنها تتميز بضروبها اللغوية الدنيا.(٩) ويشرح الشكل رقم (٢,١) هذه الحالة. وينطبق الشكل رقم (٢,١) على المجتمعات السويسرية متحدثة الألمانية، كما ينطبق أيضا على اللهجات الإقليمية المختلفة التي تشترك في اللغة النموذجية نفسها لبلد واحد فقط. ولهذا، فكل لهجة إقليمية تميز مجتمعا مختلفا لازدواجية اللغة، وفي كل واحد منها لا يستخدم أحد اللغة النموذجية لأغراض المحادثة العادية. وإذا كان هناك جماعة داخل البلد نفسه تستخدم اللغة النموذجية أو شكلا مقاربا لها لجميع الوظائف، فإن هذه الجماعة لا تشكل قطاعا من أي من هذه المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية، ولكنها تشكل مجتمعا منفصلا (ليس بالضرورة مجتمع ازدواجية لغوية، على الأقل بالمعنى نفسه)، لأنها لا تشترك مع أي منها بضرب لغوي أدنى. وإذا قُبل هذا التعريف للمجتمع الكلامي ذي الازدواجية اللغوية، فعلينا عندها التخلي عن التمييز بين اللغة ومعظم أمثلة اللغة النموذجية ولهجاتها.

شكل لغوي أعلى			
شكل لغوي أدنى ١	شكل لغوي أدنى ٢	شكل لغوي أدنى ٣	شكل لغوي أدنى ٤

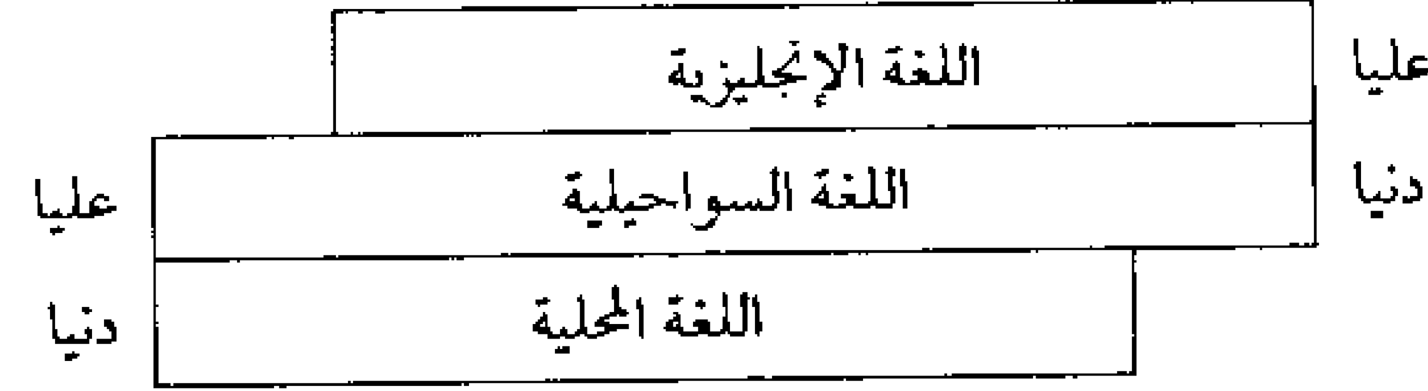
الشكل رقم (٢,١). مجتمعات كلامية تشترك في الشكل اللغوي الأعلى نفسه، ولكنها تتميز بأشكال لغوية دنيا مختلفة. تمثل المربعات مجتمعات ازدواجية لغوية منفصلة.

مسألة الثنائية

هل من المفيد التمييز بين الاختلاف الوظيفي للغتين عن الاختلاف المماثل لأكثر من لغتين؟ وللإجابة على هذا السؤال، سنضطر للنظر إلى أمثلة للاختلاف الوظيفي للغات متعددة. وهناك ثلاثة أنواع مدهشة "للتعددية اللغوية" المشتملة على لغات متعددة أوردتها الدراسات السابقة: (١) ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة (في تنزانيا) (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م)؛ (٢) ازدواجية اللغة ثنائية التداخل (في خالبور في الهند) (قمبرز، ١٩٦٤م)؛ و (٣) تعددية اللغة الخطية (سنغافورا وماليزيا) (بلات Platt، ١٩٧٧م).

ازدواجية اللغة المضعّفة المتداخلة

وصف عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨) الحالة في تنزانيا على أنها ثلاثية اللغة، وبتعمق أكثر وصفها على أنها "حالة تقاطع بين حالتي ازدواجية لغوية في طور النمو، تشمل الأولى السواحيلية وبعض العاميات، بينما تشمل الأخرى السواحيلية والإنجليزية" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ص ١٣٤). وهذا التقاطع بين حالات ازدواجية اللغة هو ما أسميه ازدواجية اللغة المُضعفة المتداخلة. وتنزانيا مستعمرة سابقة لبريطانيا كانت تدعى تانقانيكا، وبعد ذلك ائتلفت مع زنجبار. وكما قد يتوقع الشخص من مستعمرة سابقة، فهي، كما ورد في الفصل الأول، ائتلاف إجباري لجماعات اجتماعية ثقافية متعددة، يضاف إليها لغة المستعمر. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك انتشار شاسع للغة مشتركة هي السواحيلية، والتي تطورت حاليا كلغة قومية. وفي هذا الوقت، فالسواحيلية تتعلق بنظامين لازدواجية اللغة: كلغة عليا مع اللغات المحلية التنزانية المختلفة كلغات دنيا، وكلغة دنيا مع الإنجليزية كلغة عليا. ويمكن شرح هذا الوضع بالشكل رقم (٢، ٢).



الشكل رقم (٢,٢). ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة.

وشرح عبد العزيز مخيلفي بتفصيل مدهش كيف يحدث كل هذا. وقد بني نقاشه على بيانات جمعها من ١٥ تنزانيا ثنائي اللغة بالسواحيلية والإنجليزية، ويتحدث جميعهم، باستثناء فردين فقط، إحدى اللغات المحلية أيضا. وبالرغم من قلة عدد أفراد العينة، فإن تقاريرهم لا تعكس صورة شاذة بأية حال من الأحوال. وقد تعلم جميع الأفراد ممن كانت السواحيلية لغتهم الأم، باستثناء فردين، اللغات المحلية أولا في المنزل قبل أن يدخلوا المدرسة، علما بأن معظمهم تعلم بعض السواحيلية أيضا. وهذا بالطبع هو النمط النموذجي لاكتساب ضروب اللغة الدنيا المختلفة. وقد قال الأفراد الذين عرفوا السواحيلية إلى جانب لغاتهم المحلية: إنهم لم يدركوا أنهم كانوا يتحدثون (أو يخلطون) لغات مختلفة حتى بدأوا بالتعلم في المدرسة. وقد أدى هذا الوضع جزئيا إلى حقيقية أن جميع اللغات المحلية والسواحيلية نفسها تنتمي إلى لغات البانتو ولها تراكيب لغوية متشابهة ورصيد أساسي من المفردات. وهذا يذكرنا بالسيولة اللغوية الموجودة في شمال الهند وباللغات المترابطة جدا في تشاكو في براغوي. وفي المدرسة الابتدائية كانت السواحيلية لغة التعليم، في البداية أو بعد أن تكون اللغة المحلية قد استخدمت في المرحلتين الأوليين من الدراسة. وهذا التقديم لضرب لغوي جديد في المدرسة يعتبر نموذجا لاكتساب ضرب اللغة العليا. وبما أن المدارس الابتدائية كانت موجودة بالمنطقة التي تتحدث فيها اللغات المحلية، كان من الممكن استخدام اللغات المحلية في جميع أغراض المحادثة مع أفراد العائلة والناس المحليين، أما السواحيلية فكانت لغة المدرسة

فقط. وبهذه الطريقة نشأ نمط لازدواجية اللغة بين اللغات المحلية والسواحيلية.

تغيرت الأمور عند ابتداء المرحلة الثانوية من الدراسة. وفي الوقت الذي دخل فيه أفراد عينة الرواة عند عبد العزيز مخيلفي في المدرسة الثانوية، كان هناك عدد قليل من المدارس الثانوية في البلد بأكمله مما اضطر الطلاب إلى مغادرة مواطنهم الأصلية للالتحاق بالمدارس الثانوية. وبسبب عدم قدرتهم على استخدام لغاتهم المحلية للمحادثة مع الأصدقاء؛ لأن معظمهم يتحدثون لغات محلية مختلفة، بدأوا باستخدام السواحيلية لهذه الوظائف النموذجية "للغة الدنيا".(١٠) وفي الوقت نفسه، كانت الإنجليزية تُدرس كمادة دراسية، وكلغة تعليم، ويتعلمها الشباب بحماسة. شُدِّد على الإنجليزية كمطلب للنجاح، وكان من المطلوب استخدامها كلغة وحيدة داخل المدرسة خشية العقاب. وهذا يشبه تأكيد استخدام الإسبانية في مدارس براغوي. وبهذه الطريقة، فالإنجليزية أخذت الوظائف النموذجية للغة العليا، بينما أخذت السواحيلية وظائف اللغة الدنيا. إذاً ففي الأمة ككل، كانت اللغات المحلية تستخدم في الحالات المحلية جدا. ويستخدم المتحدثون المثقفون اللغة المحلية الصرفة فقط مع قلة من التنزانيين لا يتحدثون السواحيلية، بالرغم من شيوع خلط السواحيلية بالمحلية للتعبير عن التضامن المحلي عندما يتحدث شخص إلى شخص آخر يتكلم اللغة بالمحلية نفسها. فالسواحيلية هي "لغة الثقافة والاتصال على المستوى القومي" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨، ص١٣٦). وبهذا فهي اللغة العليا مقارنة باللغات المحلية، ولغة دنيا مقارنة بالإنجليزية. وتستخدم الإنجليزية للأعمال الحكومية الرسمية، وفي التعامل القانوني والتجاري، وفي التعليم العالي. وهي أيضا الوسيلة للاطلاع على أدب العالم والمعلومات التقنية. أما فيما يخص الكتابة فقد قال معظم أفراد عينة الرواة: إنهم يقرؤون ويكتبون باللغة الإنجليزية معظم الأوقات، علما بأن بعضهم يقرأ ويكتب في كلتا اللغتين. ومن النادر استخدام اللغات المحلية للكتابة، وتكتب الرسائل لمتحدثي

اللغة المحلية بالسواحيلية، إذا كان متلقي الرسالة لا يتكلم الإنجليزية. وكل هذا يؤيد الانطباع بالحالة المزدوجة للسواحيلية، فيما يتعلق بازدواجية اللغة.[١١]

ازدواجية اللغة ثنائية التداخل.

من الممكن تسمية الحالة في خالبور، وهي قرية هندية تقع شمال نيودلهي، بازدواجية اللغة ثنائية التداخل حسب وصف اللغوي قمبرز (١٩٦٤م). وبالرغم من أن قمبرز لم يستخدم تلك التسمية ، ولكن الشرح الذي أعطاه يعكس جميع العلامات المميزة لازدواجية اللغة.[١٢] واللغة العليا هي لغة الهندي. أما الدنيا فهي اللهجة المحلية، والتي ببساطة سماها قمبرز "خالبور". وخالبور هي ضرب غير مسمى من ضروب الهندي، وتمثل السيولة اللغوية في شمال الهند، ويقدم القرويون أنفسهم على أنهم متحدثون للهندي لأغراض الإحصاء السكاني (قمبرز ١٩٦٤، ص١٤٣). وفي التراكيب اللغوية، فإن الاختلافات الفونولوجية والقواعدية والمعجمية للغتين تشبه النوع الذي وجده فرجسون كخاصية لازدواجية اللغة. ففي الفونولوجيا، يوجد في خالبور فرقان أو ثلاثة لحروف صامتة خاصة غير موجودة في الهندي، وتفتقر إلى فرق واحد يوجد في الهندي. ويوجد في خالبور ثلاثة صوائت ثنائية غير موجودة في الهندي، وتسمح خالبور بوجود صوامت مضعفة في وسط الكلمة، ولكن هذا غير مسموح به في الهندي. فيما عدا ذلك، فالشكلان اللغويان متطابقان فونولوجيا. أما فيما يخص القواعد، فتفتقر خالبور إلى لاحقة لجمع المؤنث موجودة في الهندي، وهناك أيضا فروق ثانوية عديدة في الصرف والنحو الخاصين بالفعل. أما فيما يتعلق بالمفردات، فهناك قائمة بأزواج المفردات، الأول بالهندي والآخر بخالبور، وقد قدم قمبرز هذه القائمة (١٩٦٤م ، ص ١٤٤). وكما نعلم فإن هذا النوع من ترتيب الكلمات الدارجة في الاستعمال هو أحد الخصائص المميزة لازدواجية اللغة.

يتكلم الجميع لغة خالبور في القرية، كما أنها تستخدم دوما في العلاقات المحلية. والهندي لغة فوقية بشكل نموذجي لازدواجية اللغة، بتعلمها بالمدرسة، أو من خلال السكن في المدن، أو من خلال الاتصال الخارجي. أما الهندي فيتحدثها القرويون ذوو التعليم الأفضل والبارزون اجتماعيا للتعامل مع أمور كالسياسة والتجارة، والتي تتعدى اهتمامات القرية . والهندي أيضا هي اللغة المستخدمة في الصفوف الدراسية والمحاضرات الرسمية . ويحاول القرويون الذين لا يتحدثون لغة الهندي رغم ذلك تحوير حديثهم في اتجاهها كلما سنحت الفرصة بذلك . وباختصار ، فمجتمع خالبور هو مثال لشكل من الأشكال العديدة لمجتمع ازدواجية اللغة.

والحقيقة الثانية اللافتة للنظر حول خالبور هي المستوى الثاني للعلاقات ذات الازدواجية اللغوية، والتي تظهر داخل كل من ضربي اللغة الرئيسيين ؛ الأعلى والأدنى. فداخل لهجة خالبور، هناك شكلان فرعيان لهما أسماء محلية هي : موتي بولي moti boli (وصاف بولي saf boli، وتستخدم الموتي بولي (والتي تعني حرفيا الكلام العادي) في العلاقات غير الرسمية كالتعامل مع أفراد العائلة، والأقارب المقربين، والأولاد ، والحيوانات، والخدم. ولغويا فيها بعض الخصائص الثانوية، والتي ليست من خصائص لهجة خالبور ككل، وأكثر الخصائص المميزة للعامية المحلية شائعة جدا. وتستخدم صاف بولي (والتي تعني حرفيا الكلام النظيف) مع المعارف البعيدين نوعا ما ولإظهار الاحترام لكبار السن. ومن منظور لغوي، فإن صاف بولي تبتعد عن الخصائص المميزة لموتي بولي وتميل باتجاه الهندي فيما يتعلق بالاختلافات الأخرى بين خالبور والهندي.

وهناك أيضا شكلان فرعيان في الهندي المحكية في القرية. وقد سماها قمبرز بالأسلوب التحاوري والأسلوب الخطابي. والأسلوب التحاوري هو نموذج للهندي المحكية في تلك المنطقة، ولكن الأسلوب الخطابي متميز باستخدامه الكثيف لكلمات

مقترضة من السنسكريتية، بالإضافة إلى استخدام عناقيد صوامت خاصة. وكما هو متوقع يستخدم الأسلوب الخطابي في المحاضرات الرسمية. وطالما أنه مختلف تماما عن اللهجة الدنيا المحلية، فقد تكون المحاضرة الملقاة بأسلوب الهندي الخطابي صعبة الفهم على الجمهور. والمحاضر هنا مضطر لشرح أجزاء من المحاضرة بأسلوب الهندي التحاوري أو بخالبور.

والصورة التي نحصل عليها من مجتمع ازدواجية لغة في خالبور هي متصل من الشكل الأعلى جدا للأسلوب الخطابي الهندي المستخدم في القرية إلى الشكل الأدنى جدا، وهو شكل موتي بولي للغة المحلية لخالبور. وفي الإمكان داخل ضربي اللغة الأعلى والأدنى تمييز نوع لغة دنيا ذات مستوى أعلى وأدنى ونوع لغة عليا ذات مستوى أعلى وأدنى، وهذا يبدو في الصيغة والوظيفة صورة مصغرة عن التباين الأكبر في ازدواجية اللغة. ويمكن توضيح هذه الحالة التي تحتوي ازدواجية لغوية صغيرة "ضمن" ازدواجية لغوية كبيرة في الشكل رقم (٢،٣).

عليا	الأسلوب الخطابي	
	الهندي	عليا
دنيا	الأسلوب التحاوري	
عليا	صاف بولي	
	خالبور	دنيا
دنيا	موتي بولي	

الشكل رقم (٢،٣). ازدواجية اللغة ثنائية التداخل في خالبور بالهند.

ولا تحتاج أي من ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة أو ثنائية التداخل أكثر من

تحسين مفهوم الثنائية. ففي إحدى الحالات توجد هناك مجموعتان تتكونان من عضوين ويكون العضو الأدنى من إحدى المجموعتين مطابقا تماما للعضو الأعلى في المجموعة الأخرى. أما في الحالة الأخرى، فهناك زوجان كبيران من ازدواجية اللغة، وداخل كل زوج منهما توزيع مصغّر ومصقول لازدواجية اللغة. ولكن جميع العلاقات تشمل ترتيبات لمجموعات ثنائية.

تعددية اللغة الخطية.

ما سبق ليس هو وضع أفراد المجتمعات الصينية الذين يتلقون تعليمهم باللغة الإنجليزية في سنغافورا وماليزيا، والتي وصفها بلات (١٩٧٧). وتتألف الذخيرة اللفظية لكل من المجتمعين من لغات صينية مختلفة ، التي من المرجح أن تغلب عليها لغة واحدة في الإقليم، ونوعين من الإنجليزية رسمي وعامي، وشكلين من الملاي النموذجي والبازاري (السوقي). وحتى الآن يبدو من الممكن ترتيب هذه الأشكال اللغوية في سلسلة من أزواج ازدواجية لغوية كاللغات الصينية المهيمنة مقابل غير المهيمنة، واللغة الإنجليزية الرسمية مقابل العامية، والملاي البازارية مقابل الملاي النموذجية، وهذا بالتالي يعطي ازدواجية ثلاثية التداخل مشابهة لازدواجية اللغة ثنائية التداخل في خالبور. ويتطلب هذا الترتيب أن يكون الشكل الأدنى في أي لغة أعلى من الشكل الأعلى للغة التالية في السلسلة، كما كان الشكل الأدنى من الهندي، وهو الأسلوب الهندي التحاوري، أعلى من الشكل الأعلى لخالبور، وهو صاف بولي. ولكن اتضح أن هذا ليس هو وضع الماليزيين الذين يتلقون تعليمهم بالإنجليزية. فالشكل الأعلى من الملاي، وهو باهاسا ماليزيا، هو ثاني أعلى شكل لغوي يستخدم في المجتمع، كما أن منزلته بازدياد، ولكن الشكل الأدنى، وهو بازار ملاي، بعيد عن كونه الشكل الأعلى التالي للباهاسا، ولكنه أدنى شكل لغوي على الإطلاق، فهو

مسبوق بشكلي اللغة الإنجليزية وجميع ضروب اللغات الصينية. بالإضافة إلى هذا، هناك منزلة خاصة للغة المندارين الصينية، والواجب تضمينها مع اللغات الأخرى. وقد يدعى الترتيب الحقيقي بتعددية اللغة الخطية.(١٣)

وتشمل الذخيرة اللفظية للفرد الصيني النموذجي الذي تلقى تعليمه بالإنجليزية في ماليزيا ما يلي: (١) لغته الأم، وهي إحدى اللغات الصينية المحكية في ماليزيا؛ (٢)واحدة أو أكثر من اللغات الصينية الجنوبية، من المحتمل أن تشمل اللغة السائدة في الإقليم إذا لم تكن هي لغته الأم؛ (٣) بعضا من الإنجليزية الماليزية الرسمية؛ (٤)بعضا من الإنجليزية الماليزية العامية؛ (٥) مقدارا معينا من باهاسا ماليزيا (وهي اللغة القومية النموذجية حديثا)؛ (٦) بازار ملاي، وهي لغة مشتركة ذات منزلة دنيا. وفي نظر بلات (١٩٧٧، ص ٣٦٦-٧) فإن هذه الأشكال اللغوية تدخل في نموذج لغوي معقد، والذي يشمل شكلا لغويا واحدا أو أكثر من الضروب اللغوية العليا، وشكلا لغويا واحدا أو أكثر من الضروب المتوسطة، وشكلا لغويا واحدا أو أكثر من الضروب الدنيا. بالإضافة الى هذا، فإن نموذج بلات يسمح بوجود شكل ما تحت الأدنى حتى يلائم دور اللغة المشتركة كبازار ملاي، والذي يستخدم فقط للمعاملات التجارية على المستوى المحلي، كما يلائم "شكلا لغويا عاليا وهميا". والمعياران اللذان استخدمهما بلات لتصنيف اللغات في هذه الفئات هما معيارا المجال، وهو مفهوم أتى به فيشمن (١٩٧١م، ١٩٧٢م)، ويعتبر أساسا امتدادا لما دأبنا على تسميته بالوظيفة، ومواقف المتكلم. وقد وجد بلات أن من المقبول ترتيب المجالات أو الوظائف على مقياس خطي يعرف بالتفاعل العام مقابل التفاعل الخاص ودرجات الرسمية. وفي هذا، فهو داخل حدود دراسات ازدواجية اللغة التي رأيناها. بالإضافة إلى ذلك، فإن بلات يأخذ في الحسبان مدى تقييم أفراد المجتمع للأشكال اللغوية في ذخيرتهم اللفظية، أي مواقف المتكلم. تذكر أن فرجسون قال: إن اللهجات العليا لها مقام أكبر من

اللهجات الدنيا، ويستخدم بلات بيانات الموقف للمساعدة في ترتيب مقياس التعددية اللغوية كهذه.

وقد قاد اهتمام بلات بالموقف إلى فكرة اللغة العليا الوهمية. وتشير هذه بتعريف بلات إلى "ضروب كلامية يلم بها بعض أفراد المجتمع بدرجة معينة، ويصفها متحدثوها في مقام عال، ولكنها لا تستخدم في الواقع بشكل مكثف في أي مجال" (بلات، ١٩٧٧م، ص٣٧٣-٤) (الخط المائل لي). وترجع أهمية اللغة العليا الوهمية في المجتمع وبشكل مطلق تقريبا إلى الاحترام الشديد الذي يكنه الناس إليها، ولا تستخدم لأي غرض اتصال حقيقي. والماندارين، وهي لغة رئيسة في شمال الصين، هي لغة عليا وهمية للصينيين المتعلمين بالإنجليزية في ماليزيا. ولا تستخدم الماندراين في ذلك المجتمع لأي غرض، ولا يُلم بها إلا قلة من الناس، ولكنها ذات منزلة كبيرة لديهم. ومثال مشابه لم يعطه بلات هو السنسكريتية في الهند. وكما رأينا في الفصل الأول، فهي من ضمن اللغات الأربع عشرة الدستورية، وذلك فقط لقيمتها للغالبية الهندوسية من السكان. ولكن السنسكريتية ليست بالضبط لغة عليا وهمية، لأنها تستخدم كلغة دين وفي دراسة الأدب، ولكن هذه الوظائف بالمقارنة وظائف محدودة. وسنقابل وضعا آخر يجب علينا فيه الأخذ في الاعتبار قيمة الرمزية للغة في المجتمع بعيدا عن وظيفتها الاتصالية عندما ندرس التخطيط اللغوي للغة الأيرلندية في الفصل العاشر.

ولن أعطي تفصيلا لطرق بلات، ولكن الشكل رقم (٢,٤) يبين تحليله النهائي وضع الصينيين المتلقين تعليمهم بالإنجليزية في ماليزيا. ولا يوجد هناك طريقة منطقية لتقسيم هذا الشكل إلى مجموعتين. وإذا كانت حالة التعددية اللغوية الماليزية ستدرج تحت العنوان العام نفسه مثل الحالات الأخرى التي رأيناها، فيجب استبعاد متطلب الثنائية.

اللغة العليا١	الإنجليزية الماليزية الرسمية
اللغة العليا٢	باهاسا ماليزيا
اللغة العليا الوهمية	لغة الماندارية
اللغة الوسطى١	الإنجليزية الماليزية العامية
اللغة الوسطى٢	اللغة الصينية المسيطرة
اللغة الدنيا١	اللغة الصينية الأصلية
اللغة الدنيا٢–ن	لغات صينية أخرى
اللغة ما دون الدنيا	بازار ملاي

الشكل رقم (٢.٤). التعددية اللغوية الخطية للصينيين المتعلمين بالإنجليزية في ماليزيا. وتبين الأسهم الرأسية بين الشكلين اللغويين العلويين أن المقصود هو الإشارة إلى أن باهاسا ماليزيا تكتسب المزيد على حساب الإنجليزية كالشكل العلوي الأعلى (بلات، ١٩٧٧، ص٣٧٤).

المصدر: (بلات، ١٩٧٧، ص ٣٧٥، الجدول ٥)

مسألة القرابة

تطلب تعريف فرجسون الأصلي لازدواجية اللغة مستوى متوسطا من القرابة اللغوية بين اللغات المنفصلة بشكل واضح وبين مجرد التحول الأسلوبي. وتبين الحالة في ماليزيا، بالإضافة إلى حالة تنزانيا وما نعرفه عن براغوي من الفصل السابق، أن بعض علماء اللسانيات الاجتماعية يرون أن من المعقول تطبيق المصطلح على حالات يكون فيها الشكلان الأعلى والأدنى لغات منفصلة، وأنا أؤيد هذا النهج. ولكن لم نقل إلا القليل حول ما إذا كان من الواجب أن نسمح لازدواجية اللغة أن تشمل الحالات التي

يكون فيها أكثر من مستوى للقرابة الذي سمح به فرجسون.

وقد نوه عدد من اللغويين إلى حقائق قادتهم إلى الخلاصة، وهي أن الاختلاف بين اللهجات الفرعية يعمل بنفس الطريقة كازدواجية لغة. وقد ذهل ستيوارت (١٩٦٣م) في مناقشة سابقة ومفيدة لازدواجية اللغة في هيتي من حقيقة أن الهايتيين قد بدوا وكأنهم يتحولون إلى الفرنسية من لغتهم المزيج بالشكل نفسه تقريبا الذي يتحول فيه الأمريكي من أسلوب غير رسمي إلى رسمي في الكلام. وفي المثال التالي، الذي سمعه ستيوارت عرضا، يتحول رجل أعمال من هيتي من الفرنسية إلى اللغة المزيج في منتصف الجملة (يقع جزء اللغة المزيج من العبارة بين أقواس التهجية الصوتية) (ستيوارت، ١٩٦٣، ص ١٥٨):

Je comprende tres bien pourquoi vous demandez l'argent d'avance, /wap proteze tet u/

وبدا لستيورات أن أثر التحول من الفرنسية إلى اللغة المزيج يمكن إدراكه، إلى حد ما، من خلال ترجمته إلى الإنجليزية الأمريكية بالشكل التالي: (١٤)

I certainly understand why you're asking for the money in advance - ya gotta look out fur yaself, I guess.

ويوسم الجزء الرسمي من الجملة المكتوب "باللهجة العليا" بنطق أكثر تأنيا نوعا ما، وباستخدام مفردات معينة، مثل certainly و "you're asking for" (بدلا من "you want") و "in advance" (بدلا من "up front"). ويوسم الجزء غير الرسمي من اللهجة الدنيا بنطق أكثر عفوية، وباستخدام كلمات مختارة مثل: I guess، و"gotta" (بدلا من "have to") و "look out fur yaself" (بدلا من "look out for your own interests"). ولذا يبدو بإمكان متحدثي الإنجليزية الأمريكية إنجاز مهام تفاعلية من هذا النوع باستخدام التباين الأسلوبي في لغتهم، بالشكل الذي يستطيع فيه أفراد مجتمع ازدواجية اللغة استخدام ضربي اللغة العليا والدنيا لديهم.

وقد لاحظ ستيوارت حقيقة أخرى لافتة للنظر، وهي أن الأجانب الذين

يعرفون الفرنسية غالبا ما يجدون أن الفرنسية الهيتية تبدو رسمية وكتابية بالمقارنة بالفرنسية المستخدمة في فرنسا. ويقول الهيتيون أنفسهم: إن لغتهم الفرنسية "أكثر نقاء" من الفرنسية في فرنسا. وتفسير مقبول لهذا هو أن الهيتيين لم يضطروا إطلاقا إلى استخدام نوع غير رسمي من الفرنسية، وفي أي وضع يتطلب فيه الحديث باللغة غير الرسمية، فإنهم يتحولون إلى اللغة المزيج. وبالمقابل، وكما هي الحال بالنسبة لمتحدثي اللغة الإنجليزية الأمريكية، فإن متحدثي الفرنسية من فرنسا لا يمتلكون لغة دنيا مميزة يستطيعون التحول إليها، مما يتطلب تطوير أساليب دنيا للفرنسية.

وعند دراسته ظواهر شبيهة بازدواجية اللغة في اللغة الروسية، وجد كرسين Krysin (١٩٧٩م) مؤخرا أن المفهوم ينطبق على ما أسماه بالأشكال المعقدة والأشكال العامية للغة الروسية النموذجية، بالإضافة إلى علاقة ازدواجية لغوية بين الأشكال الرسمية وأشكال اللهجات. ويبدو أن هناك علاقة ازدواجية لغة كبيرة بين الروسية النموذجية واللهجات الروسية غير النموذجية، وازدواجية لغة على مستوى أصغر بين شكلي اللغة النموذجية. وهذا بالطبع يذكرنا بازدواجية اللغة ثنائية التداخل في خالبور. وبأخذ منظور مختلف لحالة خالبور، يبدو أن من الممكن النظر إليها على أنها مزيج متصل من الأساليب يمتد من أسلوب الهندي الخطابي السنسكريتي الرسمي إلى أسلوب موتي بولي غير الرسمي العامي، ويوجد أربع نقاط على المتصل ذات أسماء معينة. وفي ازدواجية اللغة اليونانية، هناك آراء مختلفة عما إذا كانت الأشكال اليونانية كاثاريفوسا والديموطيقية أشكالا متميزة من الممكن خلطها (هاوسهولدر Householder، ١٩٦٣، ص ١٢١؛ سوتيروبولوس Sotiropoulos، ١٩٧٧، ص٩). أو أنها نقاط على متصل لغوي (كازازيس، ١٩٧٦م، ص ٣٧٠). ويوجد مثال آخر لمتصل محتمل من الأشكال العليا إلى الأشكال الدنيا في جزيرة نورفوك التابعة لأستراليا في المحيط الهادي الجنوبي (فلنت Flint، ١٩٧٩م).

ويبدو أن لدى الناس ميولا عامة لعكس إدراكهم لرسمية الموقف أو للعلاقة الحميمة في كلامهم. وهذا يمكن تحقيقه عن طريق التحول بين الأساليب المختلفة في اللغة الواحدة، أو بالانتقال بين لهجتين مختلفتين نوعا ما، أو عن طريق اختيار لغات مختلفة كليا.(١٥) والظاهرة الاجتماعية هي نفسها، بغض النظر عن طبيعة الوسائل اللغوية المستخدمة لتحقيق ذلك.(١٦)

وإذا كان من الواجب التوسع في فكرة ازدواجية اللغة لتشمل ليس فقط اللغات المنفصلة ولكن أيضا التحول الأسلوبي، إذاً فهناك سبب آخر للتوسع بشرط الثنائية. وطالما أن التحول الأسلوبي مزيج متصل من بدائل لغوية مختلفة تمتد من الأسلوب العامي جدا إلى الأسلوب الرسمي جدا، فمن المستحيل تقسيم الأساليب إلى قسمين على أي أرضية منهجية.

مسألة الوظيفة

إذا كان هناك اتفاق على أي وجه من وجوه ازدواجية اللغة، فإنه الاتفاق على مجال الوظيفة. فكل فرد يوافق على أن الحديث بالشكل الأعلى مستخدم بالمناسبات العامة الرسمية. وأن الأدنى هو للمناسبات الخاصة غير الرسمية. وكما رأينا في الجدول رقم (٢،١)، فإن فرجسون قد أعطانا بعض الأمثلة المحددة للحالات التي سينتقي فيها الشكل الأعلى أو الأدنى في اللغات الأربع المعرفة. واستعراض خاطف للمناقشات العامة لازدواجية اللغة التي قام بها فرجسون (أ ١٩٥٩م، ١٩٧٢م)، وفيشمن (١٩٦٧م، د ١٩٧٢م)، والدراسات على ازدواجية اللغة في تنزانيا (عبدالعزيز مخيلفي، ١٩٧٨م)، وخالبور(قمبرز، ١٩٦٤م)، وماليزيا (بلات، ١٩٧٧)، واليونان (هاوسهولدر، ١٩٦٣م)، تبين أن بعض الوظائف المحددة المعينة تتكرر فيما يتعلق بالشكلين الأعلى والأدنى.

يقال: إن ضروب اللغة العليا تستخدم في المواعظ الدينية (فرجسون، فيشمن وهاوسهولدرز)، وفي أعمال الحكومة الرسمية (عبد العزيز مخيلفي، بلات وهاوسهولدر)، وفي التعليم (واحتمال هذا الاستخدام يزداد بازدياد مستوى التعليم) (فرجسون، فيشمن، عبدالعزيز مخيلفي، قمبرز، بلات، هاوسهولدر)، وفي التجارة الحديثة (عبدالعزيز مخيلفي، قمبرز، بلات) وهذه الأشكال مرتبطة بالحياة الحضرية أكثر من ارتباطها بالحياة الريفية (عبد العزيز مخيلفي، قمبرز). وتستخدم الضروب العليا نموذجاً لأغراض الكتابة، وخاصة الجادة منها (الاستثناء هي حالة اليونانية).

وتستخدم ضروب اللغة الدنيا في الحديث مع العائلة والأصدقاء (فرجسون، فيشمن، عبد العزيز مخيلفي، قمبرز، بلات، هاوسهولدرز) وبالتحدث إلى الخدم والعمال ذوى المنزلة الأدنى (فرجسون، فيشمن، قمبرز). وترتبط ضروب اللغة الدنيا بالهوية الثقافية المحلية أو الريفية (عبد العزيز مخيلفي، قمبرز).

ويقول فرجسون (١٩٧٢ : ٢٣٥-٦): إن هذين النوعين من المواضع يتداخلان فقط بشكل ضئيل، وهذا يبدو صحيحا في أغلب الحالات. ولكن هناك مواضع قلة يكون فيها التداخل معتادا، فمثلا بالرغم من أن كل فرد يتفق على أن اللغة العليا هي لغة التعليم، إلا أن اللغة الدنيا قد تستخدم في بعض المجتمعات للتعليم الأولى، وشرح مواد قدمت بالشكل الأعلى باستخدام الشكل الأدنى أمر ليس شائعا في هذا المستوى. ولكن، إذا كان هناك تسرب كبير في الشكلين اللغويين الأعلى والأدنى بدا في استخدام أحدهما في وظائف الشكل الآخر، وبالعكس، فإن هذه علامة معتادة للتفكك الأوّلي للعلاقة ذات الازدواجية اللغوية.

تعريف – ازدواجية اللغة الموسعة

عرّف فرجسون (أ ١٩٦٩ ، ١٩٧٢م) ازدواجية اللغة بشكل محدد يستبعد التوزيع الوظيفي للغات المنفصلة واللهجات المعيارية مقابل الإقليمية . فكان واضحا أن ما قصده ضمنيا هو أن ازدواجية اللغة تعود فقط على المواضع التي يكون فيها شكلان لغويان ، وأن يكون الشكلان مختلفين نوعا ما. وقد توسع فيشمن (١٩٦٧م ، د ١٩٧٢م) بشكل جلي في هذه الفكرة لتشمل حالات جميع درجات الترابط اللغوي القريب والبعيد ، وأشار إلى أن نوع التوزيع الوظيفي للغات الموجودة في ازدواجية اللغة يجب ألا يقتصر على لغتين فقط. وقد ناقشتُ هذا التحديد في التعريف كأسئلة عن المعيارية ذات اللهجات والثنائية ، والترابط ، واقترحت تخفيف حصر فرجسون السابق في كل حالة. اعتمد فرجسون على حقيقة أن الشكل الأعلى لا يستخدم كأداة للمحادثة اليومية العادية من قبل أي فرد في المجتمع الكلامي ، حتى يستبعد حالات المعيارية ذات اللهجات ، ولكن هذا المعيار لا ينطبق إذا أعيد تعريف "مجتمع ازدواجية اللغة" بطريقة تجعله أقل ارتباطا بالحدود السياسية. وقد تبين أن الثنائية أكثر تعقيدا مما بدا في مقالة فرجسون السابقة. فهناك حالات ثنائية معقدة سميتها بازدواجية اللغة المزدوجة المتراكبة وازدواجية اللغة المزدوجة المتداخلة. وقد بين بلات (١٩٧٧م) أنه لا يجب حصر التوزيع الوظيفي للغات المشابه لأسلوب ازدواجية اللغة بالمجموعات الثنائية على الإطلاق. أما فيما يتعلق بالترابط ، فمن الممكن القول بأن العلاقة بين شكل اللغة والمواضع المعرفة على أساس متصل من الرسمية إلى غير الرسمية قد توجد سواء كانت أشكال اللغة لغات منفصلة أو أنظمة فرعية رئيسة للغة نفسها ، أو التبديل الأسلوبي البسيط. وتبقى الوظيفة كخاصية لا تقبل التعديل ، فهي قلب مفهوم ازدواجية اللغة وروحه.

وبالرغم من أن عددا غير قليل من الناس قد لا يتفق مع ما توصلت إليه فيما

يتعلق بهذا الشان، فإنني أقترح التعريف التالي لازدواجية اللغة الموسعة:

ازدواجية اللغة الموسعة هي قصر استخدام الأجزاء اللغوية العليا في المجتمع (والتي لا يتعلمها الفرد أولا، ولكنه يتعلمها لاحقا وبطريقة شعورية، ويتم هذا التعليم عن طريق التعليم الرسمي) لأوضاع يدركها الفرد على أنها أكثر رسمية وتحفظا، وقصر استخدام الأجزاء الدنيا (والتي يتعلمها الفرد أولا وبطريقة لا شعورية)، مهما كانت درجة الترابط بين هذه الأجزاء العليا والأجزاء الدنيا، بدءا من الاختلاف في الأسلوب ونهاية بالاختلاف التام كما في اللغات المنفصلة، على الأوضاع التي يعتبرها الفرد أقل رسمية وأكثر ألفة.(١٧)

وطالما لا يشترط التعريف السابق وجود شكلين لغويين فقط، فإن من الواضح أن مصطلح "ازدواجية اللغة" غير مناسب. ولكن ازدواجية اللغة مصطلح ذو تاريخ طويل واحترام كبير، ومن المخجل الاستغناء عنه. ويمكن الاستمرار باستخدام المصطلح إذا فهمنا أن السابقة تعود بشكل عام على نقطتي المتصل، وهما العلاقتان الرسمية والحميمة، بدلا من كونها تعود على الشكلين اللغويين. وإذا كان هذا التبرير مقبولا، فإن من الممكن ببساطة الاحتفاظ بالمصطلح "co-ed"، وهذا المصطلح اختصار لكلمة "co-educational" (التعليم المختلط)، وهو لفظ عامي يستخدم في الولايات المتحدة الأمريكية ليعني الطالبات فقط. وإذا طبقت الأجزاء المكونة لهذه الكلمة وعنت جميع الطلاب، فمن الواجب أن تعني طالبا من أي من الجنسين يدرس في معهد مختلط. ولكننا لا نعتمد على الأجزاء المكونة للكلمة، ولذا فأقترح الإبقاء على مصطلح "ازدواجية اللغة" على هذا الأساس، إن لم يكن على أساس آخر.

وفي الوقت نفسه، يجب أن لا نستغني عن مفهوم فرجسون الأصلي كلية. وعندما نقرر أننا أمام حالة من حالات ازدواجية اللغة الموسعة، فمن الأجدر التوقف برهة لفحص درجة الترابط بين الشكلين الأعلى والأدنى. وفي هذه المرحلة، فنحن

نحتاج فكرة ازدواجية اللغة التقليدية، ولا أعتقد أن تعريف فرجسون لعام ١٩٥٩م بحاجة إلى أي تعديل، باستثناء إزالة عبارة بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة (والذي قد يشمل شكلا معياريا أو أشكالا معيارية إقليمية) (فرجسون، ١٩٧٢، ص ٢٤٥)، حتى يتسنى تضمين الأشكال المعيارية واللهجات الإقليمية الموزعة وظيفيا. وتعطينا ازدواجية اللغة التقليدية بوضوح نقطة الوسط في المدى الممكن من الترابط الذي قد يوجد في ازدواجية اللغة الموسعة. وعندما يكون الشكلان اللغويان الأعلى والأدنى أقل ارتباطا، فإننا أمام ثنائية لغوية فوقية. وعندما يكون الترابط بين الشكلين أكثر، فإننا نتحدث عن التبديل الأسلوبي. ويشرح الجدول رقم (٢،٣) هذه العلاقات بين هذه المصطلحات . والفروق بين هذه الأنواع الثلاثة الفرعية نسبية.

الجدول رقم (٢،٣). الأنواع الفرعية لازدواجية اللغة الموسعة.

الترابط اللغوي	النوع الفرعي لازدواجية اللغة الموسعة
لغات منفصلة	ثنائية اللغة التقليدية
لهجات مختلفة	ازدواجية اللغة التقليدية
الاختلاف الأسلوبي	التبديل الأسلوبي

ويؤكد فرجسون أن ازدواجية اللغة قد تبقي ثابتة لقرون، وهي بالفعل كذلك. ولكن، تختلف العلاقات في ازدواجية اللغة. وعندما تختلف فإنها تعطي علامات دالة على ذلك. والخاصيتان اللتان تعكسان التغيير في ازدواجية اللغة، هما: (١) التسرب في الوظيفة، و (٢) الخلط بين الأشكال. ويبدو أن هاتين الخاصيتين توجدان في إحدى حالات ازدواجية اللغة التقليدية (اليونان). وفي إحدى حالات ثنائية اللغة الفوقية (تنزانيا).

علامات التغيير

اليونان

يبدو أن علاقة ازدواجية اللغة التقليدية بين يونانية كاثاريفوسا وديموطيقيته قد اقتربت من نهايتها. وقد تنبأ فرجسون (١٩٧٢م، ص ٢٤٩) أن اليونان قد طور لغة قومية وحيدة مبنية على الشكل اليوناني للديموطيقية المستخدمة في أثينا، مع خليط كبير نوعا ما من مفردات كاثاريفوسا. يوافق كازازيس (١٩٧٦م، ص ٣٦٩) على أن اليونانية الحديثة في طريقها لتصبح أحادية اللغة". وأن بعض العناصر من كاثاريفوسا ستستمر في البقاء. ويقول براوننغ Browning (١٩٨٢م، ص ٦٦): إن الصراع اللغوي الأساسي بين كاثاريفوسا وديموطيقية قد حل بشكل واضح لصالح ديموطيق، بالرغم من أنه لم يقرر بعد أي الصفات بالتحديد من الشكل اللغوي الأدنى القديم سيكون جزءا من اللغة القومية السائدة.

وبدأت ازدواجية اللغة اليونانية في التسرب بشكل جدي في نهاية القرن التاسع عشر، عندما بدأت مجموعة من أشهر الأدباء اليونانيين، مثل الشاعر كوستس بالاماس Kostis Palamas بالكتابة في لغة الديموطيقية اليونانية، وبالرفض المتعمد للكتابة بلغة كاثاريفوسا.[١٨] وفي ١٨٨٨م، نشر يانيس سيكاريس Yannis Psycharis تقريرا عن رحلة في اليونان تحت عنوان "To taxidi mou"، والذي أصبح نوعا ما البيان الرسمي لمتحدثي الديموطيقية (براوننغ، ١٩٨٢م). وقد خلق عمل سيكاريس شكلا معياريا منظما للديموطيقية، والذي انتقده بعض المتحمسين للديموطيقية بأنه شكل مصطنع جدا. ومع ذلك، فإن نشر "To taxidi mou" وضع حجر الأساس لبداية حركة كانت ناجحة جدا بدليل أن جميع الأعمال الأدبية والنقدية تقريبا تكتب الآن بالديموطيقية. ولم يحدث هذا التغيير في الحالة اللغوية بسهولة. ولم يؤد نشر ترجمة العهد الجديد بالديموطيق في عام ١٩٠١م إلى إصدار

منشور عام شجب من ايكويم بطريرك الكنائس فقط، ولكنه أدى أيضا إلى إثارة الشعب في شوارع أثينا (براوننغ، ١٩٨٢م، ص ٥٥). وعلاوة على ذلك، فإن تفوق الديموطيقية على كاثاريفوسا في الأدب الثقافي أبرز تقدمها في المجتمع بأكمله. وبالرغم من أن الديموطيقية كانت مقبولة تماما في الأدب، إلا أن المتحدث بها يبدو وكأنه "عامل لتحميل السفن" (أي غير متعلم) أو "شيوعي" (أي متطرف) (كازازيس، مخطوطة).[١٩] وكان استخدام الفرد لليونانية مهما اجتماعيا وسياسيا لدرجة أنه حتى عهد قريب كان من الممكن "استخلاص نتائج عن المنزلة الاجتماعية للمتحدث وانتمائه السياسي من طريقة استخدامه التصريف الثالث للاسم" (براوننغ، ١٩٨٢، ص ٦٧).

وقد تغيرت ازدواجية اللغة باليونانية في المجتمع الأوسع، ولكن ببطء شديد. وبالرغم من أن الديموطيقية كانت تستخدم كلغة تعليم في بداية هذا القرن، إلا أن كاثاريفوسا أعيدت للاستخدام من قبل النظام الذي استلم السلطة في عام ١٩٦٧م. وفي عام ١٩٧٦م جعلت الديموطيقية اللغة الوحيدة للتعليم خلال التعليم الثانوي (سوتيروبولوس، ١٩٧٧م؛ براوننغ ١٩٨٢م).[٢٠] وحاليا ما يزال استخدام كاثاريفوسا شائعا في المحاكم (هي اللغة التي كتبت بها معظم القوانين)، وفي القوات المسلحة، وفي الاستمارات الرسمية، وفي الإعلانات العامة. أما الحيز الآخر الذي تستخدم فيه كاثاريفوسا جزئيا فهو الخطابات البرلمانية والسياسية والمحاضرات الجامعية. ويتم الاتصال الرسمي المكتوب للكنيسة الأرثوذكسية بشكل من اليونانية "ليس قريب الشبه بكاثاريفوسا، ولكنه يشبه الشكل البيزنطي أكثر" (براوننغ، ١٩٨٢، ص ٥٨).

ويبدو أن التسرب الكبير هذا قد ترك الناس غير متأكدين من توزيع استخدامهم الشكلين الأعلى والأدنى، لدرجة أن هناك اليوم خليطا كبيرا من اللغتين، خاصة في

الكلام. وفي مقال نشر عام ١٩٦٣م، أصر هاوسهولدر (١٩٦٣م، ص ١٢١) على أنه من الممكن دائما تمييز الشكلين الأعلى والأدنى من اليونانية، ولكنه كان يقصد فقط النصوص المكتوبة (واعترف بأن هناك بعض المزج حتى في الكتابة). وذكر كازازيس (١٩٧٦م، ص ٣٧٠) أن الحدود الفاصلة بين كاثاريفوسا والديموطيقية "غير واضحة"، وأننا "نتعامل مع متصل وليس مع شكلين لغويين محددين تماما". وذكر براوننغ (١٩٨٢م، ص ٦٧) "أن هناك عددا كبيرا من الأزواج وتعددية في الخيارات المتاحة لمتحدثي وكتاب اليونانية الحديثة". وتعكس حالة اليونانية كلا من علامتي انتهاء ازدواجية اللغة التقليدية - التسرب في الوظيفة والخلط بين الأشكال - ويبدو أن تنبؤ فرجسون كان في محله.

تنزانيا

يعطي وصف عبد العزيز مخيلفي لازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة الانطباع بأن السواحيلية تمتد في الاستخدام لأعلى وأدنى من موقعها المتوسط. فتستخدم اللغات المحلية التنزانية، وهي اللغات الدنيا نسبة للسواحيلية التي تمثل اللغة العليا، بشكل رئيسي كلغات "تدل على الهوية العرقية الثقافية والتضامن" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ١٣٥). ومن جهة أخرى، فالسواحيلية تبين إعادة التأهيل الاجتماعي للفرد على المستوى القومي. وكما وصف ذلك عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨م، ص ١٣٥) بقوله: "هناك اندماج لاختلافات الدور والقيمة بين المتحدثين الشباب والأقل قبلية معتمد على السواحيلية واللغة المحلية، وغالبا تهيمن عليها أنظمة اللغة السواحيلية". فقد ذكر أحد عشر فردا من عينة رواة عبد العزيز مخيلفي أنهم يتكلمون المحلية الصرفة فقط مع أولئك الذين لا يفهمون السواحيلية، وهم قلة من سكان تنزانيا.

وهناك بعض الأدلة على تسرب السواحيلية لوظائف كانت مخصصة للإنجليزية

أيضا. وبالرغم من أن الإنجليزية هي لغة الإدارة الحكومية بشكل كبير على المستوى القومي، إلا أن هناك كما كبيرا من المكاتبات بين السلطات الإقليمية تتم بالسواحيلية. وتستخدم السواحيلية في الاجتماعات السياسية التي يشارك فيها عدد كبير من الحضور، كما هو الحال في اجتماعات الحزب السياسي المسيطر. وهناك نسختان أحدهما بالإنجليزية والأخرى بالسواحيلية لجميع الاستمارات الرسمية للحكومة. وفي العاصمة، دار السلام، تلقى المواعظ الإسلامية بالسواحيلي، بينما تجري المناسبات الدينية الأخرى المقامة في أوقات مختلفة باللغتين السواحيلية والإنجليزية. وعلى العموم، فإن السياسة والممارسة هي "بأن يستخدم أكبر قدر ممكن من السواحيلية، باستثناء بعض المواضع التي لا يمكن فيها استخدامها لأسباب تقنية أو لغوية" (عبد العزيز مخيلفي، ١٩٧٨م، ص ١٣٩).

وقد ذكر عبد العزيز مخيلفي أنه بالإضافة إلى التسرب ينتشر خلط السواحيلية مع اللغات الأخرى. ويبدو أن خلط اللغات المحلية مع السواحيلية هو نتيجة الصراع بين ولاء المتحدث لجماعته العرقية وقيمها وبين الولاء للحياة القومية وقيمها. أما فيما يتعلق بالإنجليزية، فيبدو أن جزءا من الدافع للتحول هو الصراع بين رغبة المتحدث بالتعبير عن القيم القومية من جهة، وبين حاجته للمفردات التقنية والرغبة في إحراز تحصيله التعليمي من جهة أخرى. والجزء التالي الذي قدمه عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨م، ص ١٤٠) مثال على التحول بين السواحيلية والإنجليزية بسبب عدم وجود المفردات (السواحيلية مكتوبة بالخط المائل):

Zile hormones *za uvyazi za* tilapia *zategemea zile* environmental factors *zinazowaathiri hawa* tilapia.

(تعتمد هرمونات التوالدية على كيفية مس العوامل البيئية للتاليبا.)

ويبدو أن المتحدث يتحول إلى الإنجليزية فقط عند الحاجة للمصطلحات التقنية.

ولكن هذا الجزء لا يعرض بشكل كامل ما يحدث فعلا. ويذكر عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨، ص ١٤٠) أن التحول السريع بين السواحيلية والإنجليزية يحدث "حتى لو كان هناك مرادف للمفردات الإنجليزية في السواحيلية". وأعطى بعد ذلك مثالا على ما يبدو أنهما كلمتان مترادفتان في اللغتين، ولكنهما لم تكونا مترادفتين في ذهن المتحدث ثنائي اللغة. وقد ضمّن أحد المتحدثين ذو الثنائية اللغوية كلمة إنجليزية، وهي كلمة (فاكهة)، في جملة يمكن التعبير عنها في اللغة السواحيلية فقط. وعندما سئل لماذا لم يستخدم الكلمة السواحيلية التي تعني فاكهة أيضا، قال: إن الكلمة السواحيلية "matunda" تعني الفاكهة التي تلتقط من الأشجار، بينما تعني كلمة فاكهة "fruit" بالإنجليزية الفاكهة التي تشترى من السوق (عبد العزيز مخيلفي ،١٩٧٨، ص ١٤٣).

وعلى أية حال، يبدو أن هناك توسعا في استخدام السواحيلية يزداد على حساب كل من اللهجات المحلية والإنجليزية. وهناك خلط بين اللغات، يصاحب عادة مثل هذا التوسع. وإلى الحد الذي يطور فيه التنزانيون القومية، أي أنهم يرون أنفسهم كتنزانيين، أو حتى أيضا أكثر من كونهم أفرادا لجماعة عرقية ذات قومية فرعية، يمكننا أن نتوقع التخلي عن اللهجات المحلية في سبيل السواحيلية. ويبدو أن براغوي أمة قد وصلت مرحلة متقدمة من هذا النوع من التطور، والذي حلت فيه اللغة القومية، وهي قوارني، كليا، محل اللغات العرقية. ويتنبأ عبد العزيز مخيلفي (١٩٧٨م، ص١٤٥) بأن في تنزانيا "قد تزداد ازدواجية لغة بسيطة للعديد من الأفراد ثنائيي اللغة بالسواحيلية والإنجليزية، تماما كما هي الحالة بالنسبة لثنائية اللغة الإسبانية ولغة قوارني في براغوي. ولكن يظهر أن هذا تغير قد يستغرق حدوثه أجيالا عدة. ويبدو أن السواحيلية في تنزانيا مقبولة للقيام بوظائف اللغة العليا أكثر من القبول الذي تجده قوارني في براغوي، للقيام بالوظائف نفسها: فهي تستخدم كلغة تعليم في التعليم الابتدائي، بينما يبلغ الاستخدام نفسه لقوارني بحذر شديد. ولا يبدو الإحلال الكامل

للسواحيلية مكان الإنجليزية وشيك الحدوث. ويبدو أن الحاجة للإنجليزية ستستمر كلغة للتجارة الدولية، والدبلوماسية، والعلوم والتكنولوجيا، على الأقل، في المستقبل المنظور.

ويبدو أن قدر اليونان هو المرور بتغير في ازدواجية اللغة تجاه نظام لغوي متحد، يشتمل على أجزاء من كل من الشكلين الأعلى والأدنى القديمين، وبسيطرة الشكل الأدنى القديم. وحتما قد يتغير الجزء الأدنى من ازدواجية اللغة المزدوجة المتراكمة في تنزانيا، فقد يحل الشكل القديم الأعلى على الأقل محل بعض الأشكال الدنيا القديمة. ومن المحتمل المحافظة على كل من الشكلين الأعلى والأدنى في الجزء الأعلى من الازدواجية، بالرغم من أن من المحتمل أن يضيق الشكل الأدنى الخناق على مدى الوظائف المخصصة للشكل الأعلى. ولا نعني في كلتا الحالتين نهاية ازدواجية اللغة. فازدواجية اللغة لا تنتهي أبدا، فهي من طبيعة لغة الإنسان. وستعني التغيرات التي ناقشناها أن ازدواجية اللغة ستبدأ في الظهور من خلال مجموعة متحدة أكثر من الخيارات اللغوية، أي ستظهر بشكل أكبر بالذي سميناه بالتحول الأسلوبي، وبشكل أقل بما دعيناه بالثنائية اللغوية الفوقية، أو ازدواجية اللغة التقليدية.

هوامش مراجع إضافية

بعض الدراسات التي ناقشت الحالات الأربع التي ذكرها فرجسون هي كالتالي: فرجسون، ب ١٩٥٩؛ كاي Kaye، ١٩٧٠؛ زغول Zughoul، ١٩٨٠م عن العربية؛ هاوسهولدرز، ١٩٧٦م؛ سوتيرولولس، ١٩٧٧/؛ براونتج، ١٩٨٢م عن اليونانية (دراسة براونتج ١٩٦٨م عن الألمانية السويسرية. وتشمل بعض الدراسات الأكثر حداثة عن حالات أخرى لازدواجية اللغة مايلي: فلنت ١٩٧٩ك (أشكال لغوية من إنجليزية في جزيرة نورفولك؛ هقيز Hughes، ١٩٧٢م (الإنجليزية

والفرنسية في مونتريال)؛ جاكولا Jaakkola، ١٩٧٦م (اللغتان السويدية والفينش في السويد)؛ كرايزن، ١٩٧٩ (الروسية)؛ ماقنر Magner، ١٩٧٨م (المعيارية الكرواتية واللهجة المحلية لسبلت في يوغلاسفيا)؛ ميوس Meeus، ١٩٧٩ (البلجيكية المعيارية ولغة القلمش في بلجيكا)؛ باراشير Parasher، ١٩٨٠ (الإنجليزية واللغات في الهند).

هوامش

(١) نشر مقال فرجسون بعنوان "ازدواجية اللغة" أول مرة في مجلة Word في عام ١٩٥٩ م. والاستشهادات في هذا الفصل هي من ذلك المقال بعد إعادة نشره في كتاب حرره جيجيليولي Gigiloli (١٩٧٢م).

(٢) كما سنرى لاحقا وكما توقع فرجسون، فإن ازدواجية اللغة في اليونانية تقترب من النهاية في المفهوم التقليدي لمصطلح "ازدواجية اللغة". فقد مرت لغة الأدب في اليونان بتحول عكسي مدهش.

(٣) إلى حد ما، فإن حالتي اليونانية والسويسرية استثناءان لهذا.

(٤) وهذا أيضا صحيح عندما يستخدم تعريف فرجسون (١٩٧٢م، ص ص ٢٤١-٢) الأكثر تقنية للبساطة.

(٥) لن تؤخذ الاستشهادات من مقال فيشمن الأصلي، ولكن من نسخة معدلة بعض الشيء في (فيشمن، د ١٩٧٢م).

(٦) بالرغم من أن من الواضح أن فيشمن قد أدرك أنه قد يستخدم أكثر من ضربين لغويين لأغراض منفصلة في المجتمع، ولكن من غير الواضح ما إذا كان يعتقد أنه يجب تسمية هذه الحالات بازدواجية اللغة، وبالفعل من المفترض أنه لا

يعتقد ذلك. ولكن الأقل وضوحا هو مدى اعتبار فيشمن حالة ضربي اللغة كحالة خاصة.

(٧) كما رأينا في الفصل الأول، فمن المبالغة افتراض أن كل فرد في براغوي يتحدث الإسبانية وقوارني.

(٨) توجد في مقال قمبرز (١٩٦٢م، ص ٣٢) فكرة متشابهة للعلاقة بين المجتمع اللغوي والضروب اللغوية. وغايتي توسيع مصطلح "الوحدة الاجتماعية" حتى يشمل حالات فيشمن لـ "ازدواجية اللغة دون ثنائيتها".

(٩) ستميز الحالة المعاكسة، والتي يكون فيها شكل لغوي واحد أدنى وعدة أشكال لغوية عليا، بين المجتمعات الكلامية باستخدام تعريفي. ومن غير الواضح ما إذا كانت مثل هذه الحالات موجودة. وقد اقترح علي ألن بيل Allen Bell أن المكان الذي يجب أن نبحث فيه عن مثل هذه الأمثلة سيكون في مناطق الحدود القومية، حيث تعيش جماعة اجتماعية ثقافية على جانبي الحدود. وفي مثل هذه الحالات، فإن الشكل الأدنى قد يكون لغة المجموعة الصغيرة نفسها لكلا الطرفين، أما الشكلان العلويان فقد يكونان اللغة القومية لأفراد المجموعة، كل بحسب الجزء الذي يعيش فيه.

(١٠) ومن المناسب هنا الإشارة إلى أنه على الرغم من مصطلح "أدنى"، فإن الوظائف التي تخدمها ضروب اللغة الدنيا أهم بدرجة كبيرة للفرد كشخص من الوظائف التي تخدمها ضروب اللغة العليا.

(١١) سنتطرق لتنزانيا مرة أخرى عندما نناقش التخطيط اللغوي في الفصل العاشر.

(١٢) ناقش قمبرز في مقالين على الأقل (١٩٦٢م، ١٩٦٤م) التوزيع الوظيفي

للغات داخل الجماعة، وأورد مقال فرجسون (أ ١٩٥٩م) من ضمن مراجعه، ولكنه تحاشى استخدام مصطلح "ازدواجية اللغة".

(١٣) يدرك بلات احتمالية تجميع لغات فرعية داخل لغات، والذي ميزه بوضوح عما وجده في سنغافورا وماليزيا (بلات، ١٩٧٧م، ص ٣٦٣).

(١٤) لقد عدلت الجزء غير الرسمي من الترجمة غير الرسمية، ولذا فهي تختلف قليلا عن ترجمة ستيوارت (١٩٦٣م، ص ١٥٨).

(١٥) بالنظر إلى ذلك بهذه الطريقة، فإن قراء هذا الكتاب من متحدثي اللغة الإنجليزية الأصليين يستخدمون الآن معرفتهم بالأسلوب "الأعلى" للإنجليزية، وعند تحدثهم في المرة القادمة مع أفراد العائلة والأصدقاء القريبين سيستخدمون الأسلوب الإنجليزي الأدنى.

(١٦) للنقاش السريع بين مؤيدي ومعارضي مسألة القرابة، انظر فلمان Fellman (١٩٧٥م) وجونسون Johnson (١٩٧٥).

(١٧) لا شك في أنه ستكون هناك حالات يتمنى المرء تسميتها بازدواجية اللغة، والتي لن تتطابق تماما مع هذا التعريف من جهة أو أخرى. وإحدى هذه الحالات التي أعرفها هي الاعتزاز الكبير الذي يملكه متحدثو الألمانية في سويسرا بأشكالهم اللغوية الدنيا، وهي لهجاتهم السويسرية. وكما ذكر مولتون (١٩٦٣م) فقد كتبت كتب القواعد لبعضهم، كما أنه جُهِّزت مدرسة لتعليم الألمانية السويسرية للمغتربين السويسريين العائدين إلى البلد مع تفضيل القواعد الفونولوجية للألمانية النموذجية، أي اللهجة العليا، والتي تجعلها تبدو سويسرية أكثر. ومن هنا فمن غير الواضح ما إذا كانت الأشكال اللغوية الدنيا من الألمانية المتحدثة في سويسرا "أقل تقديرا" من الألمانية النموذجية. وكما رأينا

في الفصل السابق فإن قوارني "أقل تقديرا" من الإسبانية في وضع ازدواجية اللغة العامة في براغوي، فقط بشكل محدود.

(١٨) وقد كتب أحد كتاب الرواية والقصة القصيرة في تلك الفترة وهو الكساندر بابا ديمانتيس، الحوار في أعماله باستخدام اليونانية المحكية في عصره، أما السرد القصصي فكتب بكاثاريفوسا مع خصائص عديدة من الديموطيقية، أما الوصف والاستطراد بقصائد الشعر المغنى فقد كتب بشكل من الكاثاريفوسا الأكثر تقليدية (براوننغ، ١٩٨٢، ص ٥٤).

(١٩) قاد هذا إلى وضع غير سوي في ازدواجية اللغة، حيث إن الكّتاب يكتبون بشكل لغوي "أدنى" من ذلك الذي يتكلمونه (كازازيس، ١٩٧٦م).

(٢٠) وجد براوننغ (١٩٨٢م، ص ٥٧) أن من "غير المحتمل" أن تقوم أي حكومة في اليونان بإعادة كاثاريفوسا كلغة تعليم.

الأهداف

١- أن يكون قادرا على تحديد أي من الخصائص التسع الأكثر أهمية لازدوجية اللغة.

٢- أن يكون قادرا على التعرف على ردة الفعل لاستخدام أحد الشكلين الأعلى أو الأدنى في حالة معينة (مناسب أو غير مناسب)، كتلك المذكورة في الجدول رقم (٢,١).

٣- أن يكون قادرا على التعرف على أنماط الاكتساب لكل من اللهجتين العليا والدنيا، وأي منها يتعلمها الشخص بطلاقة أكثر.

٤- أن يكون قادرا على ذكر الحقيقة المذهلة لمفردات الشكلين الأعلى والأدنى، والتي أشار إليها فرجسون.

٥- أن يكون قادرا على التعرف على العلاقة بين القواعد والفونولوجيا للشكلين الأعلى والأدنى.

٦- أن يكون قادرا على التعرف على أكثر الاحتمالات وقوعا كنتيجة لازدواجية اللغة إذا لم تبق ثابتة.

٧- أن يكون قادرا على تحديد التعديلين المهمين اللذين قام بهما فيشمن لمصطلح ازدواجية اللغة بمفهوم فرجسون.

٨- أن يكون قادرا على ذكر العامل المشترك في ازدواجية اللغة الذي يتفق فيه فرجسون وفيشمن.

٩- وحسب الوصف المذكور لتلك الحالة، يجب أن يكون قادرا على تحديد أي من فئات فيشمن الأربع يمكن أن تكون ضمنه.

١٠- أن يكون قادرا على ذكر العامل الذي يرى فاسولد أنه سيجعل التمييز بين ازدواجية اللغة مع ثنائيتها وازدواجيتها بدون ثنائيتها أقل فائدة.

١١- أن يكون قادرا على تمييز فكرة فرجسون الضمنية للمجتمع الكلامي ذي الازدواجية اللغوية وعلى تعريف فاسولد.

١٢- أن يكون قادرا على ذكر أهم سمات ازدواجية اللغة المضعفة المتداخلة.

١٣- أن يكون قادرا على ملاحظة وصف ازدواجية اللغة ثنائية التداخل كما هو الحال في خالبور في الهند.

١٤- أن يكون قادرا على تحديد أهمية تعددية اللغة الخطية لمسألة الثنائية.

١٥- أن يكون قادرا على التعرف على خلاصة المناقشة لمسألة القرابة، والتي قادت إليه الدراسات عن الشكل اللغوي الفرنسي لهيتي واللغة الروسية، ومن منظور مختلف الحالة في خالبور.

١٦- أن يكون قادرا على التعرف على السؤال الذي يتفق فيه تعريف فاسولد لازدواجية اللغة العامة مع تعريف فرجسون الأصلي .

١٧- أن يكون قادرا على التعرف على درجات القرابة اللغوية الملازمة لـ "ازدواجية اللغة التقليدية" والنوعين الآخرين المعارضين لها من أنواع ازدواجية اللغة العامة (الجدول ٢.٢).

١٨- أن يكون قادرا على تسمية خاصيتي التغيير في علاقات ازدواجية اللغة.

١٩- أن يكون قادرا على ذكر ما إذا كان فاسولد يعتقد أن التغيير في ازدواجية اللغة قد يعني نهايتها ، في المفهوم الموسع.

الفصل الثالث

الصيغ النوعية

النُّهج الصيغية

لقد استكشفنا الأوجه الاجتماعية والسياسية للتعددية اللغوية للمجتمع بما يكفي؛ لتمكيننا من ملاحظة أن بعض الأنماط تتكرر في لغات مختلفة في أرجاء مختلفة من العالم. فمثلا، نجد لغات الدول الأوروبية المستعمرة كلغة حكومية رسمية في براغوي (الإسبانية)، وفي تنزانيا (الإنجليزية)، وفي الهند جزئيا (الإنجليزية). وفي الوقت نفسه، نجد لغات أصلية معلنة كلغات قومية في البلدان الثلاث (قوارني في براغوي، والسواحيلية في تنزانيا، والهندي في الهند). ويجب ملاحظة أن هذه البلدان تقع في ثلاث قارات مختلفة، وأن تلك اللغات الأصلية لا قرابة بينها على الإطلاق. ورأينا في بلدين استعرضناهما سابقا وجود مناطق فرعية ذات تعددية لغوية كبيرة وتخلف اقتصادي نسبي (ولاية نقالاند الهندية ومنطقة تشاكو في براغوي). ويوجد في هاتين المنطقتين لغات عديدة متقاربة يتحدثها عدد قليل من الناس والذين بدأوا حديثا الانضمام إلى الحياة القومية. ورأينا أيضا أنماطا متشابهة بدرجة مذهلة لازدواجية اللغة بين الإسبانية وقوارني، والعربية الكلاسيكية والعامية، وأسلوبي عامية خالبور، موتي بولي وصاف بولي. وهذه فقط بضعة أمثلة لتعميمات لسانية اجتماعية تبدو متكررة الحدوث بغض النظر عن المكان واللغة.[1]

التصنيف والصيغ

إذا كانت هناك تعميمات كهذه من الممكن تطبيقها في جميع أنحاء العالم، فهل من الممكن إصدار بيانات عامة لعلم اللغة الاجتماعي ممكنة التطبيق على جميع بلدان العالم، أو على الأقل على مجموعات منها؟ وخلال الستينيات من هذا القرن كانت هناك جهود لاكتشاف أنماط عامة في اللسانيات الاجتماعية والتي قد تسهل عمليات المقارنة بين البلدان. وقد تطور هذا الجهد بنوعين من النهج، هما: التصنيف والصيغ. كانت عمليات التصنيف محاولات لإعداد فئات مبنية على متغيرات قليلة، بحيث يمكن إدراج أي بلد فيها. وقد أكدت أهمية التطور التاريخي للأمم (شيء مقارب للأنماط الأربعة التاريخية المذكورة في الفصل الأول)، والوضع القانوني للغات المختلفة في البلدان، ووضع القومية الحاكمة نسبة إلى البلد ككل، وأسئلة تتعلق بالتطور والقرابة للغة، وحجم عدد السكان الذين يتكلمون اللغات المختلفة. وقد طوِّر تصنيفان بوساطة كلوس Kloss (١٩٦٦م، ١٩٦٨م) ورستو Rustow (١٩٦٨م)، أما النهج الآخر فقد بدأ به ستيوارت (١٩٦٢م)، وعدله فرجسون (١٩٦٦م) ببعض التطوير لعمله السابق (فرجسون، ١٩٦٢م)، ومن ثمّ عدله ستيوارت مرة أخرى (١٩٦٨م).[٢] ولرؤية كيفية عمل نهج الصيغ سندرس بالتفصيل الأنظمة التي اقترحها فرجسون (١٩٦٦م) وستيوارت (١٩٦٨م).

صيغ فرجسون.

كان هدف فرجسون هو إكمال البحث الذي قام به ستيوارت سابقا لإيجاد نظام تدويني محكم، يمكن تطبيقه على الأمم للحصول السريع على حقائق مهمة لعلم المجتمع، وقد بدأ فرجسون بوضع ثلاث فئات عامة يمكن إدراج لغات الأمة فيها. فاللغة تعتبر لغة رئيسية (ل ر) إذا لاقت إحدى هذه المؤهلات الثلاث على

الأقل:

١- أن تكون محكية كلغة أصلية من قبل أكثر من ٢٥٪ من السكان، أو أكثر من مليون نسمة.

٢- أن تكون اللغة الرسمية للبلد.

٣- أن تكون لغة التعليم لما يزيد عن ٥٠٪ من أولئك الذين يكملون المدرسة الثانوية في الأمة.

وتكون اللغة ثانوية (ل ث) إذا لم تلاق أيا من المتطلبات الرئيسية الثلاثة للغة، ولكن لها إحدى الخصائص التالية:

١- يتحدثها كلغة أصلية أكثر من ٥ بالمائة من السكان، أو أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص.

٢- تستخدم كلغة تعليم بعد السنة الأولى من التعليم الابتدائي، ولها كتب منهجية غير تلك الكتب التمهيدية المكتوبة فيها.

أما الفئة الثالثة فمصممة لتشمل تلك اللغات التي تبدو مهمة، ولكنها لا تفي بأي من متطلبات اللغتين الرئيسية والفرعية.[٣] وقد تستخدم اللغة ذات المنزلة الخاصة (ل م خ) كلغة الدين أو للأغراض الأدبية، أو تعلم بشكل واسع كمادة دراسية في المرحلة الثانوية، أو تستخدم كلغة مشتركة.[٤]

وبالإضافة إلى هذه الفئات العامة، فإن صيغ فرجسون وستيوارت تشمل النماذج والوظائف. وقد اقتبس فرجسون فكرة النماذج والوظائف من عمل ستيوارت السابق (ستيوارت، ١٩٦٢م). والنماذج الخمسة للغة التي ميزها فرجسون هي كما يلي:

١- *اللغة المحلية* (ويرمز لها بالحرف مح)، وهي اللغة الأم غير القياسية للمجتمع الكلامي.

٢- *اللغة النموذجية* (نم)، وهي لغة محلية قياسية.

٣- *اللغة الكلاسيكية* (كل)، وهي لغة نموذجية ماتت كلغة أم.

٤- *اللغة الخليط* (خل)، وهي لغة هجين تجمع مفرداتها من لغة ما وبناؤها القواعدي من لغة أو لغات أخرى.

٥- *اللغة المزيج* (مز)، وهي لغة خليط أصبحت لغة أم لمجتمع كلامي معين.

وأعطى فرجسون الوظائف التالية التي ستحققها النماذج المختلفة من اللغات إشارات الوظائف في النص الأصلي مكتوبة بأحرف تحت السطر).

١- *وظيفة الجماعة* (جم)، مخصصة بشكلٍ أساسي للاتصال داخل حدود مجتمع كلامي معين ، وتعرفهم على أنهم جماعة اجتماعية ثقافية معينة في البلد.

٢- *الاستخدام الرسمي* (رس)، معلنة شرعيا كلغة رسمية، أو مستخدمة للأغراض الحكومية على المستوى القومي.

٣- *لغة الاتصال الأوسع* (أ ت)، أو لغة مشتركة تستخدم داخل بلد ما للاتصال بين المجتمعات العرقية.

٤- *الاستخدام التعليمي* (تع)، تستخدم في التعليم بعد السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية، تنشر بها كتب منهجية.

٥- *الأغراض الدينية* (دي).

٦- *الاستخدام الدولي* (دو)، للاتصال مع الأمم الأخرى.

٧- *وظيفة أو وظائف مادة دراسة* (مد)، تدرس بشكلٍ واسع كمادة في المدرسة عوضا عن استخدامها كلغة تعليم.

وبعد ذلك تجمع هذه الأصناف الثلاثة من المعلومات في صيغة واحدة. ويمكن شرح بنية الصيغة باستخدام صيغة فرجسون لبراغوي (١٩٦٦م، ص ٣١٤)، وهي أمة نعرفها الآن.

٣ لغ = ٢ ل ر (نم رس، مح جم) + ∴ل ث + ١ ل م خ (كل دي)

وتقرأ الصيغة كما يلي:

هناك ثلاث لغات في براغوي، منها لغتان رئيستان، أحدهما لغة نموذجية تقوم بوظيفة الاستخدام الرسمي، والأخرى محلية تقوم بدور وظيفة الجماعة، ولا يوجد فيها أي لغة ثانوية، وبها لغة واحدة ذات منزلة خاصة، وهي اللغة الكلاسيكية التي تقوم بوظيفة الأغراض الدينية.

ولا يمكن تمييز اللغات مباشرة عند قراءة صيغة فرجسون، ولكن ليس من الصعب الوصول إلى معرفة أن اللغة النموذجية هي الإسبانية، وأن المحلية هي قوارني، وأن اللغة الكلاسيكية هي اللاتينية.

ويمكن تطوير نظام التدوين الأساسي بإضافة ثلاث أدوات إضافية. فيمكن الإشارة إلى ازدواجية اللغة باستخدام علامة الترقيم (:) بين ضروب اللغتين العليا والدنيا، فعلى سبيل المثال تتضمن صيغة المغرب المدخل التالي كل: مح رس دي ا ت[٦] الذي يمكن قراءته على النحو التالي:

هناك أشكال كلاسيكية ومحلية للغة، تكون في علاقة ازدواجية اللغة، حيث تعتبر الكلاسيكية اللهجة العليا والمحلية اللغة الدنيا وتتوزع وظائف الاستخدام الرسمي والأغراض الدينية والاتصال الأوسع بينهما كما هو متوقع في ازدواجية اللغة، أي أن الشكل الكلاسيكي سيقوم بوظائف الاستخدام الرسمي والديني، بينما تقوم المحلية بوظيفة الاتصال الأوسع.

ويكتب نموذج اللغة ووظيفتها بحروف طباعة ثخينة للدلالة على أن إحدى اللغات الرئيسية هي "اللغة السائدة قوميا"، وتعرف بأنها لغة يستخدمها أكثر من ثلاثة أرباع السكان كلغة أولى أو ثانية (فرجسون، ١٩٦٦ م، ص ٣١٣). وأخيرا، هناك بلدان فيها لغات عديدة لجماعات صغيرة، ولا يصلح أي منها على انفراد لأن تكون

لغة رئيسة، أو لغـة ثانوية، أو لغة ذات منزلـة خاصـة. ولكـن عنـد النظـر إليها ككتلـة واحدة، فإن هذه اللغات تمثل مجموعا لا بد من تمثيله في صيغة. ويستخدم فرجسون علامة الحصر [ ] وعلامة الجمع (+) للإشارة إلى تلك الكتلة من اللغات، والتي تظهر كلغات محلية تشكل مجتمعة حجـم لغة ثانويـة. ولإيضـاح كيفيـة عمـل هـذا، انظـر إلى الصيغة التالية لتايوان (فرجسون، ١٩٦٦م، ص ٣١٤):

٥+ لـغ = ٣ ل ر (نم رس ا ت، ٢ مـح جـم) + ∴ل ث ([مـح]) + ٢ ل م خ (كل دي، نم مد دو)

وتقرأ الصيغة كما يلي:

هناك خمس لغات، بالإضافة إلى كتلة من اللغات، منها ثلاث لغـات رئيسـة، واحدة لغة نموذجية تقوم بوظائف الاستخدام الرسمي والاتصال الأوسع، ولغتـان محليتان تؤديان وظيفة الجماعـة: لا يوجـد هنـاك لغـات ثانوية، ولكـن هنـاك كتلـة مـن اللغات المحلية، تشكل مجتمعة لغة ثانوية، وهناك لغتان ذات منزلة خاصـة، إحداهمـا كلاسيكية تقوم بالوظيفة الدينية والأخرى لغة نموذجية تؤدي وظـائف المواد الدراسية والاتصال الدولي.

صيغ ستيوارت.

تعتبر صيغ ستيوارت (١٩٦٨م) بمثابة تعديل للنظـام التدويـني الـذي اقترحـه في عـام ١٩٦٢م. ومثـل صيـغ فرجسون، فإن صيغ ستيورات تحتوي على نمـاذج اللغـة ووظائفها، وتسمح بالتعبير عن وجود ازدواجية اللغة، وتعطي مؤشرات على حجـم عدد السكان الذين يتكلمون اللغـات المختلفـة (ولكـن يُتعـامل مـع المهمتين الأخـيرتين بشكل مختلف عند ستيوارت). وأحد أوجه نهج ستيوارت هو تعريفه نمـاذج اللغـة عـن طريق النعوت. فقد اقترح مجموعة من أربعة نعوت حيث يؤدي جمع نعوت مختلفة مع بعضها إلى النماذج السبعة للغة التي يميزها ستيوارت. وتتضمن هذه النمـاذج الخمسـة

التي استخدمها فرجسون، بالإضافة إلى اللهجات (ويرمز لها بالحرف له) واللغات الاصطناعية (اص) وهي لغات أنشئت بشكلٍ متعمد (وقد تكون لغة اسبرناتو من أشهر أمثلتها). والنعوت الأربع هي:

١- التقييس (تق) وهو تقنين وقبول مجموعة معينة من المعايير للاستخدام الصحيح.

٢- الاستقلالية (استق)، تكون فيه حالة النظام اللغوي مستقلة أي اللغة التي يشار إليها وحدها دون ربطها بلغة أخرى.

٣- التاريخية (تا)، قبول ضرب اللغة على أنه تطور طبيعيا عبر الزمن.

٤- الحيوية (حي)، وجود مجتمع غير معزول يتكون من متحدثين أصليين لضرب من ضروب اللغة.

وتعرف النماذج السبعة للغة على أساس هذه النعوت كما في الجدول رقم (٣،١).

الجدول رقم (٣،١). نماذج اللغات معرفة على أساس النعوت.

الرمز	نموج اللغة	النعوت			
		(تق)	(استق)	(تا)	(حي)
نم	نموذجية	+	+	+	+
كل	كلاسيكية	+	+	+	-
اص	اصطناعية	+	+	-	-
مح	محلية	-	+	+	+
له	لهجة	-	-	+	+
مز	مزيج	+	+	+	-
خل	خليط	-	-	-	-

(المصدر: مأخوذ عن ستيوارت ١٩٦٨، ص ٥٣)

ويمكن فهم نعوت ستيوارت بشكلٍ أفضل، إذا شرح سبب وجود قيم سالبة (-) للنماذج في الجدول رقم (٣,١)، فاللغات المحلية، واللهجات، واللغات المزيج، واللغات الخليط تعتبر (- تق)؛ لأنها نموذجيا لا تمتلك كتب قواعد خاصة بها ومعاجم، ومواد تقنين مشابهة.(٧) أما اللهجات، واللغات المزيج، واللغات الخليط تعتبر (- استق)؛ لأن الجميع يعتبرونها ضروبا لبعض اللغات الأخرى، وبالنسبة للغات الخليط والمزيج فهي تعتبر أشكالا من اللغات التي أخذت منها معظم مفرداتها. أما اللغات الاصطناعية، واللغات المزيج، واللغات الخليط فهي (- تا)؛ لأن تاريخها لا يعتبر بشكلٍ أو بآخر "طبيعيا"؛ ولأن اللغات الاصطناعية ظهرت للوجود فجأة عندما اختُرعت، أما اللغات الخليط، فقد نشأت نتيجة الاحتكاك بلغة أخرى، أما بالنسبة للغات المزيج، فقد تطورت من لغات خليط. ووجه مهم لصفة التاريخية هو الربط بين اللغة وتقاليد جماعة اجتماعية ثقافية معينة، وهي صفة تفتقر إليها هذه النماذج الثلاثة جميعها. وتعتبر الكلاسيكية والاصطناعية والخليط (-حي)؛ لأنه ليس لأي منها، وكما ذكر التعريف، مجتمعات من متحدثين أصليين.

ووظائف اللغة التي يميزها ستيوارت هي الوظائف السبع نفسها التي ذكرها فرجسون، بالإضافة إلى الثلاث التالية:

١- وظيفة الاستخدام في المقاطعة (متى)، وهذا يشير إلى أن الاستخدام الرسمي للغة في مستوى بعض الأقسام الفرعية السياسية أصغر من البلد ككل.

٢- وظيفة الاستخدام في العاصمة (عص)، ويعني أن ضرب هذه اللغة هو الوسيلة السائدة للاتصال في منطقة العاصمة القومية.

٣- الوظيفة الأدبية (أد)، ويعني استخدام اللغة بشكل رئيسي في الأعمال الأدبية والثقافية.

وبالإضافة إلى أنواع اللغة ووظائفها، وضع ستيوارت كل لغة في صنف من

أصناف ستة، بناء على النسبة المئوية لمتحدثيها.(٨) ويحل هذا النظام محل فئات اللغات الرئيسة والثانوية عند فرجسون، بالإضافة إلى استخدامه نظام حروف الطباعة السوداء، والاختلاف المهم الآخر بين النظامين هو أن فرجسون حسب فقط عدد المتحدثين الأصليين للغة عندما وزع اللغات كلغات رئيسية، أو ثانوية، أو غيرها (ولكن ليس لاستخدام حروف الطباعة السوداء)، بينما حسب ستيورات جميع المتحدثين، الأصليين منهم والمتحدثين للغة كلغة ثانية، عند توزيعه اللغات على الأصناف، ويعرض الجدول (٣،٢) الأصناف التي ذكرها ستيوارت.

الجدول رقم (٣،٢). تصنيف ستيوارت للغات بنسبة عدد السكان المتحدثين لها

الصنف	النسبة
الصنف الأول	٧٥٪ فما فوق
الصنف الثاني	٥٠٪ فما فوق
الصنف الثالث	٢٥٪ فما فوق
الصنف الرابع	١٠٪ فما فوق
الصنف الخامس	٥٪ فما فوق
الصنف السادس	أقل من ٥٪

المصدر: مقتبس من ستيوارت (١٩٦٨م، ص ٥٤٢)

ومثل ما فعل فرجسون، فقد قام ستيوارت بإضافة بضعة اصطلاحات خاصة للتعبير عن المعلومات الإضافية. فإذا كان للغة النموذجية شكلان معياريان قيست على أساسهما (وقد أعطى مثالا على ذلك لغة "الهندوستاني"، وهي قياسية بمعياري لغتي

الهندي والأردو)، فإنها تعطى قيمة ٢ بنمط كتابة منخفض، بالإضافة إلى نموذج اللغة (مثلا، نم٢). وإذا قيست لغة معينة في بلد ما طبقا لمعايير نشأت في بلد آخر، يسمى هذا بالتقييس اللاضمني المعايير، ويشار إليه بالحرف ظ المكتوب بنمط كتابة منخفض. ولا بد عند ذلك من تحديد اللغة النموذجية اللاضمنية المعيار، فمثلا، قيست الإنجليزية المستخدمة في نيجيريا وفقا للمعيار البريطاني؛ ولذا شتملت صيغة ستيوارت لنيجيريا على التالي:

الإنجليزية نمظ رس (المعيار البريطاني)

يشار إلى ازدواجية اللغة باستخدام الرمز (ازد: أعلى = اللغة (أ)) بجانب الشكل الأدنى، والرمز (ازد: أدنى = اللغة (ب)) بجانب الشكل الأعلى. ويجب إدراج الأشكال العليا والدنيا وبشكل منفصل. ويقدم ستيوارت (١٩٦٨م، ص ٥٤٤) المثال التالي للصيغة التي وصفها لجماعة جزيرة كوراسي في أرخبيل هولندا:

الصنف الأول	بابيامينتو	مز	(ازد: أعلى= الإسبانية)
الصنف الرابع	الهولندية	نم رس	
	الإنجليزية	نم دو جم مد	
الصنف الخامس	الإسبانية	نم دو مد أد	(ازد: أدنى= بابيامينتو)
الصنف السادس	العبرية	كل دي	
	اللاتينية	كل دي مد	

وطريقة قراءة هذه الصيغة واضحة بشكل كبير.

فشل نهج الصيغ

على الرغم من الجهد الفكري الكبير الذي وضعه العلماء المقتدرون في هذين النظامين التصنيفين وغيرهما، إلا أن هذه الأنظمة لم تلق قبولا واسعا كطريقة اصطلاحية لتمثيل التعددية اللغوية للمجتمع. وفي الواقع، لم يقم أي متخصص معروف بعلم اللغة الاجتماعي منذ ما يزيد على العقد من الزمن بمحاولة تطوير أسلوب صيغي. وإذا كان هناك حقا تعميمات لسانية اجتماعية من النوع الذي استشهدنا به في بداية هذا الفصل، فلماذا لم يكن بمقدور أحد تطوير نظام تدويني قادر على الإحاطة بها؟

وكما ذكر فرجسون في النقاش الذي حمله مقاله لعام ١٩٦٦م، فإن الحقيقة التي يجب الانتباه لها هي "أن هذا إطار للحديث صغير جدا -فهناك ما بين ١٠٠ و٢٠٠ بلد في العالم" (برايت Bright، ١٩٦٦م، س٣١٦). وطالما أن هناك عددا قليلا نسبيا من الدول التي نستطيع التحدث عنها، فيبدو أنه لا جدوى من بناء مقولات عامة. وقد يكفي وصف نثري للتعددية اللغوية في كل بلد. ولكن أعتقد أننا نستطيع الاستفادة من دراسة "إطار حديث صغير" آخر في حقل آخر، والذي اكتشفت مبادئ عامة مهمة له.(٩)

ويبلغ عدد العناصر الكيميائية نحو مائة، وهي تعطي أو تأخذ مقدارا ضئيلا من عناصر المختبر. ومع ذلك فقد كان هناك تقدم مطرد في اكتشاف طبيعة العناصر على مدى الـ١٥٠ عاما الماضية. وقد اكتشف الكيميائي الألماني جون دوبرنير أن هناك علاقة بين الوزن الذري وبعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية للعناصر. واتخذت طريقة دوبرنير لعرض هذه الحقيقة شكل ثلاثيات من العناصر مرتبة بحسب الوزن الذري. وداخل كل ثلاثية، يمكن التنبؤ ببعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية للعنصر الذي يقع في الوسط من خلال العنصرين الآخرين. وبعد نحو ٣٥ عاما وفي

عام ١٨٦٤م، لاحظ كيميائي إنجليزي اسمه جون نيولاند أنه إذا رتبت العناصر في ثمانية أعمدة، يحتوي كل منها على سبعة عناصر، فإن العناصر الثمانية التي تقع بالصفوف الأفقية تتشابه في خصائصها إلى حد كبير. وكان "قانون الثمانية" هذا هو السلف للجدول الدوري الحديث للعناصر، وكانت هناك فراغات قليلة في الجدول المعبر عن قانون الثمانية، وقد تنبأ الكيميائي الروسي الكبير ديمتري مينديلييف بأن هناك عناصر قد تكتشف لملء هذه الفراغات، كما تنبأ أيضا بالخصائص التي ستملكها هذه العناصر. وبدون شك فقد اكتشف فيما بعد ثلاثة عناصر نادرة موجودة في الأرض، هي: القاليوم، والاسكانديوم، والجرمانيوم، وقد ملأت هذه العناصر الثلاثة فراغات في الجدول، وكان لها الخصائص التي تنبأ بها منديليف.

وحتى ذلك الوقت، كانت العناصر تعطى أماكن في الجدول حسب أوزانها الذرية. ولاحظ منيديليف أيضا أن اثنين من العناصر لم يصلحا للأماكن التي وضعا فيها حسب أوزانهما؛ وذلك لأنه يمكن التنبؤ بشكل أفضل عن خصائصهما الأخرى لو بُدِّل مكانهما مع العنصرين المجاورين. وفي ذلك الوقت، (نحو ١٨٧٠م) لم يكن هناك أي تفسير لماذا بدا الوزن الذري ذلك المبدأ المنظم الجيد على العموم، بينما بدا ذا عيوب ونواقص قليلة في تلك الحالتين. وفي عام ١٩١٤م قام كيميائي إنجليزي آخر اسمه هنري قوين –جيفريز موسولي باستخدام طريقة تعتمد على قياس طول موجات الأشعة السينية المنبعثة من العناصر المختلفة، وكان قادرا على بيان أن مبدأ الترتيب الصحيح لا بد أن يعتمد على العدد الذري (عدد البروتونات في النواة الذرية). وعند ترتيب العناصر بحسب العدد الذري فإن الاضطرابات التي لاحظها مينديليف سوف تختفي. يوجد تفسير للحقيقة بأن الوزن الذري متنبئ جيد للدورية، ولكنه ليس تاما، في نظرية تركيب الذرة. وفي النهاية فإن وزن الذرة بأكمله يمكن حسابه عن طريق النواة. وتحوي النواة كلا من البروتونات والنيوترونات، ولكل منها الكتلة نفسها

تقريبا. وطالما أن العدد الذري يعكس عدد البروتونات، فإنه كلما زاد العدد الذري، زادت قيمة الوزن الذري. ولكن، لا بد من توقع وجود اختلافات قليلة بين العناصر المتجاورة عندما ترتب بحسب الوزن الذري بسبب الاختلاف في عدد النيوترونات. ويمكن تعليل الخصائص الكيميائية للعناصر بشكل كبير بعدد النيوترونات الزائدة في النواة في ذراتها، و هو عدد يساوي عدد البروتونات. وهذا بالطبع هو العدد الذري نفسه. ولذا فإنه يتنبأ بخصائص العناصر بواسطة العدد الذري، والوزن الذري متنبئ جيد، ولكن ليس كاملا؛ لأن الوزن الذري يرتبط بشكل وثيق، ولكن ليس بشكل تام، بالعدد الذري.

وقد قصد من وراء هذا الدرس المقتضب لتاريخ الكيمياء بيان كيف أن دراسة "إطار حديث صغير" قد تقود إلى دقة أكبر وأكبر في ترتيب العناصر، والتحسين المستمر للمبادئ، وفي النهاية إلى فهم أعظم لكيفية عمل الظاهرة. وهذا على النقيض تماما من العمل في الصيغ النوعية. وهنا اقترح وعُدِّلت مخططات مختلفة دون زيادة مقنعة في دقتها. وهذا المجهود لم يفد إلا قليلا في فهم التعددية اللغوية في المجتمع. وفي النهاية تُخُلِّي عن هذا المشروع. ويبدو لي أن دراسة العناصر قد تقدمت على أساس مبدأين لا يشكلان الأساس لتطوير صيغ اللسانيات الاجتماعية. ويمكن تسمية هذين المبدأين بمبدأ الطبيعية ومبدأ التنبؤ.[١٠]

ويعني مبدأ الطبيعية ببساطة أنه يجب أخذ موضوع الدراسة كظاهرة يمكن ملاحظتها، وأن عمل العالم هو معرفة كيفية عملها. وكان هذا هو النهج الواضح الذي سلك في دراسة العناصر، فالبعض منها ببساطة وجد كامنا في الأرض. أما في دراسة التنظيم الاجتماعي، فإن الطبيعية ليست نهجا واضحا جدا. فقد كان من الواجب تطبيق التصنيفات والصيغ المختلفة على وحدة ما، وكانت الوحدة المختارة دوما هي الأمة.[١١] وقد تكون الأمم وحدة اجتماعية طبيعية، كما من الممكن جدا

أن لا تكون كذلك ـ لأن الأمم، كما نفهم المصطلح الآن، اختراع حديث نسبيا. وعلى العموم، فهناك حقائق تجعلنا نشك في أن الأمة هي دائما الوحدة التي سننجذب إليها إذا اتبعنا مبدأ الطبيعية. فعلى سبيل المثال، نجد في الهند وحدات سياسية ذات قوميات فرعية، وهي الولايات، والتي من الممكن تطبيق صيغ فرجسون وستيوارت عليها، كما يمكن تطبيقها على أمم بأكملها. وفي بعض البلدان، قد تقود الاختلافات الجغرافية إلى صيغ مختلفة تماما. وهذا يبدو صحيحا بشكل خاص في البلدان التي تكون جزرا، فمثلا أعطى ستيوارت (١٩٦٨م) صيغا مختلفة تماما لجماعتي جزيرتي كوراسي وليوارد، اللتين تقعان في أرخبيل هولندا. ومشكلة أخرى هي حالة الجماعات العرقية التي لم تستقر أولا داخل حدود دولة واحدة. وكما أشار أينر هوقن Einar Haugen في نقاش فرجسون (١٩٦٦م) (برايت، ١٩٦٦م، ص ٣١٨-١٩)، فإن لابيش لغة تتحدثها جماعة لابس في السويد، والنرويج، وفلندا، والاتحاد السوفيتي، ولكن بأعداد قليلة في كل بلد. وحسب معايير فرجسون، فإن لابيش لن تظهر في صيغ أي بلد. ولكن اللغة مهمة نوعا ما لجميع البلدان الأربعة، ولكن قد ينظر أيضا إلى لابس على أنها جماعة متخطية الحدود والقومية. ويمثل يهود ديسبورا جماعة اجتماعية أخرى مهمة من ناحية علم اللغة الاجتماعي، تتجاوز البلد الواحد.[١٢] ويبدو أن الطبيعية ستقود إلى تطبيق نظام صيغي في الوقت نفسه على بلدان بأكملها، وأجزاء فرعية في البلدان، ومناطق متخطية الحدود القومية جغرافيا (مثل شبه القارة الهندية، وشبه الجزيرة الإسكندنافية أو الأيبيرية)، وجماعات اجتماعية ثقافية متخطية الحدود القومية، مثل لابس.

وفي جانب آخر ستقودنا فيه الطبيعية إلى منظور جديد هو ما يتعلق ببعض الوظائف (وهي فئة الرموز التي يكتبها فرجسون وستيوارت بالأحرف الصغيرة المنخفضة). فمثلا، أعطيت وظيفة الاستخدام الرسمي بشكل ثابت لأي لغات

أعلنت كلغات رسمية في دساتير البلدان وقوانينها، بغض النظر عما إذا كانت تلك اللغات تقوم فعلا بتلك الوظيفة. فقد كانت الإنجليزية في الواقع اللغة الرسمية للهند قبل أن يعلنها كذلك قانون عام ١٩٦٧م، وما تزال اللغة الأيرلندية لا تتمتع بوظيفة اللغة الرسمية في أيرلندا، رغم أنها خصصت كذلك بالدستور الأيرلندي. ولغة التعليم وظيفة أخرى كذلك. فسوف تصنِّف الصيغ الحالية اللغات على أنها تقوم بوظيفة التعليم إذا كانت تقوم السياسة المدرسية باستخدام تلك اللغة، بغض النظر عما إذا كان المدرسون في الواقع يتحدثون في نهاية المطاف لغة أخرى معظم الوقت داخل الصفوف الدراسية، وبغض النظر عما إذا كان يتحقق كثير من التعلم إذا التزم باستخدام اللغة الرسمية بشكلٍ كبير.

ولم يكن مبدأ التنبؤ أساسا للصيغ والتصنيفات التي أجريت في الستينيات من هذا القرن، ولكن عوضا عن ذلك كانت الغاية هي التصنيف والمقارنة. وإذا كان مبدأ الترتيب لتنبؤ أي شيء غير مطلوب، فإن نظما أخرى أفضل منه قد تقوم بالمهمة. فمثلا، إذا أراد شخص ما تصنيفا للتفاح، والذي سيمكنه من وضع جميع أنواع التفاح في فئة معينة أو غيرها، فقد تستخدم إحدى هذه الفئات تصنيف التفاح حسب الحجم، وأخرى حسب اللون، وثالثة حسب المكان الذي زرع فيه، أو حسب أي عدد آخر من المعايير. ولكن إذا كان لا بد للتصنيف أن يتفق مع نظرية تنبؤية في علم النبات، فإن عدد التصنيفات المقبولة سينخفض بشكل كبير. وبالطريقة نفسها، فإن الصيغ والتصنيفات القائمة كانت مطلوبة لتنظيم اللغات حسب الأمم (أو العكس)، وكذلك لتسمح بالقيام بمقارنات بين الأمم. وسيقدم أي عدد كبير من الأنظمة الممكنة تنظيما معقولا، وطالما كان النظام نفسه مستخدما جميع البلدان، فإنه ممكن أيضا القيام بالمقارنات. ولا نستطيع أن نتكلم بشكل مفيد عن الأنظمة الصحيحة والخاطئة والأمل في إيجاد النظام الصحيح إلا عندما يسمح لنا المبدأ التنظيمي بالتنبؤ.

ومبدأ آخر سنقدمه هنا، بالرغم من أن بحثه لم يجر على العناصر، وهو مبدأ المتصل. ويكمن جزء من المصاعب في مفهوم الصيغ في إيجاد فئات غير مرنة. خذ مثلا فكرة "التقييس" أو "اللغة النموذجية"، التي كانت المعيار التعريفي للتمييز بين اللغات النموذجية وبين اللغات المحلية لكل من فرجسون وستيوارت. فإذا كانت اللغة، قياسية أو مقننة، لها معايير مقبولة، أو ما شابه ذلك، فإنه يقال عنها: إنها لغة نموذجية، وإلا فإنها لغة محلية. ولكن هناك أنواعا كثيرة لمستويات التقنين، وهناك بعض اللغات أكثر نموذجية من غيرها. وقد ميز كلوس Kloss (١٩٦٨م، ص ٧٨) بين ستة مستويات للتقييس، أما الخمسة التي تشكل شيئا ما يشبه المتصل فهي مدرجة لاحقا:[١٣]

١- اللغات النموذجية المدروسة. يمكن تدريس جميع المعارف الحديثة باللغة النموذجية المدروسة في مستوى الكلية.

٢- اللغات النموذجية للجماعات الصغيرة. المعايير موجودة منذ زمن، ولكن المجتمع الكلامي صغير جدا بحيث يصعب متابعة المجالات الواسعة للحضارة الحديثة من خلالها.

٣- اللغات النموذجية الناشئة. قُنِّنت مؤخرا جدا هذه اللغة ووضعت معاجم لها وقواعد وأدوات مشابهة. وقد تكون اللغة مناسبة للاستخدام في التعليم الابتدائي، ولكنها ليست مناسبة حتى الآن للاستخدام في المراحل المتقدمة.

٤- اللغات الألفبائية اللانموذجية. لا يوجد لهذا النوع معاجم أو كتب قواعد، وهي محصورة الاستخدام في الكتابة فقط.

٥- لغات ما قبل المكتوبة. هذه اللغات لا تستخدم إطلاقا، أو نادرا ما تستخدم في الكتابة.

وقد تنظم مستويات التقييس اعتمادا على معايير أخرى، وقد يكون عدد

مختلف من المستويات أكثر فائدة، ولكن قائمة كلوس تشرح حقيقة أن التقييس ليست فئة ثنائية.

نجد أن وظائف اللغة تتحقق عن طريق لغات مختلفة بدرجات تتفاوت من بلد إلى آخر، أكثر من كونها تتحقق أو لا تتحقق. ومثال على ذلك، وظيفة الاستخدام الرسمي. فكما رأينا سابقا لاحظ ستيوارت (١٩٦٨م) هذا الأمر إلى حد ما في تمييزه بين الوظيفة الرسمية (رس) للغة على مستوى الحكومة القومية وبين وظيفة استخدام اللغة الرسمية في المقاطعة (مقع) على مستوى المقاطعة. بينما ميز كلوس (١٩٦٨م، ص ٧٩) بين اللغات التي تكون اللغة الرسمية الوحيدة على المستوى القومي، واللغات الرسمية المساوية على المستوى القومي، واللغات الرسمية الإقليمية، واللغات التي لا تعتبر رسمية، ولكن الحكومة تدعمها بطريقة ما، واللغات المهملة من قبل الحكومة، واللغات التي تسن القوانين ضدها. وسنستعرض "متصل الرسمية" مرة أخرى بعد قليل.

بداية جديدة

قد لا تعمل المبادئ التي تحدثت عنها بشكلٍ جيد في اللسانيات الاجتماعية كعملها في العلوم الفيزيائية. وقد تكون الظواهر الفيزيائية أكثر انتظاما من سلوك مجتمع البشر، و ولا تتناسب رؤية متتبع مبدأ الطبيعية وتوقع تنبؤات ناجحة مع بحث علم اللغة الاجتماعي.

وهناك سببان لعدم الاستسلام السريع لمثل هذا التشاؤم. أولا ، يظهر أن هناك تعميمات في الظواهر اللسانية الاجتماعية التي يمكن تطبيقها بغض النظر عن اللغة أو المكان، ومن المعقول الاعتقاد بأن هناك أسبابا أساسية لها، وأنه من الممكن اكتشاف هذه الأسباب. ثانيا، ليس لجميع مباحث علم اللغة الاجتماعي للمجتمع مثل هذا

التاريخ المخيب للآمال، كتاريخ الصيغ والتصنيفات. ففي الفصل الثاني رأينا تطور مفهوم ازدواجية اللغة من اقتراح أولي لفرجسون إلى مبدأ مهم وعام، ويبدو من الممكن تطبيقه على أشكال مختلفة من الحالات في جميع أنحاء العالم. ومن الممكن تفسير تعريف ازدواجية اللغة العامة الذي قدمناه في الفصل الثاني على أساس مجموعة من التنبؤات التالية:

١- لمعظم أو جميع المجتمعات ذخيرة لفظية تشمل مدى كبيرا من التباين.
٢- تحظى بعض أجزاء هذه الذخيرة بقيمة أعلى من قيمة الأجزاء الأخرى من قبل الجماعة.
٣- تُتعلم الأجزاء ذات القيمة الدنيا أولا وبشكلٍ غير رسمي، وتُتعلم الأجزاء العليا لاحقا وبشكلٍ رسمي.
٤- من الممكن ترتيب مجموعات فرعية مهمة من وظائف اللغة في المجتمع على طول متصل يبدأ من اللغة الرسمية والمتكلفة إلى اللغة غير الرسمية والأكثر طبيعية.
٥- سيستخدم الجزء من ذخيرة الجماعة الذي يحظى بالقيمة الأعلى في وظائف رسمية ومتكلفة، والعكس صحيح.

ولو كان لدراسة ازدواجية اللغة تاريخ حي ممتد لأكثر من ٢٠ عاما، مع إمكانية حقيقية للتطور على الأقل، فلعل نهجا صيغيا جديدا سيكون ذا فائدة مشابهة.

ولستيوارت الفضل في إرساء اثنتين من أكبر دعائم تأسيس نهجنا الجديد. فقد كان ستيوارت أول من لاحظ أنه من غير المحتمل أن تتحقق كل وظيفة بشكل متساو في كل نموذج لغوي، حيث قال:

"رغم أن احتماليات ظهور وظيفة معينة مع نموذج معين من اللغة تتفاوت بشكل يتطلب تحديد كل منهما في كل حالة، إلا أن هناك أيضا ترابطا ما بينهما في أن

وظائف الاستخدام الرسمي (رس)، والاستخدام على مستوى المقاطعة(مق)، والاستخدام الأدبي (أد)، والاستخدام للأغراض الدينية (دي)، سترتبط عادة بنموذجي اللغتين النموذجية (نم) والكلاسيكية (كل)، وأن وظيفة الاستخدام الدولي (دو) سترتبط بنماذج اللغات النموذجية (نم) والكلاسيكية (كل) والاصطناعية (اص)، بينما سترتبط وظيفة الجماعة (جم) بنماذج اللغات النموذجية (نم) والمحلية والمزيج" (ستيوارت، ١٩٦٨م، ص٥٤١).

وبمعنى آخر فمن الممكن أن يتنبأ الفرد إذا أعطى وظيفة معينة بنماذج اللغات التي يمكنها تحقيق تلك الوظيفة في أي بلد. وبالنسبة لستيوارت، لم تبد هذه التنبؤات موثوقة بدرجة كافية؛ لاعتمادها مباشرة ضمن الصيغ، ولكن اكتشافه أن العلاقة بين النماذج والوظائف ليست عشوائية مهم جدا.

والفكرة المهمة الثانية عند ستيوارت هي أن نموذج اللغة لم يكن فئة واحدة رئيسية، بل يمكن تقسيم النماذج إلى مجموعات من الصفات المميزة. وبالرغم من أن الصفات المميزة التي اقترحها ستيوارت لم تكن جميعها مفيدة، إلا أن فكرة تعريف اللغات بمجموعة متألقة من الخصائص والصفات المميزة في علم اللغة الاجتماعي هو أيضا مهم جدا. وفي الواقع، سنستغني تماما عن فكرة "نموذج اللغة"، ونستخدم فقط الوظائف والصفات المميزة.

ومن الممكن السير قدما خطوة أخرى في مناقشة هاتين الفكرتين. فإذا أخذنا في الاعتبار أن للجماعات الاجتماعية والأمم أو الوحدات الأخرى وظائف لغوية مستقاة من مجموعة عامة (قد تكون وظائف اللغة التي ذكرها فرجسون أو ستيوارت هي أول شكل تقريبي لهذه المجموعة)، فإن اللغات التي تؤدي هذه الوظائف لا بد أن تكون مؤهلة للقيام بها. وحتى تكون اللغة مؤهلة، فلا بد لها من أن تمتلك المجموعة المطلوبة من الصفات المميزة اللسانية الاجتماعية. في البداية، سيكون ضروريا تخمين

ما هي هذه الصفات. وبتفحص مجموعة كبيرة من الأمم والكيانات الأخرى الحقيقية حول العالم، سنكون قادرين على تنقيح الوظائف والصفات المميزة وصقلها، والمطابقة بينها، بشكلٍ يشبه الطريقة التي صُقل بها الجدول الدوري للعناصر.

دعنا نبدأ بوظيفة الاستخدام الرسمي. وحتى نكون متفقين مع مبدأ الطبيعية، فلن نعتبر اللغة لغة رسمية فقط؛ لأن هناك قانونا قوميا أو جزءا من الدستور ينص على ذلك. ولكن، سيحكم على اللغة أنها رسمية فقط إذا كانت تقوم فعلا بعمل اللغة الرسمية في البلد، أي لا بد أن تستخدم لبعض المهام التالية أو كلها على الأقل. أولا، يجب أن تكون اللغة المحكية المستخدمة من قبل موظفي الحكومة عند أدائهم واجباتهم الحكومية على المستوى القومي (قد يتحدثون لغات أخرى عند المحادثة الودية). ثانيا، يجب أن تخدم كلغة الاتصال المكتوب بين مؤسسات الحكومة وداخلها على المستوى القومي. ثالثا، يجب أن تكون اللغة التي تكتب بها سجلات الحكومة على المستوى القومي. رابعا، يجب أن تكون اللغة التي كتبت بها أساسا القوانين والأنظمة التي تحكم الأمة ككل (قد يُترجم إلى لغات أخرى). أخيرا، يجب أن تكون اللغة التي تطبع فيها الاستمارات، مثل استمارات الضرائب والطلبات المختلفة المرتبطة بالحكومة القومية. وقد شدد على تعبير "على المستوى القومي" لاستبعاد وظيفتين أخريين. فقد تقوم اللغة الرسمية على مستوى الجزء الفرعي (الولايات، والمقاطعات، والأقسام) بهذه المهام نفسها، دون الانتقاص من منزلة اللغة الرسمية القومية. وفوق مستوى عموم البلد، فقد تستخدم لغة أخرى كلغة الدبلوماسية أو التجارة الدولية، وهذه هي الوظيفة الدولية، وسننظر إليها على أنها مختلفة عن الوظيفة الرسمية.

ولكن ماذا إذا كانت اللغة تستخدم لبعض المهام السابقة الذكر وليس لكلها؟ وهنا يأتي دور مبدأ المتصل. فمن الممكن للغة أن تكون رسمية بدرجة ما أو بأخرى،

كما من الممكن أيضا لأكثر من لغة أن تقوم بالمهمة نفسها مثلا عندما تطبع الاستمارات الحكومية بلغتين أو أكثر. وقد يأتي يوم يكون فيه اتفاق على قائمة محددة من مهام الوظيفة الرسمية، وتقدر أهميتها، بحيث يمكن أن تقول عن لغة: إنها (رس$_{ه}$) على مقياس للرسمية يتكون من عشر درجات، بحيث يعني الرقم الأعلى أن اللغة تقوم بوظيفة مهام رسمية أكثر وذات أهمية أكبر، ويعني الرقم الأقل مهام أقل وأهمية أقل.

ولا بد من تمييز الوظيفة القومية عن الوظيفة الرسمية. فاللغات الرسمية موجودة بشكلٍ رئيسي لأسباب تسيير أمور الدولة تلك المتعلقة بالمهام العملية اليومية للحكومة. أما الوظيفة القومية فمرتبطة بالدوافع القومية، وبوظائف التوحيد والفصل، والربط مع الماضي المجيد والأصالة. ونتيجة لذلك، تتطلب وظائف اللغات الرسمية والقومية صفات مميزة لسانية اجتماعية مختلفة. وفي الواقع، وبالرغم من لغة واحدة قد تخدم في أمم كثيرة كل الوظائف الرسمية والقومية (وتعتبر هذه الحالة هي المثالية عموما)، فمن الشائع في الأمم أن تقوم لغات مختلفة في تنفيذ هاتين الوظيفتين. ومن أوضح الأمثلة على ذلك براغوي، حيث تخدم الإسبانية وظيفة اللغة الرسمية، وتخدم قوارني وظيفة اللغة القومية.(١٤)

ويجب تطبيق مبدأ المتصل على وظيفة القومية. وطرفا المتصل واضحان تماما. ففي أحد الطرفين، توجد لغات مثل مانكس (استشهد بها مايلز ديلونDillon Myles في برايت (١٩٦٦م، ص ٣١٧)، وهي لغات منقرضة، لكنها تستخدم في بعض المناسبات العامة. أما في الطرف الآخر، فهناك لغات من الواضح جدا أنها لغات قومية غير محتاجة للدعم داخل أممها، وقد لا تكون مخصصة كلغات قومية في القانون أو الدستور. بعض الأمثلة على ذلك اللغة الأيسلندية في أيسلندا، والفرنسية في

فرنسا، والتايلندية في تايلاند، واليابانية في اليابان. وبين هذين الطرفين النقيضين توجد لغات تدعم منزلتها بشكلٍ واع على أنها لغات قومية، بدرجات متفاوتة من النجاح. وتشبه وظيفة القومية وظيفة الجماعة التي استخدمها فرجسون وستيوارت، باستثناء أنها تنطبق على المستوى القومي للمنظمة الاجتماعية، وليس فقط لجماعات اجتماعية ثقافية ذات قومية فرعية، ويظهر مع ذلك أن الوظيفة القومية ليست ببساطة وظيفة الجماعة المطبقة على المستوى القومي حيث تتطلب وظائف القومية والجماعة من اللغة صفات مميزة متشابهة، ولكن متميزة.

وهناك وظائف أخرى سنناقشها عند مناقشة الصفات المميزة للقيام بالوظائف. وقبل مناقشة ذلك، دعنا نقوم بتقدير أولي للصفات المميزة المطلوبة للوظائف الرسمية والقومية. أولا، يبدو أن الوظيفة الرسمية تتطلب مقدارا كافيا من التقييس يمكن أن يكون مساويا لتقييس "اللغات النموذجية الناشئة" التي ذكرها كلوس (١٩٦٨م، ص ٧٨) أو أعلى منه، والذي يعني بشكلٍ ضمني منزلة عند أو قريبة من النهاية العليا لذخيرة ازدواجية اللغة في المجتمع. ثانيا، وجود كادر من المواطنين المتعلمين تعليما جيدا والقادرين على استخدام اللغة بشكلٍ جيد (ويجب أن يتوزع هذا الكادر بشكل معقول جغرافيا داخل البلد، وقد يشكل فقط جزءا صغيرا جدا من تعداد السكان). وإذا اقترحت أو عينت اللغة كلغة رسمية في بعض الكيانات، ولكنها لا تمتلك هاتين الصفتين المميزتين (أو أي صفات بينت الخبرة أنها صحيحة)، فإننا قد نتنبأ بأنها لن تقوم بالوظيفة الرسمية بنجاح، وهنا يأتي مبدأ التنبؤ. بالطبع، قد تفتقر اللغة عندما تُنتقى إلى بعض الصفات الهامة مثل التقييس الكافي، ولكن قد تكتسب هذه الصفة بشكلٍ سريع نوعا ما. وفي تلك الحالة فقد نتنبأ بالنجاح شريطة أن تكتسب تلك الصفة المفقودة.

قبل مناقشة الصفات المميزة المطلوبة للوظيفة القومية، سيكون مفيدا النظر أولا

إلى تلك الصفات المميزة المطلوبة لوظيفة الجماعة. وكتخمين أولي لما هو مطلوب، فإنني أقترح أولا أن يستخدم جميع أعضاء الجماعة اللغة للمحادثة العادية (وهذا يعني ضمنيا أنها تكتسب في وقت مبكر، وأنها في النهاية الدنيا من ذخيرة ازدواجية اللغة). وثانيا، يجب أن ينظر متحدثو اللغة إليها على أنها تقوم بوظائف التوحيد والفصل. وفيما يخص المطلب الثاني ، فإن اللغة لا تحتاج إلى اعتبارها رمزا للأصالة، أو الربط مع الماضي المجيد. فهذه قطعا متطلبات الوظيفة القومية، أي أن الجماعة الثقافية الاجتماعية التي لها هذه المشاعر تجاه اللغة هي قومية بمفهوم فيشمن. بالإضافة إلى ذلك، قد ينظر لوظيفة "الهوية المتباينة" على أنها داعية للأسف، فقد يشعر المتحدثون بالحرج عند تعريفهم كأعضاء من جماعتهم، أو على الأقل يشعرون بالازدواجية تجاهها. أما فيما يتعلق بوظيفة القومية، فإن الهوية المتباينة هي مصدر للفخر دوما.

وأقترح أن تتطلب وظيفة القومية الصفات المميزة اللسانية الاجتماعية التالية: أولا ، أن تخدم اللغة كرمز للهوية القومية لشريحة كبيرة وقوية من السكان. وثانيا، أن تستخدم اللغة لبعض من الأغراض اليومية غير الرسمية من قبل شريحة كبيرة من السكان، بالرغم من أنه من غير الضروري أن تستخدم في المنزل. وثالثا، يتكلم هذه اللغة بطلاقة وسلاسة عدد كبير من السكان. ورابعا، ليس لدى الجماعات الثقافية الاجتماعية الرئيسية في البلد لغة قومية بديلة، علما بأن لديهم لغات أخرى تؤدي وظيفة الجماعة. ولا بد أن يرتبط أي طموح قومي ينشأ لديهم بهذه اللغة. ومثال على النقطة الأخيرة هي لغة كوتشو في الإكوادور . فهناك عدد كبير من متحدثي كوتشو في الإكوادور، ولكنهم نموذجيا يكتسبون الإسبانية عندما يدخلون تيار الحياة القومية. ولا تمتلك لغة الهندي في الهند الصفة الرابعة، فهي غير مقبولة في الوظيفة القومية من قبل متحدثي اللغات الأخرى الرئيسة، خصوصا متحدثي اللغات الدرافيدية. ويعني

طلب هذه الصفة من اللغة القومية أن تقوم اللغة بوظيفة القومية لبعض الأجزاء الفرعية في البلد، دون أن تكون لغة قومية للبلد ككل. خامسا، يجب أن تكون اللغة مقبولة كرمز للأصالة، يجب أن تكون "جيدة بما يكفي لهذا الغرض". وهذا يتضمن عادة، وليس دائما، درجة عالية نوعا ما من التقييس، ومكانا في النهاية العليا لذخيرة ازدواجية اللغة. وسادسا وأخيرا، يجب أن تعتبر اللغة رابطا مع الماضي المجيد.(١٥)

وتتعارض الصفتان الثانية والخامسة بشكلٍ كبير. فإذا استخدمت اللغة على نطاق واسع للأغراض اليومية غير الرسمية، فإن هذا يقتضي أن تكون "دنيا" نوعا ما وفقا لمصطلح ازدواجية اللغة. وأن تكون "جيدة بما يكفي"، يعني أنها لا يمكن أن تكون دنيا للدرجة تفقدها مصداقيتها كلغة أصلية. وتتطلب الأصالة لبعض القوميات أن تستخدم اللغة للقيام بأعلى وظائف ازدواجية اللغة، وهذا يشمل التعليم العالي والاستخدام الرسمي على المستوى القومي. أما الآخرون فلديهم رغبة في قبول لغتهم القومية على أنها أصلية، بينما يستخدمون مكرهين لغة أعلى لبعض الأغراض. وتظهر أكثر الحالات سلاسة عندما يكون هناك ازدواجية لغوية أحادية الرمز داخل الأمة، فالوظائف العليا والدنيا موزعة بين أساليب اللغة القومية. وهذا يسمح للجماعة برؤية اللغة "نفسها" وهي تستخدم لجميع الأغراض، بدءا من المحاضرات الجامعية ذات المعرفة العالية وانتهاء بتدليل طفل لم يتجاوز الثانية من العمر. وطريقة أخرى لحل التعارض المحتمل هو عندما تتوزع ازدواجية اللغة بين ضروب نظام لغوي بمستوى من القرابة، كتلك التي وصفها فرجسون (أ ١٩٥٩م)، ولكن السكان رغم ذلك ينظرون للمركب اللغوي بأكمله كلغة واحدة. وتعتبر البلدان العربية مثالا جيدا على هذا، ففيها ينظر للعربية الكلاسيكية على أنها "اللغة القومية" الحقيقية، بينما تشكل اللهجات المحلية ضربا منحرفا تقريبا من اللغة نفسها. وطبقا لفرجسون (ب ١٩٥٩)، فمن النموذجي لمواطني كل بلد عربي أن يعتقدوا أن عاميتهم أقرب إلى

العربية الكلاسيكية من عاميات البلدان العربية الشقيقة. وهذا دون شك يساعد على تعزيز فكرة أن الأشكال الكلاسيكية والعامية هي في الواقع جزء من اللغة نفسها في ذلك البلد. ويبدو أن هناك ميولا مشابهة في هيتي لاعتبار الفرنسية واللغة المزيج كضروب من اللغة نفسها.

وهناك بعض القوميات الراغبة في السماح للغة أخرى بالاستخدام للأغراض العليا، بينما تخدم لغة دنيا الوظيفة القومية. وقد رأينا سابقا ثلاثة أمثلة على ذلك. ففي سويسرا، تقوم لهجات الألمانية المتحدثة في سويسرا بالوظيفة القومية للقوميات الفرعية في الكانتونات التي تتحدث الألمانية، بينما تبقى الألمانية النموذجية في مكانها كلهجة عليا. وفي براغوي، توجد قوارني والإسبانية جنبا إلى جنب، بحيث تعطى الإسبانية الوظائف العليا للاستخدام الرسمي والتعليم العالي. ويمكن إيجاد النمط نفسه في تنزانيا، حيث حققت فيها السواحيلية مكانة عظيمة كلغة قومية، بينما استمرت الإنجليزية كلغة عليا في بعض المجالات. لاحظ أن في كل الحالات الثلاث قد "رفع" الشكل الأدنى نوعا ما. واللهجات الألمانية المتحدث بها في سويسرا لافتة للنظر؛ لأن هناك كتبا قواعدية مكتوبة بها داخل مجتمعاتها، وأنشئت المدارس التي تدرسها، ويشعر متحدثوها بالفخر تجاهها. وقد قُيِّست قوارني إلى حد ما، ويصر البراغويون بحماسٍ على منطقية هذه اللغة وسلامتها (رونا، ١٩٦٦م). وفي تنزانيا تنسل السواحيلية بثبات إلى وظائف عليا كانت مخصصة سابقا للإنجليزية. وفي الوقت نفسه فإنها تتلقى التقييس الرسمي.

ويظهر أن الوظيفة التعليمية تحتاج على الأقل إلى ثلاث صفات مميزة. أولا، يجب أن يفهم المتعلمون اللغة. ثانيا، يجب أن تتوفر المصادر التعليمية للغة (مدرسون قادرون على التدريس فيها والكتب المدرسية). وثالثا، يجب أن تكون قياسية بشكلٍ كاف، وهذا يعني ضمنيا موقعا عاليا نوعا ما في ذخيرة ازدواجية اللغة. ويجب أن

يؤخذ في الاعتبار مستوى التعليم عند تطبيق هذه الصفات المميزة فتقل أهمية الصفة الأولى وتزداد أهمية الصفتين الأخريين كلما ارتفع مستوى التعليم. وبالطبع ، يجب حتى على طلاب الجامعة فهم اللغة المستخدمة كلغة تعليم. ولكن من المنطقي وضع مسئولية "تعلم" اللغة المؤهلة على طلاب الجماعة أكثر من وضعها على أطفال صغار يذهبون إلى المدرسة لأول مرة. بالإضافة إلى ذلك ، تصبح الصفتان الثانية والثالثة صعبتي التحقيق كلما زاد المستوى التعليمي. فمن متطلبات المستويات العليا من التعليم أن يكون المدرسون على درجات عالية من المعرفة ، والكتب على درجة عالية من التقنية ، واللغة ذات نموذجية ومقام عاليين.

والمشكلة التي تنشأ من عدم وجود لغة واحدة تمتلك جميع هذه الصفات الثلاث هي مصدر واحد من أكثر أنواع الصراع انتشارا في العالم. وقد رأينا سابقا بعضا من محاولات الهند للتعامل مع متحدثي لغات ينقصها الصفتان الثانية والثالثة عن طريق صيغة اللغات الثلاث. وغالبا جدا ما تختار البلد لغة للتعليم لها الصفتان الثانية والثالثة ، حتى ولو كانت الصفة الأولى تنقصها. ولهذا نتيجتان فقط : إما أن يفهم الطلاب في النهاية لغة التعليم (أي يتعلمونها) ، أو أن لا يحدث أي تعلم على الإطلاق. وكمثال واحد فقط ، فإن من الممكن إرجاع بعض المشاكل التعليمية في براغوي الريفية إلى حقيقة أن المتعلمين لا يعرفون لغة التعليم المخصصة ، وهي الإسبانية . ومن منظور مؤيد للطبيعية ، فقد نقول : إن الإسبانية لا تقوم بالوظيفة التعليمية لهؤلاء الصغار.

وحتى تكون اللغة لغة الاتصال الأوسع ، فيبدو أنها تحتاج صفة واحدة : يجب أن يكون "من الممكن تعلمها" كلغة ثانية من قبل أقلية لغوية واحدة على الأقل في البلد. وبالطبع ، من الممكن تعلم أي لغة ، وإلا فإنها لن توجد. ولكنني أقصد بعبارة " من الممكن تعلمها" أنه من الواجب اعتبارها من قبل السكان المعنيين لغة يمكن تعلمها.

أما إذا كان السكان المتعلمون مغمورين عدديا وسياسيا من قبل المتحدثين الأصليين للغة الاتصال الأوسع، فإن النزعة تميل نحو تلك اللغة بطريقة تشبه تقريبا طريقة تحدث المتحدث الأصلي لها، ولكن مع لكنة خاصة بهم. أما إذا كان الاختلافان العددي والسياسي أقل، أو أنه لم تَدَّعِ أي جماعة داخل البلد أن لغة الاتصال الأوسع هي لغتها الأصلية، فإن متعلمي اللغة الثانية سيجعلونها فعليا ممكنة التعلم أكثر من خلال العملية التي أسماها هايمز (١٩٧١م) "الاختلاط". والنتيجة هي لغة خليط، أو مزيج، أو لغة مشتركة مبسطة، أو لغة سوقية.

أما الصفات المميزة للغات التجارة والدبلوماسية الدولية فيبدو أن أفضل ما نستطيع فعله هو أن نقول: إن على اللغة أن تأتي من قائمة مختصرة من اللغات، معظمها أوروبية: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والروسية، والألمانية، وربما لغة ماندارين الصينية، وربما لغة أو لغتان أخريان. ويعكس السبب في أن هذه اللغات تستخدم لهذه الوظيفة الحقيقية التاريخية التي تفيد أن متحدثيها يسيطرون على هذه النشاطات الدولية.

ويبدو أن المتطلب الأساسي للغة المادة الدراسية هو أن يساوي مستوى قياسيتها مستوى قياسية لغة الطلاب، أو يزيد عليه. فيمكن تعليم لغة نموذجية ناشئة لمتحدثي لغة ألفبائية غير قياسية، ولكن ليس العكس. وبالطريقة نفسها، فيتوقع أن يتعلم متحدثو لغة نموذجية ناشئة لغة نموذجية مدروسة أو لغة كلاسيكية (آخذين في الاعتبار أن لهما مستويات متوازية من التقييس)، واحتمالية حدوث العكس بعيد الحدوث.(١٦) والاستثناء هو حالة المدارس التي تدرس لهجات الألمانية السويسرية للمغتربين السويسريين العائدين من الخارج (مولتون، ١٩٦٣م)، ويمكن فهم هذا ببساطة. فقد صممت هذه المدارس لتحل محل عملية تعلم اللغة الطبيعية التي كان ممكنا أن تحدث لو كان هؤلاء الطلاب قد قضوا فترة طفولتهم في سويسرا. وبالطبع،

فمن الشائع تدريس لغات للمتحدثين الأصليين للغات لها مستوى التقييس نفسه، مثل تدريس الإسبانية أو اللاتينية لمتحدثي الإنجليزية.

ويجب أن تعرف الوظيفة الدينية بحرص. ومن خلال تجربة فرجسون وستيوارت يبدو واضحا أنهما لا ينويان تطبيق هذه الوظيفة على حالة الأديان التي يستخدم معتنقوها اللغة العادية فيها، وإنما كانوا يقصدون أن تخصص اللغة للأنشطة الدينية فقط، وأن تستخدم قليلا جدا فيما عدا ذلك، ربما باستثناء كونها مادة دراسية أو لغة أدبية وعلمية. ولهذه اللغات منزلة خاصة، لاستخدامها عادة كلغات أصلية لكتبها المقدسة الدينية، أو لاستخدامها تاريخيا كلغة لشعائرها الدينية، أو للسببين معا. ومن المغري القول بأن الصفة الأساسية للغة الوظيفية الدينية هي أن تكون لغة كلاسيكية، مما يعني أنها قياسية بشكل كامل، ولكنها لم تعد لغة المتحدثين الأصليين. يبدو هذا صحيحا لعدد لا بأس به من الأديان الرئيسة: كاللاتينية بالنسبة للكاثوليكية الرومانية، والعبرية الكلاسيكية في اليهودية، والعربية الكلاسيكية في الإسلام، والسنسكريتية في الهندوسية. وبالرغم من أن استخدام اللغة العادية هو معتقد تاريخي للبروتستانتية، فإن بعض المحافظين البروتستانت قد طوروا الاستخدام الديني "للإنجليزية الكلاسيكية"، وذلك باستخدام صيغ مثل "thee" و "thou" والمطابقة الفعلية المصاحبة في صلواتهم العامة. وهذه الصيغ مأخوذة من إنجليزية القرن السادس عشر والتي كتبت فيها النسخة الرسمية من الإنجيل. ولكن هناك حركات دينية ثانوية لديها لغات خاصة للدين قد لا تكون لغات كلاسيكية. فمثلا، طبق وايتلي Whiteley (١٩٧٣م، ص ١٧١) صيغ ستيوارت على كينيا، وأدرج لغة محلية، هي كونكاني، كلغة الوظيفة الدينية. ويجب أن يجري مزيد من البحث في المواصفات المحددة للصفات المميزة للغات التي تقوم بالوظائف الدينية. ويعطي الجدول رقم (٣.٣) وظائف اللغة المقترحة والصفات المميزة اللسانية الاجتماعية المطلوبة لتحقيقها.

وجميع الصفات المقترحة هي تجريبية ، ولكن التي بداخل الأقواس تجريبية أكثر.

الجدول رقم (٣.٣): وظائف اللغة والصفات المميزة المطلوبة.

الوظيفة	الصفات المميزة اللسانية والاجتماعية المطلوبة
الرسمية	١- تقييس كاف.
	٢- يعرفها كادر من المواطنين المثقفين.
القومية	١- رمز للهوية القومية لشريحة كبيرة من السكان.
	٢- تستخدم بشكل منتشر لبعض الأغراض اليومية.
	٣- تتحدث بطلاقة وبشكل منتشر داخل البلد.
	٤- لا يوجد لغات قومية أخرى بديلة في البلد.
	٥- مقبولة كرمز للأصالة.
	٦- تربط بالماضي المجيد.
المجموعة	١- يستخدمها جميع الأفراد للمحادثة العادية.
	٢- أداة توحيد وفصل.
التعليمية	١- يفهمها المتعلمون.
(محددة المستوى)	٢- مصادر تدريسية كافية.
	٣- تقييس كاف.
الاتصال الأوسع	١- "ممكن تعلمها" كلغة ثانية.
الدولية	(١- من قائمة محتملة من اللغات الدولية)
مادة دراسية	١- يعادل تقييسها تقييس لغة المتعلمين أو يزيد
الدينية	(١- أن تكون كلاسيكية)

❖ الصفات التجريبية أكثر موضوعة داخل الأقواس

التطبيق

الطريقة التي يمكن فيها للمرء استخدام هذه المفاهيم للقيام بتنبؤات هي بمقارنة الصفات المميزة للغة بالصفات المطلوبة للقيام بالوظيفة. وإذا افتقدت لغة مقترحة للقيام بوظيفة ما إحدى الصفات المطلوبة فإننا نتنبأ بأنها ستفشل بالقيام بتلك الوظيفة. ويشرح المثال لاحقا الصيغة التي سنستخدمها. وتشير علامة الجمع (+) إلى أن اللغة تمتلك الصفة بينما تشير قيمة الصفر (٠) إلى أن اللغة لا تمتلكها، ولكن من المعقول توقع أنها ستكتسبها، وتشير علامة الطرح (-) إلى أن اللغة تفتقر إلى الصفة وأنها لن تكتسبها في المستقبل المنظور. وكمثال على هذا، دعنا نأخذ قوارني كلغة قومية محتملة في براغوي.

الجماعة الاجتماعية السياسية: براغوي

الوظيفة : القومية

اللغة : قوارني

الصفات المميزة المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - رمز للهوية القومية	+
٢ - تستخدم بشكل واسع للأغراض اليومية	+
٣ - تتحدث بطلاقة وانتشار	+
٤ - لا يوجد لغة رئيسة بديلة	+
٥ - رمز للأصالة	+
٦ - تربط بالماضي المجيد	(+)

تمتلك قوارني جميع الصفات المميزة المطلوبة، لذا فمن الممكن التنبؤ بأنها تستطيع، وبشكلٍ مرض، أن تخدم كلغة قومية، وهي بالفعل كذلك. وليس من الواضح ما إذا كانت قوارني تقوم بوظيفة الربط بالماضي المجيد، ولكن يبدو من الممتع أن هناك نزعة متزايدة لإنشاء ماض مجيد للغة. وقد ذكر (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٧) أنه كان هناك جهود قام بها علماء لإثبات أنه كان لقوارني أهمية كبيرة في أمريكا الجنوبية قبل الاستيلاء الإسباني. ولكن كانت هذه المجهودات مبنية على دراسة غريبة نوعا ما لأصول أسماء الأماكن باللغة القوارنية في جميع أرجاء القارة. وكمثال آخر دعنا نأخذ الإسبانية كلغة للتعليم الابتدائي في المناطق الريفية في براغوي.

الوحدة الاجتماعية السياسية: المقاطعة الريفية في براغوي

الوظيفة: التعليم (المستوى الابتدائي)

اللغة: الإسبانية

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - يفهمها المتعلمون	-
٢ - وجود مصادر تدريس كافية	+
٣ - تقييس كاف	+

تفتقر الإسبانية لصفة مهمة للتعليم الابتدائي، فهي لغة ليست مفهومة بشكلٍ جيد من قبل المتعلمين. وما لم تدرس بشكلٍ فعال قبل استخدامها كلغة تعليم، فلن تكون فعالة في الوظيفة التعليمية لهذه الجماعة.

ومثال ثالث هو لغة الهندي كلغة مخصصة كلغة قومية في الهند

الوحدة الاجتماعية السياسية : الهند (البلد بأكمله)

الوظيفة : القومية

اللغة : الهندي

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - رمز للهوية القومية	+/-
٢ - تستخدم بشكل واسع للأغراض اليومية	+/-
٣ - تتحدث بطلاقة وانتشار	+/-
٤ - لا يوجد لغة رئيسة بديلة	-
٥ - رمز للأصالة	+
٦ - تربط بالماضي المجيد	+/-

وبالتأكيد فليس صحيحا أنه لا يوجد لغات قومية رئيسة بديلة في الهند، وبالتأكيد فصحيح أن الهندي مؤهلة كرمز للأصالة ، بمعنى أنها "جيدة بما يكفي" (فهي لغة قياسية ولها تراث أدبي). ويعتمد مدى امتلاكها للصفات المميزة الأربع الأخرى على مدى اشتراك سكان البلد في تعريفها . فالهندي هي رمز للهوية القومية، وتعرف وتستخدم بشكلٍ واسع للأغراض اليومية، كما أنها تربط بالماضي المجيد لمتحدثيها الأصليين، وربما لبعض متحدثيها كلغة ثانية في الجزء الشمالي من البلد. وليس لها هذه الصفات في أي مكان آخر. وعلى العموم، فإن اللغات العديدة الرئيسة المنافسة للغة الهندي تفقدها صفة مهمة، وهذا يعني التنبؤ بأن الهندي لن تخدم بشكل جيد كلغة قومية في المستقبل المنظور.

والمثال التالي، هو التحقق من إمكانية كون السواحيلية لغة رسمية في تنزانيا.

الوحدة الاجتماعية السياسية : تنزانيا

الوظيفة: الرسمية

اللغة : السواحيلية

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - تقييس كاف	صفر أو +
٢ - كادر من المواطنين المتعلمين	+

والسواحيلية لغة التعليم الابتدائي المتقدم وبعض التعليم الثانوي وتعرفها الغالبية العظمى من التنزانيين . ولذا ليست هناك مشكلة محددة لإيجاد موظفين حكوميين يستطيعون استخدامها. فالسواحيلية تمر بمرحلة من التقييس والتطوير لاستخدامها كلغة رسمية، ومن المعقول توقع أنها ستكون مؤهلة على معيار التقييس في القريب العاجل. هذا إذا لم تكن مؤهلة فعلا الآن. والتنبؤ هو أن السواحيلية ستنجح كلغة رسمية.

وكمثال أخير سننظر إلى اقتراح تطرقنا إليه في الجزء الثاني من هذا الكتاب، يخص استخدام اللغة الإنجليزية المحلية للسود كلغة تعليم الفنون في الولايات المتحدة الأمريكية.

الجماعة الاجتماعية السياسية: الأطفال الأمريكيون متحدثو اللغة الإنجليزية المحلية للسود.

الوظيفة : التعليم (المستوى الابتدائي)

اللغة : المحلية الإنجليزية للسود

الصفات المطلوبة	الصفات التي تمتلكها اللغة
١ - يفهمها المتعلمون	+
٢ - وجود مصادر تدريس كافية	٠
٣ - تقييس كاف	-

من المؤكد أن الإنجليزية المحلية للسود مفهومة ومستخدمة بطلاقة من قبل معظم الصغار من السود من الطبقة العاملة في الولايات المتحدة. وبالرغم من عدم وجود مدرسين متدربين ومواد مطبوعة للغة الإنجليزية المحلية للسود بشكلٍ كبير، فمن الممكن تطويرها دون مصاعب كبيرة. ومع ذلك فلن تُقَيَّس الإنجليزية المحلية للسود بشكلٍ كاف في المستقبل المنظور. ولن يكون هناك مشكلة في كتابة كتب للقواعد، وقواعد للتهجئة، ومعاجم وما شابه ذلك للغة السود الإنجليزية المحلية. وفي الواقع، توجد الآن مواد قليلة من هذا النوع. ولكن التقييس المعني بهذه الصيغ يعني ضمنيا أن المجتمع يقبل التقنين بشكلٍ واضح. أي أنه يجب قبول أي أدوات تقييس مقترحة كأساس شرعي للاستخدام الصحيح للغة السود الإنجليزية المحلية، كما يراه متحدثوها. وهذا هو الجانب من التقييس الذي من الصعب جدا التكهن به، ولن ينجح استخدام اللغة الإنجليزية المحلية للسود كلغة تعليم ابتدائي.(١٧)

ومن الممكن تعديل النظام التدويني المطور لاستخدامه كمخطط لأغراض المقارنة أيضا. وبدلا من إدراج اللغات والوظائف المرتبطة بها كما فعل فرجسون وستيوارت، فإن النظام الحالي سيدرج الوظائف ثم اللغات التي يمكنها القيام بتلك الوظائف. وكمثال سنعطي صيغة مخطط جزئي لبراغوي، كما في جدول رقم (٣،٤)، وتشير الأقواس إلى الصفات المشكوك فيها أو التي في طور النشوء، وسوف تدرج الوظائف المتبقية في الشكل نفسه. فضلا عن ذلك، قد يكون من المفيد تذييل قائمة

بكل اللغات التي تظهر بالصيغة مع عدد متحدثيها والنسبة المئوية للسكان الذين يتحدثونها.

الجدول رقم(٤,٣). مخطط جزئي لبراغوي.

الوظيفة	اللغة	الصفات	ملاحظات
الرسمية -٩	الإسبانية	١ ، ٢	من المقدر أن تحصل الإسبانية على تسع درجات على مقياس الرسمية ذي الدرجات العشر.
القومية -٩	قوارني	١ ، ٢ ، ٣، ٤ ، ٥ ، (٦)	من المقدر أن تحصل على تسع درجات على مقياس القومية ذي الدرجات العشر.
الجماعة	قوارني	١ ، ٢	الجماعة: براغوميين "حقيقيين"
	الإسبانية	١ ، ٢	الجماعة: متحدثو اللغة الإسبانية فقط
	تشالوبي	١ ، ٢	الجماعة: هنود تشالوبي
	لغات أصلية أخرى		
	بلاتدويتش	١ ، ٢	الجماعة: مينونتيس
	لغات مهاجرون أخرى		
التعليم الأساسي	الإسبانية	(١)، ٢ ، ٣	الصفة ١ مفقودة في المناطق الريفية
	قوارني	١ ، (٢)، ٣	
	تشالوبي	١ ،(٢)، ٣	مينونتيس والمدارس التبشيرية
	لغات أصلية أخرى		
	الألمانية	(١)، ٢، ٣	مدارس مينونتي الاستعمارية
التعليم الثانوي	الإسبانية	١ ، ٢ ، ٣	يفترض أن الطلاب الذين بلغوا مستوى التعليم الثانوي قد تعلموا الإسبانية
التعليم العالي	الإسبانية	١، ٢، ٣	

خلاصة

يبدو من الواضح أن هناك تعميمات منطقية من الممكن اكتشافها في التفاعل بين التعددية اللغوية والمجتمع. وخلال الستينيات من هذا القرن، صمّم العديد من التصنيفات والصيغ لتطبيقها على أي أمة في العالم. وقد استعرضنا بالتفصيل نظامين من هذه التصنيفات والصيغ اقترحهما فرجسون (١٩٦٦م) وستيوارت (١٩٦٨م). ولم يكتب النجاح لأي محاولة لإنشاء الصيغ. ولذلك فقد تُخُلِّي عن نهج الصيغ هذا فيما بعد. ويبين استعراض مقتضب لتاريخ "إطار حديث صغير آخر"، وهو العناصر الكيميائية ، كيف أن التعميمات اكتشفت بتلاحق، وكيف أن الفهم يتعمق بمرور الوقت. وقد اقترح نهج صيغ جديد، يتماشى مع مبادئ الطبيعية والتنبؤ (اللذين يبدو أنهما قد طبقا في دراسة العناصر)، بالإضافة إلى مبدأ آخر، وهو مبدأ المتصل. وبالتوسع بما أتى به ستيوارت، فإن نظام الصيغ مبني على وظائف اللغة شبه العالمية والصفات المميزة اللسانية الاجتماعية المطلوب من اللغات امتلاكها حتى تقوم بتلك الوظائف. وبمقارنة الصفات المميزة اللسانية الاجتماعية المطلوبة من قبل الوظيفة مع تلك الصفات التي تمتلكها اللغة المعنية للقيام بالوظيفة كان من الممكن التنبؤ بمدى نجاح اللغة بالقيام بتلك الوظيفة . وقد أعطيت بعض الأمثلة لكيفية استخدام نظام الصيغ الجديد.

هوامش

(١) وضحت لي ديبرا تانن صدفة بسيطة، لكنها مذهلة، تتعلق بازدواجية اللغة. فاللغة العليا في ازدواجية اللغة اليونانية هي كاثاريفوسا. وتترجم بأنها "النقية". وفي النصف الآخر من العالم، وفي قرية هندية صغيرة، يسمى الأسلوب الأعلى للهجة خالبور صاف بولي، أي "الكلام النظيف". ويبدو من المحتمل أن هناك شبه إجماع على أنه ينظر إلى اللغات العليا على أنها "نظيفة" أو "نقية"، مقارنة باللغات الدنيا.

(٢) بحث فورد Ford (١٩٧٤م) هو محاولة أتت بعد ذلك لتطوير صيغة مشابهة بعض الشيء لنهج فرجسون وستيوارت.

(٣) تكون اللغة مؤهلة لأي من هذه التصنيفات طالما تحقق على الأقل واحد من المتطلبات. فمثلا، قد تعتبر اللغة الأيرلندية لغة رئيسة في أيرلندا، بالرغم من أن عدد متحدثيها أقل من ٣ ٪ من السكان وأقل من مليون نسمة، بسبب أنها اللغة الرسمية قانونيا للبلد.

(٤) ذكر فرجسون استخداما خامسا خاصا للغة، وهو اللغة الرئيسة لقطاع من المجتمع من عمر معين، ولكن هذا وضع نادر وعابر.

(٥) وباستخدام معلومات أكثر حداثة من تلك التي كانت في متناول فرجسون، فقد نرغب في تخصيص قوارني على أنها لغة نموذجية (رونا، ١٩٦٦م)، بالرغم من أنه من غير الواضح أن قوارني قياسية بشكلٍ كاف لتكون لغة نموذجية بنظر فرجسون. وقد تكون لقوارني الآن وظيفة تعليمية (روبن، ١٩٧٨م). لاحظ أن اللغات الأصلية لتشاكو ولغات المهاجرين لا تظهر في الصيغة، لأنها لا تحقق المتطلبات لأي من الفئات الثلاث العامة. وهذا يتزامن مع وجهة نظر البراغويين التي تتعامل مع هذه اللغات على أنها غير مهمة

للقومية البراغوية.

(٦) هناك اختلاف بين ما ورد في صفحتي ٣١٢ و ٣١٤ من بحث فرجسون (١٩٦٦م) لهذه الرموز. ففي أحد المواضع، خصصت العربية المغربية بالشكل نفسه الذي خصصته أنا هنا، وفي موضع آخر، أعطيت الصيغة التالية: (كل رس دي ات: مح)، واعتقد أن الصيغة التي اخترتها هي التي قصدها فرجسون.

(٧) هناك دائما استثناءات، فمن المرجح جدا أن ستيوارت يعتبر أشكال الألمانية السويسرية "لهجات"، ولكن قد كتبت كتب قواعد لبعض منها (مولتون، ١٩٦٣م).

(٨) اقترح كلوس (١٩٦٨م، ص ٨١) نظام تصنيف مشابه.

(٩) أخذت مناقشة تاريخ البحث على العناصر من موضوع "العناصر" (في الموسوعة الأمريكية ١٠: ص ص٢٠٣ - ٩، ١٩٧٦م)، و"القانون الدوري" (في الموسوعة الأمريكية، ٢١، ص ص ٥٨٧-٩١، ١٩٧٦م).

(١٠) وكان التفسير هدفا أيضا في البحث المتعلق بالعناصر، ولكن التفسير ممكن فقط بعد أن يكون قد تم التنبؤ به.

(١١) "الأمة" في المفهوم الشائع، وليس كما ورد في تعريف فيشمن. ففي مصطلح فيشمن، علينا القول بأن الصيغ تطبق على الدول أو البلدان.

(١٢) يُعرج تمييز كلوس (١٩٦٨، ص ٧٢) بين "المجزأ وغير المجزأ" بعض الشيء على هذه المسألة.

(١٣) يقابل مستوى كلوس السادس "اللغات النموذجية القديمة" اللغة الكلاسيكية، عند فرجسون وستيوارت، وربما كان ينتمي إلى قائمة مختلفة.

(١٤) يحدد دستور براغوي المعدل في عام ١٩٦٧م الإسبانية كلغة رسمية، وكلا من

الإسبانية وقوارني كلغات قومية. وهذا يقترب كثيرا من التمييز الذي كنت أفكر به (روبن ١٩٧٨م ، ص ١٩١).

(١٥) تساعد هذه الصفة، دون شك، اللغة على القيام بوظيفة القومية، ولكني لست متأكدا ما إذا كانت إحدى الصفات المطلوبة.

(١٦) تتطلب وظيفة المادة الدراسية أن تكون اللغة التي تقوم بتلك الوظيفة تدرس على نطاقٍ واسع في المستوى الثانوي وما فوقه. ولا تعد دراسة الطلاب الجامعيين في أقسام اللغة واللغويات للغات الغربية ضمن هذا.

(١٧) من المهم تذكر أن اللغة الإنجليزية المحلية للسود ليست مؤهلة لغويا لتخدم في التعليم، ولكن ينقصها صفة لسانية اجتماعية مهمة.

الأهداف

١- القدرة على التعرف على ميزة علم اجتماع اللغة التي بعثت الأمل في إمكانية التصنيفات والصيغ (ص٦٠).

٢- بعد إعطاء الأوصاف المطلوبة، يكون قادرا على تصنيف اللغات كرئيسة وفرعية، وذات منزلة خاصة، باستخدام طرائق فرجسون ، على سبيل المثال، إذا كان لدينا:

اللغة (أ): يتحدثها أصليا مليون ونصف من السكان في بلد يسكنها ١٠ مليون نسمة، ولكنها لا تستخدم في التعليم ولا يعترف بها رسميا، بالرغم من أنها مهمة كلغة مشتركة.

اللغة (ب): يتحدثها أصليا ٣٪ من السكان في البلد، وتستخدم كلغة تعليم في الصفوف العليا من المدارس الابتدائية باستخدام مواد تعليمية مطبوعة فيها، ولكن لا يعترف بها رسميا، بالرغم من أنها لغة دينية مهمة.

اللغة (ج) : لا يعترف بها رسميا، ولا تستخدم كلغة تعليم، ولها عدد ضئيل من المتحدثين الأصليين، ولكنها اللغة المستخدمة في الشعائر الدينية لدين رئيسي.

نستنتج أن اللغة (أ) هي لغة رئيسة، وأن اللغة (ب) لغة ثانوية، وأن اللغة (ج) لغة ذات منزلة خاصة . لاحظ إذا كانت اللغة تحقق واحدا من معايير فرجسون للفئة، فإنها تنتمي إلى تلك الفئة. مثلا، لا يعترف رسميا باللغة (أ)، ولا تستخدم كلغة تعليم، ويتحدثها أقل من ٢٥٪ من السكان، ومع ذلك فهي لغة رئيسة ؛ لأن متحدثيها يفوقون مليون نسمة.

٣- أن يكون قادرا على معرفة تعريف نماذج اللغة الخمسة.

٤- ووفقا للأحرف المكتوبة تحت السطر والتي تدل على الوظيفة، عليه أن يكون قادرا على معرفة مسميات الوظائف وشرحها وتأكد أن بإمكانك تمييز (تع) من (مد) و (دو) من (ات).

٥- أن يكون قادرا على تمييز معنى الرموز الخاصة التالية في صيغ فرجسون (حيث تدل X الكبيرة على النماذج و x الصغيرة على الوظائف).

٦- بإعطائه التعريف ، يكون قادرا على إعطاء كل الصفات المميزة التي ذكرها ستيوارت.

٧- أن يكون قادرا على تعريف رموز الوظائف "الأدبية" و"الاستخدام في المقاطعة" وإعطائها، التي استخدمها ستيوارت، ولكن لم يستخدمها فرجسون.

٨- وبناء على الصيغة المكتوبة بنظام الرموز لفرجسون أو ستيوارت، أن يكون قادرا على تفسير معناها، وأن يذكر لأي نظام من النظامين تتبع.

٩- أن يكون قادرا على تسمية "إطار حديث" أصغر من بلدان العالم والذي تم فيه

تطور ثابت في تطوير وصف قائم على الصيغ.

١٠- أن يكون قادرا على شرح كيفية اختلاف التعامل "الطبيعي" مع الوظائف "الرسمية" و"التعليمية" عن النظم التي استخدمت سابقا في صيغ اللسانيات الاجتماعية.

١١- أن يكون قادرا على تسمية مبدأ ثان كان يستخدم في الحقل الذي ورد ذكره في الهدف رقم (٩) والذي يعتقد فاسولد أن من الواجب تطبيقه لتطوير الصيغ اللسانية الاجتماعية ، ومبدأ ثالث يصادق عليه رغم عدم كونه عاملا في الحقل الآخر.

١٢- أن يكون قادرا على معرفة الأمرين اللذين ذكرهما ويليم ستيوارت، واللذين ساهما في اقتراح فاسولد "للبداية الجديدة".

١٣- أن يكون قادرا على التعرف على وصف طريقة فاسولد بالتعامل مع نماذج ووظائف ستيوارت وفرجسون.

١٤- بعد إعطاء اللغة وصفاتها اللسانية الاجتماعية المميزة في بلد افتراضي، يكون قادرا على الحكم على ما إذا كانت محتملة، أو ممكنة، أو غير محتملة أن تنجح كلغة رسمية.

١٥- وبالطريقة نفسها، أن يكون قادرا على إعطاء الحكم نفسه عن ما إذا كانت اللغة الافتراضية ستنجح كلغة قومية، بالمفهوم الكامل للغة القومية.

الفصل الرابع

الإحصاء

مدخل

لماذا من الضروري تضمين فصل عن الإحصاء في هذا الكتاب؟ فالإحصاء في طبيعته أداة يمكن استخدامها لفهم عدد كبير من الأرقام. ففي الفصل الأول، وجدنا أن البيانات الرقمية كانت طريقة مفيدة في دراسة العلاقة بين قوة الاقتصاد القومي والتباين اللغوي. ولكن ليس من الواضح دائما ماذا تعني البيانات الرقمية عند تجميعها. فهناك إجراءات في الإحصاء يمكن استخدامها لإخبار الباحث ما إذا كانت البيانات تدعم الفكرة التي يحاول اختبارها. ويسمى هذا الاستخدام للإحصاء "*بالإحصاء الاستدلالي*"، وسيكون لدينا المزيد لنقوله عن هذا فيما بعد. وفي البحث اللغوي الذي يركز على تركيب اللغة فقط، تعتبر الاختبارات الإحصائية الاستدلالية بشكلٍ عام غير ضرورية؛ لأن تركيب اللغة ثابت بدرجة كافية لجعل التحليل النوعي كافيا. ولكن عندما يكون هدف الدراسة هو دراسة اللغة في سياقها، كما هو الحال في علم اللغة الاجتماعي (خاصة علم اللغة الاجتماعي للمجتمع)، فإننا دائما نحتاج لمنهج للتمييز بين الواقعي وغير المنطقي. ويعطينا الإحصاء هذا المنهج.

وإذا كان الإحصاء ضروريا، فجدير بنا البدء بشرح ما هي ماهية الإحصاء. فباختصار، يمد الإحصاء الباحث بطريقة لاكتشاف معنى ملاحظاته باستخدام الأرقام. ويبين تحليل الرخاء الاقتصادي والتباين اللغوي في الفصل الأول أن كثيرا من

الدول غير المتطورة تتمتع أيضا بدرجة كبيرة من التباين اللغوي. ولكن ماذا تعني هذه الملاحظة؟ فهل هي غير منطقية على الإطلاق، وهل تبدو هذه العلاقة موجودة، إلا أنها تأتي في الواقع نتيجة لتوزيع عشوائي؟ وإذا كانت العلاقة حقيقية، فهل من الممكن تفسيرها كعلاقة سببية؟ فهل يسبب فقدان التطور الاقتصادي أو التباين اللغوي وجود الآخر؟ إذا ارتبطت ظاهرة معينة بأخرى، ما هي درجة ثقتنا بهذا الترابط؟ يمكن هنا للأساليب الإحصائية أن تساعد في التعامل مع مشاكل من هذا النوع، وفي الواقع فإن هذا الأمر سيناقش في الفصل التالي بنتائج مدهشة نوعا ما.

وفهم مبادئ الإحصاء مهم للدراسة الإضافية لعلم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ولكن ليس هدف هذا الفصل جعل قرائه إحصائيين جيدين. ففهم محتوى هذا الفصل لن يمكنك من القيام بالتحليل الإحصائي، ولكنه سيمكنك من فهم التحليل الإحصائي وتفسيره للآخرين. وكل من ينوي القيام ببحث أصيل في علم اللغة الاجتماعي للمجتمع لا بد أن يمتلك معرفة عملية في الإحصاء التي يجب الحصول عليها من مصادر أخرى. ولكن، أتمنى أن تعطي هذه المقدمة المقتضبة نبذة لمن يقررون دراسة الإحصاء بتفصيل أكثر.

أربع مفاهيم رئيسة

تعتمد معرفة كيفية عمل التحليل الإحصائي على فهم أربعة مفاهيم أساسية: (١) السكان، (٢) والخصائص، (٣) والقياس الكمي، (٤) والتوزيع. وللإحصاء مفاهيم أكثر من هذه المفاهيم الأربعة، ولكن جميعها تبدأ من هذه الأربعة.

السكان

أول مكون وأهمه لأي تحليل إحصائي هو السكان. ويتكون أي تجمع سكاني من مجموعة من الأفراد هي محل اهتمام الباحث، أو بدقة أكثر مجموعة من القيم

الرقمية ترتبط بهؤلاء الأفراد. والتجمع السكاني لا يتألف بالضرورة من البشر فقط، فقد يتكون من مجموعة معرفة من الأشياء مهما كان نوعها. فمثلا، يمكن أن يتكون التجمع السكاني من جميع دول العالم، أو من الولايات، أو من المقاطعات. وقد نرغب في علم اللغة الاجتماعي للغة في تفحص تجمع تكتلات الصوامت النهائية التي ينطقها متحدث معين خلال مقابلة شخصية. وأحيانا وفي مفهوم الإحصائيين، فإن التجمعات السكانية تتألف فعلا من البشر. مثلا، قد يشمل التجمع السكاني ذو الأهمية لعالم علم اللغة الاجتماعي جميع المواطنين لدولة ما والذين يتحدثون لغة معينة.

وفي أغلب الأحيان، يكون التجمع السكاني كبيرا جداً بحيث لا نستطيع التعامل معه كليا. فمثلا، من المستحيل إجراء المقابلات الشخصية مع جميع مواطني الهند، أو الاستماع لجميع تكتل الصوامت في نهاية الكلام التي يتحدثها شخص في سنة كاملة. ومن الضروري كما هو الحال عادة اللجوء إلى العينة. وتتكون العينة من عدد قليل من أفراد التجمع السكاني التي يمكن دراستها بالتفصيل. وبعد ذلك تُسقَط النتائج على التجمع ككل. وحتى يكون هذا الإسقاط دقيقا، فلا بد أن تكون العينة صورة مصغرة للتجمع بأكمله. فإذا أراد باحث اكتشاف موقف الأمريكيين تجاه استخدام "whom" بدلا من "who" كضمير موصول في حالة المفعولية، فمن المهم أن لا تختلف العينة التي يختارها عن التجمع السكاني بشكلٍ كبير. مثلا، إذا شملت العينة جميع طلاب الكليات، أو كان جزء في العينة من المهاجرين أكبر مما هو موجود في التجمع السكاني للولايات المتحدة الأمريكية ككل، فإن النتائج لن تكون نموذجية لكامل السكان. ولكن لو احتوت العينة على عدد كبير من الناس ممن وزنهم أقل من الوزن الطبيعي، فإن هذا ربما لا يضر. وليس من السهل التأكد من أن العينة تمثل المجتمع في كل الأمور المهمة. وقد ناقش موضوع اختيار العينة كل من : هاتش

وفرهدي Hatch &Farhady (١٩٨٢م، ص ص ٨ - ١٠)؛ شافلسون Shavelson (١٩٨١م، ص ١٠-١٢)؛ وانشن Anshen (١٩٧٨م، ص ص ٣٧-٤٠). ويعطي وولك Wolck (١٩٧٦م) مناقشة مفصلة متخصصة ومبتكرة، بمرجع خاص، لعلم اللغة الاجتماعي.

الخصائص

هناك دائما بعض خصائص السكان التي تهم الباحث . فمثلا في دراسة التجمع السكاني في الدول، قد تكون مهتما بخصائص مثل الجغرافيا، والكثافة السكانية، والتطور الاقتصادي، والتباين اللغوي، والتمدن، أو أي عدد آخر من الخصائص.

وعادة تسمى الخصائص قيد التحليل بالمتغيرات. وهناك نوعان من المتغيرات، هما: *المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة*. والمتغير التابع هو الذي يهتم الباحث بالتعرف عليه، والمتغيرات المستقلة هي الخصائص التي يفترض أنها ترتبط بالمتغير التابع أو تؤثر عليه. فمثلا، إذا أراد شخص ما معرفة ما إذا كانت فئران المختبر تكتسب وزنا أسرع إذا زيد مقدار البروتين الذي تتغذى عليه، فقد يأخذ عددا من الفئران ويطعمها مقادير مختلفة من البروتين. وطالما أن زيادة الوزن هي الخاصية المهتم بها، فإن وزن الفئران هو المتغير التابع. ويفترض أن الوزن مرتبط بمقدار البروتين المأكول، إذا فمقدار البروتين هو المتغير المستقل. وحتى نأخذ مثالا من علم اللغة الاجتماعي، دعنا نفترض أننا نرغب في استكشاف احتمالية أن عمليات الحكومة تزداد كفاءة كلما كانت اللغة الرسمية أكثر نموذجية؛ ولذا نحتاج إلى مقاييس التقييس والكفاءة (ويصعب على وجه الخصوص قياس الكفاءة، ولكن هذا لا يهم، فإن الفرضية مشكوك في نتائجها على أي حال). وطالما أننا نخمن أن الكفاءة تتأثر بالتقييس، فإن الكفاءة هي المتغير التابع والتقييس هو المتغير المستقل .

ويعتمد كون المتغير مستقلا أو تابعا كليا على الطريقة التي يصوغ فيها الباحث سؤاله. فمثلا، في المشكلة المتعلقة بالعلاقة بين الرخاء الاقتصادي والتباين اللغوي التي نوقشت في الفصل الأول، فمن الممكن أن نتساءل فيما إذا كان التماثل اللغوي يسهل على الدولة التطور اقتصاديا. وإذا كانت هذه صيغة السؤال، فإن العامل الاقتصادي هو المتغير التابع والعامل اللغوي هو المتغير المستقل. ومن جهة أخرى، فمن الممكن طرح المشكلة بشكل معاكس بحيث يكون السؤال عن ما إذا كان التطور الاقتصادي يقود مواطني الدولة إلى التحول من استخدام لغات عديدة إلى لغات قليلة. في هذه الحالة، فإن العامل اللغوي سيكون المتغير التابع، والعامل الاقتصادي سيكون هو المتغير المستقل.

القياس الكمي

عندما يُنتقى السكان، أو عينة منهم، والخصائص المناسبة، فإن الخطوة التالية هي القياس الكمي. وتعتمد الطريقة التي تحسب بها البيانات على تحديد نوعي الخصائص التي يعالجها البحث. وهذان النوعان من الخصائص، هما: *الخصائص ممكنة التسمية، والخصائص ممكنة القياس*. فمثلا، إذا كنا مهتمين بمقارنة بعض جوانب الدول الإفريقية بنظائرها في بلدان القارات الأخرى، فإن هذه الخاصية يمكن تسميتها وهي أن الدول إما موجودة في القارة الإفريقية وإما لا. ومن غير المعقول قياس كمية وجودها في إفريقيا.[1] ومن جهة أخرى، فإن خاصية مثل الثروة القومية هي خاصية من نوع آخر. وبالرغم من أنه ممكن تقسيم الدول إلى فئات غنية وفقيرة؛ فمن الواضح أن هناك مدى لبيان درجة الثروة القومية. فكل دولة تمتلك أو لا تمتلك الثروة القومية لدرجة أو أخرى. وفي هذه الحالة، فإن الخاصية ممكنة القياس، ويرجع للباحث أمر الحصول على طريقة ما لقياسها.

وإذا كانت الخاصية ممكنة التسمية فقط، فإن الطريقة الوحيدة الممكنة للقياس الكمي هي إحصاء أفراد المجتمع أو العينة التي تملك تلك الخاصية المسماة. فمثلا، من الممكن حساب عدد الدول التي تقع في إفريقيا وتلك التي تقع في قارات أخرى. ويمكن إحصاء عدد الذكور والإناث فقط من أفراد المجتمع البشري أو العينة، باعتبار أن الجنس خاصية ممكنة التسمية. أما إذا كانت الخاصية قيد الدراسة ممكنة القياس، فإن الأسئلة التي بإمكاننا طرحها والإجابات التي يمكننا الحصول عليها ستكون غاية في المتعة. وفي هذه الحالة، فإننا لا نعد فقط الأفراد الذين يملكون الخاصية أو لا يملكونها، ولكننا نقيس كمية هذه الخاصية التي يملكها الفرد في العينة.

ويتطلب القياس أداة ومقياسا. فتقاس الخصائص الفيزيائية، مثل درجة الحرارة والمسافة الخطية، بأدوات فيزيائية، مثل ميزان الحرارة أو العصا المترية. وتقاس نوع الخصائص التي تهمنا هنا بأدوات ورقية تحمل السؤال والإجابة، مثل أسئلة الإحصاء السكاني، والاختبارات الكتابية، والاستبيانات. أما المقاييس فهي أنظمة مصممة لإظهار مدى امتلاك الفرد من المجتمع للخاصية المقاسة. ويتكون المقياس من نقطة أو نقاط مرجعية، ووحدات. مثلا، يوجد في مقياس الحرارة نقطتا التجمد والغليان كنقطتين مرجعيتين، والدرجة هي الوحدة. وفي الفصل التالي، سنقابل مقياس جرينبيرغ وليبرسون للتباين (Greenberg- Liberson) والذي له نقطتان مرجعيتان، هما: التباين الكامل والتماثل الكامل، والقيمة (أ) كوحدة. بالرغم من أننا نفكر عادة بالمقاييس الفيزيائية النموذجية باعتبارها الطريقة الوحيدة الممكنة لقياس ما نحن بصدده، فإن معظم المقاييس هي كيفية في جوهرها. فإنشاء نقطتي تجمد الماء وغليانه كنقاط مرجعية على مقياس الحرارة المئوي، والدرجة كجزء من المائة للفرق بينهما، كان في البداية قرارا كيفيا. وبعد ذلك قُبلت كمعيار نموذجي. وأحيانا يصبح من الضروري لعالم علم اللغة الاجتماعي أو أي باحث آخر أن يخترع نظام قياس جديد

يشمل الأداة، والمقياس، والوحدة حتى يقيس شيئا لم يُقس قبل ذلك بشكلٍ مرضٍ. وهذا أمر مشروع تماما.

ويقود نوعا القياس الكمي، وهما العد والقياس، إلى وجود أربعة نماذج من مقاييس القياس، يناقشها الإحصائيون عادة (على سبيل المثال ، انظر شافلسون، ١٩٨١م ، ص ١٦-١٨) . ومن هذه النماذج ، يطبق واحد منها على الخصائص الممكن تسميتها، واثنان على الخصائص الممكن قياسها، ويصنف الأخير بين الاثنين. وتخصص الخصائص الممكن تسميتها بقيم على مقياس اسمي. وتعرف هذه القيم فقط أي خاصية مسماة يملكها فرد من العينة. فإذا استخدمنا الموقع القاري كخاصية ممكنة التسمية لعينة من الدول، فيمكننا تخصيص قيمة (١) لدولة آسيوية، و (٢) لدولة إفريقية، و(٣) لدولة أوروبية، وهكذا دواليك. وليس لهذه الأرقام أي أهمية خاصة، فعلى سبيل المثال، لا نقصد أن يكون للدولة الإفريقية مقدار أقل من الخاصية أو أكثر من دولة آسيوية. ويمكننا أيضا وبشكلٍ مساو استخدام (س، ص، ع) أو (أخضر، أزرق، أصفر) كرموز لتعيين الموقع القاري. وكلما كان بإمكان كل عضو مستقل في العينة السكانية أن يحصل على رمز ورقم لهذه الخاصية، فإننا بهذه الحالة نتعامل مع مقياس اسمي.

وتخصص الخصائص الممكن قياسها بقيم على *مقياس فاصلي أو مقياس نسبي*. وتعريف شافلسون (١٩٨١م، ص١٧) للقياس الفاصلي هو:

والقياس الفاصلي ممكن إذا كان بالإمكان تحديد المستويات المختلفة للصفة المميزة، وتحديد *مسافات متساوية* بين مستويات الصفة أيضا.

والمصطلحات الأساسية هي "مستويات مختلفة" و "مسافات متساوية". فإذا أعطي عضو في العينة القيمة (٢) على مقياس فاصلي، فإنه في مستوى أعلى بالنسبة للصفة المعنية من العضو الذي له قيمة (١). والفرق في المستوى بين عضو العينة

المعطى القيمة (٣) والفرد المعطى قيمة (٢) هو الفرق نفسه الموجود بين العضو ذي القيمة (٢) والعضو ذي القيمة (١). ولنأخذ مثالا بسيطا يتعلق بقياس درجة الحرارة. لنفترض أن لدينا أربعة أوعية من الماء: درجة حرارة الماء في الوعاء الأول (أ) هي ١٠ درجات مئوية، وفي الوعاء الثاني (ب) هي ١٢ درجة مئوية، وفي الوعاء الثالث (ج) هي ٢٠ درجة مئوية ، وفي الوعاء الرابع (د) هي ٢٢ درجة مئوية. وطالما أن مقياس الحرارة المئوي هو مقياس فاصلي، فإن الفرق بين درجتي حرارة الوعائين (أ) و (ب) هو الفرق نفسه بين درجتي حرارة الوعائين (ج) و (د)، وهي درجتان مئويتان.

وللفرق بين المقاييس الفاصلية والنسبية أهمية لا تكاد تذكر لغرضنا (لم يذكر هاتش وفرهدي (١٩٨٠) على الإطلاق المقاييس النسبية). وللمقاييس الفاصلية والنسبية الخصائص نفسها، باستثناء أن لمقياس النسبة قيمة مطلقة للصفر، بينما للمقاييس الفاصلية قيمة كيفية للصفر. ولمقياس الحرارة المئوي قيمة كيفية للصفر، وهي نقطة تجمد الماء. ومقياس كالفن هو مقياس نسبي فنقطة الصفر فيه هي الانعدام المطلق للحرارة.

والنوع الرابع من المقاييس هو *المقياس الترتيبي*. ففي المقياس الترتيبي، تعطى الأرقام لأعضاء العينة بالترتيب ، ولكن المسافات (الفواصل) غير متساوية. وأسرع طريقة لفهم المقياس الترتيبي هي أن نتخيل قائمة تحوي الواصلين لخط النهاية في سباق ماراثوني. فالمتسابق الأول الذي يعبر خط النهاية يعطى الرقم (١)، ويعطى المتسابق الثاني الرقم (٢)، وهكذا. ولكن ليس من الضروري أن تكون المسافات (الفواصل) بين المتسابقين متساوية. فقد يصل الفائز الأول متقدما عن صاحب المركز الثاني بثلاثين ثانية، والذي بدوره يصل قبل صاحب المركز الثالث بثانيتين، وتعطى الأرقام المعينة حسب المرتبة، ولكنه لا يحمل أي معلومات عن المسافات بينهم. أما إذا قمنا من جهة أخرى بترتيب المتسابقين حسب أوقات وصولهم ، فإن هذه الأوقات تشكل

البيانات للمقياس النسبي. فالوحدات (وهي الساعات، والدقائق، والثواني، وأعشار الثواني) لها مسافات متساوية لجميع المتسابقين، والصفر هنا مطلق (أي انعدام الوقت كليا).

وإذا أريد من نتائج البحث أن تكون مفهومة، فلا بد للباحثين أن يتذكروا بوضوح أي نوع من المقاييس تتطابق مع البيانات الرقمية الموجودة لديهم، وأن يختاروا الطرق الإحصائية طبقا لذلك. وإذا افترض الباحث أن الخاصية التي يبحثها قد قيست على مقياس فاصلي بينما هي في الواقع قد قيست فقط على مقياس ترتيبي، فإن الطرق الإحصائية التي استخدمها قد تكون صادقة فعلا، من منظور رياضي بحت، ولكن لن يكون لها معنى على الإطلاق عندما تفسر في العالم الواقعي (انظر شافلسون، ١٩٨١م، ص١٨).

وتُقيّم دقة القياس وفقا *لمعياري درجة الثقة بالقياس وصلاحيته*. فيكون القياس موثوقا به إذا أعطى النتائج نفسها في كل مرة، أي إذا كان ثابتا. ويكون القياس صالحا إذا قاس بالضبط ما صمّم لقياسه. ومفهوم الصلاحية أدق المعيارين، فلا يمكن أن يكون القياس صالحا، وهو غير موثوق به. فإذا أعطى نتائج مختلفة في تطبيقات متوالية، فمن الواضح أنه لا يقيس بدقة ما هو مفروض قياسه. ومن جانب آخر، فقد يكون القياس موثوقا به تماما، ولكنه غير صالح. تصور أن شخصا ما يعتقد أن من الممكن الحصول على قياس دقيق للذكاء بقياس جبهات الناس، فتأخذ العلامة الأكبر (جبهة كبيرة) على أنها تشير إلى شخص ذكي جدا، والعلامة الصغيرة (جبهة صغيرة) تدل على الشخص الغبي. فإذا كانت أداة القياس جيدة والطريقة دقيقة، فإن القياس سيكون موثوقا به. ففي كل مرة تقاس فيها جبهة شخص معين، سيحصل على العلامة نفسها. ولكن القياس لن يكون قياسا صالحا للذكاء بالاعتماد فقط على حجم جبهة الرأس.

التوزيع

عندما تقاس خصائص المجتمع أو العينة بشكلٍ مناسب، فإننا نهتم بجوانب توزيع العلامات. ونقصد بالتوزيع ببساطة كم عدد أفراد المجتمع أو العينة الحاصلين على العلامات العليا أو الدنيا على المقياس. وعادة، نتوقع أن يكون للمجتمع توزيع متماثل من العلامات التي تقيس معظم الخصائص. فسيحصل معظم أفراد العينة على علامات قريبة من متوسط المدى، في حين يحصل القليل منهم على علامات في النهاية العليا جداً أو النهاية الدنيا جداً من المقياس. وبتبسيط زائد إلى حد ما، فإن توزيعا من هذا النوع يسمى *بالمنحنى الطبيعي*. ويكون التوزيع *منحرفا*، إذا حصل عدد أكبر من السكان على علامات في النهاية العليا من المقياس أكثر من النهاية الدنيا، والعكس صحيح.

ويعطينا الإحصاء الوصفي فكرة عن الطبيعة التوزيعية لمجموعة معينة من البيانات، وأهم الإحصاءات الوصفية تتجلى في إحصائين أساسيين، هما: المتوسط والانحراف المعياري.(٢) والمتوسط هو علامة المعدل المحسوبة بجمع العلامات لكل فرد من العينة، ثم تقسيمها على العدد الكلي للأفراد في العينة. والانحراف المعياري مؤشر على كيفية توزع العلامات حول المتوسط. ويعني الانحراف المعياري الطفيف أن العلامات تجتمع بشكل جيد نوعا ما قرب المتوسط. أما الانحراف المعياري الكبير فيعني أن العلامات مبعثرة على أعلى المدى وأسفله، أو أن هناك بضع علامات تقع بعيدا جدا عن المتوسط. وإذا عرضت هذه العلامات على منحنى فستظهر العلامات ذات الانحراف المعياري الطفيف بذروة حادة في الوسط. أما المنحنى المرتبط بانحراف نموذجي كبير فسيكون مسطحا نوعا ما أو غير منتظم.(٣)

وإذا كان لدينا عينة، وليس جميع السكان، فمن المحتمل أننا سنرغب في معرفة كيف تشبه إحصاءات العينة تلك الخاصة بالسكان ككل. فإذا كانت العينة عالماً

مصغراً فعلا لكل السكان، فسيكون متوسطها وانحرافها النموذجي هو نفسه بالضبط كتلك الخاصة بالسكان ككل. ولكن إذا اختيرت العينة عشوائيا من السكان فإن من المؤكد تماما أن تختلف العينة في توزيع علاماتها قليلا عن توزيعها في إحصاء كل السكان. ولكن الإحصائيين قد طوروا طرقا لتقدير الانحراف المعياري للسكان بمجرد معرفتنا لهذه الإحصاءات للعينة. ويعبر عن هذا عادة بالمدى والاحتمالية، وفي هذه الحالة، تقال عبارات كالتالي: "هناك فرصة ٩٥٪ أن يكون متوسط السكان ما بين ٥١ و٥٩."[٤]

إجراءات إحصائية

يعتبر الإحصاء الوصفي للعينة، أو حتى الإحصاء الوصفي التقديري لكل السكان مهما، ولكنه ليس أكثر الاستخدامات الإحصائية تشويقا. ولكن الجانب الممتع أكثر هو *اختبار الفرضية*. ويتضمن اختبار الفرضية إجراءات لأخذ القياسات الكمية واستخدامها لتحديد ما إذا كانت فرضية معينة صحيحة أم لا. وقبل أن أشرح طريقة عملها، سنحتاج لفهم ما هي الفرضيات في الإحصاء.

الفرضيات

تأتي الفرضيات مزدوجة، بنظر علم الإحصاء. فلكل مشكلة هناك *فرضية بحث* و*فرضية إبطال*. وفرضية الإبطال بشكل مبسط تبين أنه "لا يوجد شيء خاص يدور هنا". وبمعنى آخر، لا يوجد شيء للشرح. وفرضية البحث هي عبارة مفادها أن هناك علاقة غير عادية بين الخصائص الكمية للسكان التي لا بد من شرحها. ودائما تكون فرضية الإبطال الخاصة نفيا لفرضية البحث المزدوجة معها. فعلى سبيل المثال،

إذا فكرنا بالفرضية التي تقول: إنه كلما كان الطفل بين سن الخامسة والخامسة عشر أطول، كلما كان أثقل وزنا، فسيكون مفاد فرضية الإبطال أنه لا يوجد ميل خاص لدى الأولاد في هذا العمر لأن تكون أوزانهم أكبر إذا كانت أطوالهم أكبر. وبالإجراءات الإحصائية، فإننا لا نقوم بإثبات فرضية البحث مباشرة، ولكن نرسخها بشكل غير مباشر، *وذلك برفض فرضية الإبطال*. فإذا وجدنا أنه يمكننا رفض فرضية الإبطال التي ذكرتها آنفا، فإن الخيار المنطقي الوحيد هو قبول فرضية البحث. وبتحديد أكثر، إذا لم يكن معقولا الاعتقاد بأنه لا يوجد ميل لوزن الأطفال في المدى المحدد للعمر أن يكون أكبر عندما يكون طولهم أكبر، فالبديل الوحيد هو الاعتقاد بأن هناك علاقة من هذا النوع.(٥)

وعادة لا تذكر فرضية الإبطال، ولكنها تقدم ضمنيا في كل مرة يحدث فيها اختبار إحصائي للفرضيات. وعند قراءة النتائج الإحصائية في تقارير بحثية، فمن المفيد أن نستعد لاستنتاج فرضية الإبطال بدقة، فمثلا، في مثالنا عن الطول والوزن، افترض أننا لم نستطع رفض فرضية الإبطال، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه لا يوجد علاقة بين الطول والوزن، ولكنها ليست بشكل أن الأطفال الأطول هم الأثقل وزنا أيضا. ومن الممكن منطقيا أن الأطفال الأقصر أثقل وزنا، وهذه إمكانية لم نتحقق منها باختبار فرضية البحث كما وضعتها.

ويجب وضع الفرضيات بدقة ، نسبة إلى مجموعة محددة من البيانات الكمية. فمثلا، القول "بأن الطلاب الذين لديهم مدرسون جيدون يتعلمون أكثر" هي نظرية ضعيفة بنظر علم الإحصاء. فليس لدينا تعريف بما هو مقصود بتعبير "المعلمين الجيدين"، ولم يقدم لنا قياس لكمية التعلم . أما الفرضية المناسبة أكثر فستكون على النحو التالي "الطلاب الذين يدرسهم معلمون مصنفون من قبل زملائهم على أنهم "ممتازون" أو "جيدون" سيحصلون على علامات عالية جدا في اختبار نهائي نموذجي

أكثر من الطلاب الذين يدرسهم مدرسون مصنفون من قبل زملائهم على أنهم "متوسطون" أو "ضعيفون". بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تكون الفرضيات متلازمة مع نوع البيانات المتوفرة. افترض أن لدينا قائمة بجميع الطلاب في مدرسة ثانوية معينة صنفهم مرشدهم الطلابي على أنهم "عدوانيون" أو "غير عدوانيين". افترض أن لدينا قائمة بأسماء الرياضيين في كل الفرق الرياضية في المدرسة. وافترض أيضا أن لدينا فكرة أن الطلاب العدوانيين غالبا ما يكونون رياضيين جيدين أكثر من غير العدوانين. ومن البيانات التي وصفتها، لا نستطيع اختبار الفرضية: "كلما ازدادت عدوانية الولد في المدرسة الثانوية كلما كان رياضيا جيدا". وتتطلب هذه الفرضية أن نتعامل مع العدوانية والقدرة الرياضية على أنها خصائص ممكنة القياس، وأن لدينا مقاييس لقياسها على مقياس فاصلي أو نسبي، ولكن البيانات التي لدينا تتعامل مع المتغيرين على أنهما خصائص ممكن تسميتها فقط. أي أن لدينا أحكاما بوجود العدوانية مقابل عدم وجودها، ووجود الطالب في قائمة الفريق مقابل عدم وجود الطالب. وهذه بيانات مقياس اسمي. والفرضية الممكن اختبارها هي: "إن احتمالية وجود الأولاد في الثانوية الذين حكم عليهم مرشدوهم الطلابيون على أنهم عدوانيون في الفرق الرياضية أكثر بكثير من احتمالية وجود الطلاب الذين حكم عليهم أنهم غير عدوانيين".

كيف تعمل الفرضية

هناك بنية نموذجية تُتّبع في الإحصاء في محاولة رفض فرضية الإبطال. وينتج عن جميع الطرق المستخدمة لاختبار الفرضية، والتي ستناقش (باستثناء واحدة وهي الارتباط)، قيمة عددية من الممكن مقارنتها بتوزيع نظري معروف لهذه القيم. فمثلا،

يعطي الاختبار الإحصائي المسمى باختبار "ت" قيمة ت ، التي يمكن مقارنتها بالتوزيع النظري لقيم ت. فإذا كانت القيمة التي حصلت عليها قريبة بما يكفي من متوسط قيم ت ، فمن الممكن أن تكون هذه النتيجة مجرد صدفة. أما إذا كانت القيمة التي حصلت عليها بعيدة بما يكفي عن المتوسط ، فهذا يعني أن من المحتمل أنها لم توجد بمحض الصدفة ، ولكن هناك مسببا لها. ولكن كم هو بُعد "بعيدة ؛ بما يكفي؟" وهذا أمر يقرره الباحث ضمن حدود معينة. فإذا كانت القيمة الموجودة تقع في معدل نتوقع أن نجد فيه ٨٠ بالمائة من التوزيع النظري لقيم ت ، فإننا سنكون مطمئنين تماما لفرضية الإبطال أنه لا يوجد شيء يستحق الشرح. ولكن افترض أن قيمة ت التي حصلنا عليها تقع في معدل يتواجد به ١٠ بالمائة فقط من التوزيع النظري لقيم ت. معظم الإحصائيين سيبقون غير رافضين لفرضية الإبطال ، فوجود فرصة واحدة في كل عشر يعتبر احتمالية كبيرة. وعمليا فيجب أن تكون القيمة التي تحصل عليها في معدل ٥ بالمائة على الأقل حتى تستطيع رفض فرضية الإبطال. ويعبر عن هذا عادة بالقول بأن "النتائج كانت مهمة بقيمة احتمال < ٠,٠٥ ، وهذا يعني أن الاحتمالية هي أقل من ٥ ٪ وأن القيمة التي حصلت عليها قد أتت بطرق عشوائية فقط. وفي الغالب لا يرضى الإحصائيون حتى تكون نتائجهم مهمة بقيمة احتمال < ٠,٠١ ، (أي أقل من فرصة في ١٪ أن تكون فرضية الإبطال صالحة)، أو بقيمة احتمال < ٠,٠١ (أي أقل من فرصة واحد في الألف).

كمثال ، تخيل أننا أنا وأنت جيران ، ولنا حديقتا خضار بجوار بعضهما ، وافترض أن كلا منا اتبع الطريقة الزراعية نفسها ، باستثناء أنك استخدمت سمادا خاصا طورته بنفسك ، بينما استخدمت أنا مركبا من سماد الأبقار. وفي نهاية الصيف ، التقط كل منا ١٠٠ حبة طماطم ، لا على التعيين ، وحسب معدل وزنها.(٦) وكانت فرضية البحث أن الطماطم التي عولجت بالسماد الذي طورته أنت سيكون

أثقل بشكل ملحوظ في المعدل من تلك التي عولجت بسماد الأبقار فقط. وفرضية الإبطال هي أنه لا يوجد فرق في معدل الأوزان في مصلحة حبات الطماطم التي زرعتها أنت، والذي ليس بسبب التباين العشوائي. وبالطبع، فإنه سيثبت خطأ فرضية البحث لو كانت الطماطم التي زرعتها أنا أثقل فعلا من الطماطم التي زرعتها أنت، ولكن حتى ولو كانت الطماطم التي زرعتها أنت أثقل. فإننا لا نستطيع رفض فرضية الإبطال لو استطعنا إثبات أن الفرق يعود إلى عوامل عشوائية . وأنت بالطبع تتمنى أن يكون هناك شيء يمكن تفسيره؛ لأن لديك تفسيرا جاهزا يتعلق بأفضلية السماد الذي طورته أنت، لذا فإنك تفضل أن تكون قادرا على رفض فرضية الإبطال . افترض أن معدل اختلاف الوزن هو ٢٠ غراما لصالح الطماطم التي زرعتها أنت، وافترض أيضا أن هذا الفرق، وباستخدام الاختبار الإحصائي المناسب، كان مهما بقيمة احتمال < ٠,٠١، وهو معدل الرقم المعنوي الذي اخترناه . وهذا يعني أن لدينا فرصة واحدة فقط في كل ١٠٠ للحصول على اختلاف في الوزن يعادل ٢٠ غراما مع التباين الطبيعي فقط في نمو الطماطم. وبالتأكيد فهناك شيء ما يسبب هذا الاختلاف في الوزن. وطالما كانت معالجة السماد هي الفرق الوحيد في الطريقة التي أديرت بها الحديقتان فمن المنطقي الاعتقاد بأن هذا هو السبب.

ومن المهم ملاحظة أمرين حول هذه النتيجة. أولا، أننا لم نستبعد فرضية الإبطال على الإطلاق. افترض أنني أحضرت مائة حبة طماطم من حديقتي للوزن، وذلك بقطف كل ثالث حبة طماطم مررت بها، وأنت استخدمت الطريقة نفسها. والآن من الممكن أن تكون كل ثالث حبة طماطم في حديقتي هي من بين أصغر حبات الطماطم التي أملكها حجما، وأن كل ثالث حبة طماطم خاصة بك هي من بين أكبرها. فلو اخترنا كل ثاني حبة طماطم في كل حديقة. فمن الممكن أن لا يكون هناك أي فرق في الوزن، وهذا بالطبع احتمال، ولكنه غير وارد على الإطلاق.

والإحصاء طريقة لتقدير كم هي درجة عدم الاحتمالية. ثانيا، أثبتنا فقط أنه من المحتمل جدا أن يكون هناك مسبب يؤدي إلى نمو الطماطم في حديقتك بشكل أكبر من الطماطم التي في حديقتي. ولا يظهر الاختبار الإحصائي أن ذلك الشيء هو السماد الذي طورته أنت. وقد تمنينا أن نصمم التجربة بحيث تكون معالجة السماد هي الفرق الوحيد فقط، حتى إذا كانت الطماطم التي زرعتها أنت أثقل بشكل ملحوظ، فإن السبب الوحيد الممكن هو السماد. وبالدرجة التي نجحنا فيها فقد أثبتنا أفضلية السماد الذي طورته أنت، وبالدرجة التي تكون فيها متغيرات غير مسيطر عليها، فإن سبب النتيجة سيبقى محط شك.

افترض أننا لم نفكر في التأكد من أننا زرعنا سلالة الطماطم نفسها، وأننا في الواقع زرعنا أنواعا مختلفة. وفي هذه الحالة ربما بقي السماد هو الذي يسبب الفرق، ولكن لدينا الآن متغيرا غير مسيطر عليه، وقد يكون هو أيضا السبب. فوجوده يبعث على الشك، ليس في حقيقة وجود اختلاف ملحوظ بين أوزان الطماطم، ولكن في الدلالة على أن الفرق عائد لطريقة التسميد. وفي بحث علم اللغة الاجتماعي، كما هو الحال في معظم أبحاث العلوم الاجتماعية، من الصعب السيطرة على جميع المتغيرات.

أنواع الاختبارات الإحصائية

من الممكن تقسيم الاختبارات الإحصائية إلى فئتين: اختبارات معيارية واختبارات غير معيارية. ولهذا التميز علاقة بتمييزنا السابق بين مقاييس الكمية (الاسمي والترتيبي مقابل الفاصلي والنسبي). وتستخدم أكثر الإجراءات الإحصائية المعيارية شيوعا عندما يتضمن قياسنا الكمي مقاييس فاصلية أو نسبية. والطرق غير المعيارية التي من الممكن أن تصادفك مصممة للاستخدام عندما يكون القياس الكمي على مقاييس اسمية أو ترتيبية. ومن الأهمية بمكان أن لا يستخدم إجراء خاطىء مع

بيانات خاطئة ؛ لأن كل إجراء ينطوي على افتراضات مختلفة جوهريا. والنتيجة المحتملة من جراء استخدام نوع خاطىء من الإجراء هو قبول فرضيات الإبطال الواجب رفضها، أو رفض ما يجب قبوله.

وفي الأجزاء التالية، سأصف باختصار أربع إجراءات إحصائية شائعة الاستخدام، وهي: *اختبار مربع كاي، واختبار -ت، وتحليل التباين، والارتباط*. وبالطبع، تستخدم في البحث إجراءات إحصائية أخرى عديدة جدا. وتعتمد جميعها تقريبا على الإجراء الأساسي في مقارنة بعض القيم مع قيم لتوزيع نظري معروف من النوع نفسه، وتقدير احتمالية أن تكون القيمة الناجمة هي فقط نتيجة لعوامل عشوائية. ولذا، فإذا قرأت نتائج إجراء إحصائي ما بأنها معنوية بقيمة احتمال < ٠.٠١ ، فإنك ستفهم شيئا ما عن مصداقية فرضية الباحث، حتى ولو لم تكن تعلم كيفية عمل هذا الإجراء.

مربع كاي

الوصف.

اختبار مربع كاي (يرمز له بـχ^2) هو إجراء إحصائي غير معياري يستخدم في الغالب لاختبار الاستقلالية أو الاتكال المتبادل لتوزيع صفتين ممكنتي التسمية ضمن تجمع سكاني ما. وشرح كيفية عمل إجراء إحصائي من خلال الأمثلة أسهل بكثير من شرحه بشكل نظري.

في الفصل الأول استشهدنا بدراسة جوشوا فيشمن (أ ١٩٦٨) والتي قارن فيها بين التباين اللغوي ومقاييس مختلفة للتطور القومي. وفي إحدى هذه المقارنات، قارن فيشمن بين مقياس اقتصادي، وهو الناتج القومي الكلي، وبين التباين اللغوي. وهاتان خاصيتان يمكن التعامل معهما على أنهما ممكنتا القياس، ولكن فيشمن تعامل

معهما على أنهما خاصيتان ممكنتا التسمية. فقد حكم على ١١٤ أمة بأنها ذات إنتاج قومي كلي للفرد "عال جداً" أو "متوسط" أو "منخفض" أو "منخفض جدا". وقسم تلك الأمم إلى دول "متجانسة" أو "متغايرة" للدلالة على التباين اللغوي.(٧) وعندما تم إجراء ذلك، كان من الممكن توزيع تلك الأمم جميعها إلى أربع فئات، بناء على قيمتين لكل من الخاصيتين. وأمكن بوضوح وضع كل بلد في إحدى الفئات الأربع. والجدول رقم (٤،١) يعرض هذه النتائج.

وكانت فرضية البحث المختبرة هي أن يكون تخصيص الدول في فئات متجانسة متغايرة غير مستقل عن تخصيصها في مستوى الناتج القومي الكلي لكل فرد. وبمجرد النظر فقط إلى جدول رقم (٤،١) من الصعب تقرير ما إذا كان من الواجب قبول الفرضيةأو رفضها.فللغالبية العظمى من الكيانات المتغايرة لغويا ناتج قومي كلي للفرد

الجدول رقم (٤،١). ترتيب الكيانات بحسب التجانس-التباين اللغوي والناتج القومي الكلي لكل فرد.

الناتج القومي الكلي	العامل اللغوي	
	متجانس	متغاير
عال جدا/ متوسط	٢٧	١٥
منخفض / منخفض جدا	٢٥	٤٧

المصدر: (فيشمن أ ١٩٦٨م، ص ٦٢)

"منخفض جداً أو منخفض"، ولكن الكيانات المتجانسة قسمت بالتساوي على مقياس

الناتج القومي الكلي. ونريد طريقة تمكننا من معرفة ما إذا كانت الدول الـ ١١٤ قد اندرجت في إحدى هذه الفئات بطريق الصدفة، أو إذا كان من غير المحتمل أن يكون ذلك قد حدث عن طريق الصدفة، فإن بإمكاننا استخلاص أن هناك علاقة حقيقية بين الخاصيتين. وطريقة معرفة ذلك هي حساب ما سيكون عليه التوزيع إذا لم تكن هناك علاقة بين الخاصيتين، ومن ثمّ اكتشاف ما إذا كان التوزيع في الجدول رقم (٤،١) مختلفا بدرجة كافية عن ذلك التوزيع. ويعطي جدول رقم (٤،٢) التوزيع "الافتراضي" أو "النظري".(٨) وتقيس قيمة مربع كاي الاختلاف بين التوزيع الفعلي للبيانات والتوزيع الافتراضي(٩) وقيمة مربع كاي في مثالنا هي ٨،١٩ ، وعندما نفحص هذا على جدول يبين التوزيع المتوقع لقيم مربع كاي، نجد أنها معنوية بقيمة احتمال< ٠،٠٠٥(١٠)، وإن كان مستوى الدلالة هذا مقبولا (وهذا المستوى يكون عادة مقبولا في بحث العلوم الاجتماعية)، عندها يمكننا رفض فرضية الإبطال وقبول فرضية البحث.

الجدول رقم (٤،٢). التوزيع الافتراضي لبيانات في جدول (٤،١).

	العامل اللغوي	
الناتج القومي الكلي	متجانس	متغاير
عال جدا/ متوسط	١٩،٢	٢٢،٨
منخفض / منخفض جدا	٣٢،٨	٣٩،٢

وكما هو معتاد في الاختبارات الإحصائية، فيجب علينا الحذر بملاحظة ما

تقوله النتائج وما لا تقوله. ونعلم الآن أن توزيع الأمم بين قيم الخاصيتين في جدول رقم (٤،١) من المحتمل أن يكون فيه اتكالية متبادلة أكثر من الاستقلالية. ولا نعلم من مجرد حقيقة أننا حصلنا على قيمة مهمة لمربع كاي، ما إذا كان من المحتمل أن يكون للدول المتجانسة ناتج قومي كلي عالٍ جداً أو متوسط، أو ما إذا كان من المحتمل أن يكون للدول المتغايرة ناتج قومي كلي منخفض أو منخفض جدا، أو كلاهما. ونحن أيضا أبعد ما نكون عن إثبات أن التجانس يعزز التطور الاقتصادي، أو أن التطور الاقتصادي يعزز التجانس، أو أن هناك علاقة سببية بينهما على الإطلاق.

ولا يقتصر اختبار مربع كاي على فرضيات تشمل خاصيتين، لكل منهما تمييزان. ففي دراسة فاسولد (١٩٨٠)، ذكرت نتائج سلسلة من التجارب تركز على نطقين لكلمة "nine" من قبل متحدثين من طبقات اجتماعية وأعمار وأجناس عرقية مختلفة. وقد سجلت صوتيا طريقة نطق كل متحدث وهو يستخدم أحد النطقين، إما [nain] (النطق الأول) أو [na:n] (النطق الثاني). وعندما حُسب عدد حدوث النطقين بناء على الطبقة الاجتماعية (متوسطة أو عاملة)، والجنس العرقي (أبيض أو أسود)، كانت نتيجة ذلك التوزيع الموجود في جدول رقم (٤،٣) . وكانت فرضية البحث هي أن النطق سيتوزع بشكلٍ غير متكافىء بين المتحدثين من الطبقتين الاجتماعيتين والجنسين العرقيين. وكانت قيمة مربع كاي المحسوبة لجدول رقم(٤،٣) معنوية بقيمة احتمال < ٠،٠٠١ ، ورفضت فرضية الإبطال. ومن المهم ملاحظة أن اختبار مربع كاي بأكمله يمكننا من القول، ونحن متأكدين، إن من المحتمل أن توزيع المتحدثين للنطق الأول أو الثاني بين الطبقات والأجناس العرقية ليس عشوائيا. ولم نثبت أي شيء يتعلق بأهمية التوزيع.

الجدول رقم (٤،٣). عدد المستخدمين لنطقين لكلمة "nine" في واشنطن، مقاطعة كولومبيا، في ١٩٧٧م، طبقا للطبقة والجنس.

النطق	الجنس/الطبقة			
	أبيض (طبقة) متوسطة	أسود متوسطة	أبيض عاملة	أسود عاملة
[nain]	١٥٠ ٪٨٢،٩	٢٣ ٪٦٢،٢	٣٧ ٪٥٢،١	١٢ ٪١٥،٠
[na:n]	٣١ ٪١٧،١	١٤ ٪٣٧،٨	٣٤ ٪٤٧،٩	٦٨ ٪٨٥،٠

وبالطبع، يبدو التوزيع واضحا إلى درجة مقبولة من مجرد النظر إلى الجدول، فالنطق الأول [nain] يميل للارتباط بمتحدثي الطبقة المتوسطة ومتحدثي الجنس الأبيض، وأن الطبقة الاجتماعية أهم من الجنس العرقي. وبرغم جاذبية هذا الاستنتاج إلا أنه لا يثبت مباشرة باستخدام اختبار مربع كاي. وأشير إلى هذا هنا لأن التمييز بين فرضية البحث القائمة على إجراء إحصائي وبين كيفية تفسير الباحث لها قد يضيع ببساطة. وهو تمييز مهم جدا، ونموذجي، فإن جزءا واحدا فقط من نتائج الباحث يمكن أن تُدعم بشكل مباشر من قبل الإجراء الإحصائي المستخدم، والباقي هو مجرد استنتاج مبني تقريبا على أسباب منطقية، كما أن المجال مفتوح لمناقشة تلك النتائج على أسباب منطقية أيضا.

متى يستخدم اختبار مربع كاي.

متطلبات البيانـــات. لاستخدام اختبار مربع كاي لتقرير الاستقلالية مقابل

الاتكالية المتبادلة، يجب أولا أن يكون لديك بيانات عن تجمع سكاني معين أو عينة واحدة. ولكل فرد من السكان أو العينة، لا بد أن يكون لديك معلومات عن خاصيتين ممكنتي التسمية على الأقل. ولكل خاصية قيمتان معرفتان حسب الطريقة التالية: إذا كان لفرد من السكان أو العينة قيمة معينة، فلا يمكن له أن يمتلك القيمة الأخرى. ففي البيانات في الجدول رقم (٤،١)، كان لدينا عينة من الأمم، ونعرف عن كل أمة ما يلي: (١) قيمة خاصية التجانس/التغاير إذا كانت متجانسة أم لا (وإذا كانت لا، فهي متغايرة)، و(٢) قيمة خاصية الناتج القومي الكلي إما أن تكون عالية جدا/ متوسطة وإما لا (وإذا كانت لا، فهي منخفضة/منخفضة جدا). ويستخدم اختبار مربع كاي إذا كانت جميع الخصائص من النوع الممكن تسميته، ولا يضمن أي خصائص من النوع الممكن قياسه على الأقل.

الفرضية.

تتعلق فرضيتك فيما إذا كانت خاصيتان أو أكثر تعملان مع بعضهما، وتريد أن تعرف ما إذا كان لدى أفراد التجمع السكاني أو العينة الذين يملكون (أو لا يملكون) قيمة معينة لإحدى الخصائص رغبة في أن يمتلكوا أيضا (أو لا يمتلكوا) قيمة معينة لخاصية أخرى. وللبيانات في جدول (٤،١)، أردنا أن نعرف إذا كانت هناك رغبة لدى الدول المتجانسة لأن يكون لها ناتج قومي كلي عال جدا أو متوسط.[١٢]

(اختبار–ت)

الوصف.

اختبار (ت) هو اختبار إحصائي معياري يقيس ما إذا كانت المتوسطات

الحسابية لمجموعات من الدرجات أتت من عينتين مختلفتين عن بعضهما بشكل ملحوظ جدا. وإذا لم يكن الوسطان الحاسبان مختلفين عن بعضهما بشكل كاف، فلا نستطيع رفض فرضية الإبطال بأن الوسطين الحسابين يمكن أن يكونا قد أتيا من عينتين للسكان أنفسهم. أما إذا كان الوسطان الحسابيان مختلفين بما فيه الكفاية، فيمكن تبرير استنتاجنا بأن المتوسطين الحسابين يخصان عينتين من تجمعين سكانيين مختلفين. وقبل أن نأتي على مثال من اللسانيات الاجتماعية، دعني أشرح ماذا أقصد باستخدام مثال بدائي ساذج نوعا ما.

لنفترض أن لدينا مقاسات طول رقاب ٥٠ زرافة و ٥٠ جملا. ومن المفترض أن متوسط طول الرقبة في عينة الزرافات سيكون أكبر كثيرا من متوسط طول الرقبة في الجمال للدرجة أنه يمكننا قبول فرضية البحث بأن الزرافات والجمال قد أتت من مجموعتين مختلفتين من السكان، فيما يخص طول الرقبة. ومن جهة أخرى، لو أننا قسنا رقاب عينتين من ٥٠ زرافة، فإن متوسط الطول للمجموعتين سيكون في الغالب متقاربا جدا للدرجة أننا سنخلص إلى انهما أتيا من التجمع السكاني نفسه. وباختصار، فإننا نشرع في اختبار ما إذا كانت عينتان أخذتا من مجتمعين منفصلين أولا، فيما يخص بعض الخصائص الممكن قياسها، وذلك باختبار الاختلاف المعنوي بين المتوسطين. والبيانات المطلوبة هي درجات لبعض الخصائص الممكن قياسها (المتغير التابع) لعينتين مختلفتين. أما الخاصية التي تعرف كلتا المجموعتين فهي خاصية ممكنة التسمية (المتغير المستقل أو المتغير التجمعي).

وكمثال لبيانات لسانية اجتماعية، سنستخدم بعض البيانات التي قدمتها ميلروي (١٩٨٠ : ٢٠٤) عن لفظ بعض الصوائت في كلام بعض أفراد الطبقة العاملة في بلفاست. ومن بين البيانات التي جاءت في ملحق ميلروي بيانات عن نطق الصائت في كلمات مثل "hut" و" mud" ويمكن نطق الصوائت في هذه الفئة من الكلمات إما

[ʌ] أو [ʊ]، والأخير هو النطق المحلي أكثر.[١٣] وطبقا لنظامها في القياس الكمي، فإن القيمة الرقمية لهذه الصوائت لمتحدث ما هي النسبة المئوية للكلمات التي نطقت بالمتغير الثاني من اللفظتين، فإذا دونت صوتيا عشر كلمات فيها صائت كلمة "hut" أو "mud" لمتحدث معين، وثبت أن ثمان منها تحوي الصائت [ʊ]، وعندها سيتلقى المتحدث هذا قيمة ٠، ٨٠ .

ولكثير من المتغيرات الفونولوجية في بلفاست، يمتلك المتحدثون من الرجال والنساء أنماطا مختلفة من التكرار، بحيث يستخدم الرجال الأشكال المحلية الدارجة بتكرارية أكبر من استخدام النساء. وهذا صحيح أيضا لصوائت فئة كلمات "hut"، فمتوسط تكرار استخدام نطق الصائت المحلي للمتحدثين الذكور كان ٥٢,٠ بينما كان المتوسط للمتحدثات الإناث ٣٤,٧ . وهذان المتوسطان مختلفان بشكلٍ كبير، ولكن اختبار- ت يخولنا اختبار فرضية البحث الخاصة وهي: "متوسط استخدام المتغير [ʊ] من قبل الرجال والنساء في بلفاست مختلف بشكلٍ كاف، بحيث من المحتمل أن يمثل الرجال والنساء تجمعين سكانيين مختلفين بالنسبة لنطق هذا الصائت". وكانت قيمة - ت هي ٣,٠٦، وهي معنوية بقيمة احتمال< ٠,٠١ .[١٤] ورفضت فرضية الإبطال، ويمكننا قبول النتيجة بأن الرجال والنساء يختلفون بشكلٍ ملحوظ جدا في تعاملهم مع هذا الصائت. وكما اتضح فإن هذا ينطبق أيضا على عدة متغيرات اجتماعية مهمة.

متى يستخدم اختبار – "ت".

متطلبات البيانات. حتى نتمكن من استخدام اختبار -ت، نحتاج إلى عينتين. وعادة ما تكون العينات مجموعات فرعية من عينة أكبر. وتعرف المجموعات الفرعية بواسطة بعض الخصائص الممكن تسميتها. ولا بد أن يكون لكل فرد من المجموعة الفرعية قياسات للخاصية نفسها، ويجب أن تكون هذه الخاصية ممكنة القياس، ولا

بد أن يكون نموذج القياس إما فاصليًا أو نسبيًا. وفي مثال ميلروي، كان لدينا مجموعتان فرعيتان لعينة بلفاست عرفت بخاصية ممكنة التسمية، وهي الجنس (ذكر-أنثى). وكان لدينا مقياس لكل فرد من المجموعتين من الذكور والإناث للخاصية نفسها، وهي تلفظ الصائت. وكان القياس بشكلٍ نسب مئوية، وهذا مقياس نسبي. وكانت الخاصية الممكنة تسميتها التي عرفت المجموعات الفرعية هي المتغير المستقل، أما الخاصية الممكن قياسها فكانت المتغير التابع.

الفرضيــة. تهتم فرضية اختبار- ت دائما بما إذا كانت العينتان مختارتين من التجمع السكاني نفسه أم لا، وذلك بالنسبة للخاصية التي لها مقاييس. وبعبارات أقل تقنية، فإنك تريد اكتشاف ما إذا كانت المجموعتان الفرعيتان مختلفتين بشكلٍ ملحوظ فيما يتعلق بالخاصية المقاسة. وفي حالة المثال، أردنا معرفة إذا كان الرجال والنساء في بلفاست مختلفين تماما في استخدامهم تلفظ الصائت العامي للدرجة أنه لا بد من اعتبارهم إحصائيا مجتمعين سكانيين مختلفين. وبصيغة تقنية أقل، فإننا أردنا معرفة إذا كان الرجال والنساء في بلفاست قد اختلفوا بشكلٍ ملحوظ في استخدامهم تلفظ الصائت المحلي.[١٦]

تحليل التباين

تحليل التباين هو طريقة إحصائية معيارية، من الممكن تطبيقها بعدة طرق في تصاميم بحثية مختلفة. وسنصف تحليل التباين فيما يتعلق بشكليه الأساسيين، وهما: *التصميم أحادي الاتجاه والتصاميم العاملية* (غالبا ما تكون تصاميم ثنائية الاتجاه). والهدف في التصميم أحادي الاتجاه مشابه لهدف الاختبار -ت، أي اختبار ما إذا كانت العينات مأخوذة من مجموعات مختلفة تمثل تجمعات سكانية مختلفة في الخاصية

المقاسة. وهناك على الأقل اختلاف واحد، حيث إن اختبار-ت مصمم للاستخدام مع عينتين فقط في الوقت نفسه، بينما يمكن تطبيق تحليل التباين أحادي الاتجاه على أي عدد من العينات شريطة أن تمثل هذه العينات *مستويات* مختلفة للخاصية العامة نفسها. وعودة أخرى لمثالنا الساذج عن طول الرقبة لثدييات ذات حوافر، افترض أننا أردنا إضافة أطوال رقاب حمير الوحش إلى البيانات المتوفرة لدينا عن الجمال والزرافات. وإذا تقيدنا باختبار -ت، فيمكننا اختبار العينات الثلاث فقط بطريقة الأزواج- الزرافات مقابل الجمال، والزرافات مقابل حمير الوحش، والجمال مقابل حمير الوحش. أما في تحليل التباين، فيمكننا اعتبار الأنواع الثلاثة من الحيوانات مستوياتٍ للخاصية العامة نفسها، وهي فصيلة الثدييات ذات الحوافر، واختبار فرضية طول الرقبة باختبار واحد.

وكما اتضح لنا، فإن استخدام تحليل التباين مع هذا النوع من الفرضية ليس أسهل فقط من استخدام اختبار -ت فحسب، وإنما ولأسباب تخصصية، من المرجح أن يسفر اختبار-ت عن نتائج مضللة جداً إذا استخدم بتكرارية بالطريقة التي وصفتها.

ونختبر في تحليل التباين الفرق بين المتوسطات بسؤال ما إذا كان هناك اختلاف بين علامات المجموعة أكثر مما هو ضمن علامات المجموعة. وبمعنى آخر، فإننا نريد معرفة ما إذا كان هناك تباين أكثر حول المتوسط الحسابي الكلي مما هو عليه حول متوسطات المجموعة. وبالنسبة لمثالنا، يعني هذا أننا نريد أن نعرف إذا كان هناك اختلاف أكبر عند مقارنة الزرافات بالجمال وحمير الوحش كمجموعات أكثر من مقارنة زرافة واحدة وجمل واحد وحمار وحش واحد فيما بينها. وفي المثال، فإننا بالتأكيد سنتوقع أن يكون هناك عموما اختلاف أكبر بين أطوال رقاب مجموعة الزرافات وأطوال رقاب مجموعة حمير الوحش أكبر مما بين زرافتين أو حماري

وحش. ومن جهة أخرى، لنفترض أننا أخذنا ثلاث عينات، في كل منها ٥٠ زرافة، فلن يكون هناك داعٍ لتوقع أن التباين من مجموعة واحدة من الزرافات إلى المجموعة التالية سيكون أكبر أو أصغر من التباين من زرافة واحدة إلى أخرى. وباختصار، إذا أتت العلامات من تجمعات سكانية مختلفة، نتوقع أن يكون التباين بين المجموعات أكبر بمرات عديدة من التباين ضمن كل مجموعة. وفي تحليل التباين، فإن هذه النسبة تحسب وتسمى نسبة - F . وإذا كانت نسبة - F تساوي ٥,٥، فإن هذا يعني أن التباين بين المجموعات في التجربة أكبر بنسبة ٥.٥ من التباين ضمن المجموعات. وحتى نعرف إذا كانت ٥,٥ قيمة كبيرة لدرجة تسمح لنا برفض فرضية الإبطال، فنحتاج للرجوع إلى جدول يحوي نسب F، والذي نستطيع منه الحصول على مستوى الفرق المعنوي المرتبط بعلامة - F المعنية.(١٧)

ويرجعنا تطبيق مثال لتحليل التباين أحادي الاتجاه على مسألة في علم اللغة الاجتماعي إلى عمل ميلروي عن التباين الفونولوجي في بلفاست. ففي نقاشنا لاختبار- ت، اختبرنا فرضية أن الرجال والنساء في بلفاست هم من تجمعين سكانيين مختلفين بالنسبة للاختلاف في استخدام الصائت في كلمة "hut". واستخدمت ميلروي عند مناقشتها عملها تحليلَ التباين كوسيلتها لاختبار الفرضية نفسها(ميلروي، ١٩٨٠، ص ص ١٢٢-٣). وكانت المتغيرات التابعة هي استخدام الصائت، أي نسبة استخدام المتغير المحلي، والتي قيست بمقياس نسبي (النسبة المئوية). وكانت الخاصية المستقلة هي الجنس، بمستوييها المعروفين. وكانت نسبة F التي حسبتها ميلروي هي ٣٨، ٦. فالتباين بين المتحدثين والمتحدثات كان أكبر ست مرات من التباين ضمن كل مجموعة على حدة. وهذه النسبة معنوية بقيمة احتمال < ٠٥، ٠ وكنتيجة لذلك كانت ميلروي قادرة على رفض فرضية الإبطال.

ومن الممكن أنك لاحظت أن مستوى الفرق المعنوي لتحليل التباين كان أقل

من مستوى الفرضية نفسها المختبرة باختبار- ت. فقد كان مستوى الفرق المعنوي بقيمة احتمال < ٠.٠١ في اختبار- ت، بينما كان بقيمة احتمال < ٠.٠٥ في تحليل التباين. وإذا اختيرت قيمة احتمال < ٠.٠١ كالمستوى الأدنى للفرق المعنوي المطلوب لرفض فرضية الإبطال (فرضية أن الرجال والنساء لا يشكلون تجمعين سكانيين مختلفين بالنسبة لمتغير الصائت)، وقررت استخدام اختبار -ت، فإنك ستكون قادرا على رفض فرضية الإبطال. ومن جهة أخرى، لو استخدمت تحليل التباين، فإن نسبة F الناتجة لن تكون كبيرة بما فيه الكفاية لتسمح لنا برفض فرضية الإبطال نفسها. وتحليل التباين أقوى، ويقصد بالقوة هنا المصطلح المتخصص الذي يعني احتمالية رفض فرضية الإبطال الخاطئة فعلا (شافلسون، ١٩٨١، ص ٣٥٥). فإذا كان الرجال والنساء في بلفاست ليسوا فعلا تجمعين سكانيين منفصلين فيما يتعلق بالتباين في الصائت في كلمات مثل "hut" فمن الأسهل الوصول لتلك النتيجة باستخدام تحليل التباين منه باستخدام اختبار- ت.(١٨)

وفي تحليل التباين العاملي، يستخدم أكثر من خاصية ممكنة التسمية لتعريف المجموعات. فقد شملت بعض تحاليل ميلروي مجموعات ليست حسب الجنس فقط، وإنما أيضا حسب العمر (ميلروي، ١٩٨٠، ص ص ١٢١ -٣٠). وقد تعاملت في عملها مع العمر كخاصية ممكنة التسمية، وذلك بتصنيفها إلى مجموعتين (تميز بين ١٩-٢٥ سنة وبين ٤٠- ٥٥ سنة) وقد مكنها هذا من تقسيم سكانها إلى أربع مجموعات لأغراض تحليل التباين العاملي. وكانت المجموعات الأربع، هي: النساء الشابات، والنساء الأكبر سنا ، والرجال الشباب، والرجال الأكبر سنا. ويسمح تحليل التباين العاملي بمقارنة الاختلاف بين كل من هذه المجموعات مع الاختلاف ضمن هذه المجموعات. والنتيجة النهائية هي نسبة F، كما هو الحال في التصميم أحادي الاتجاه. وتمكن نسب- F من اختبار الفرضيات القائلة بأن مجموعات العمر هي

تجمعات سكانية مختلفة بالنسبة لعلامات تلفظ الصائت مستقلة عن جنس المتحدث، وأن مجموعات الجنس هي أيضا تجمعات سكانية مختلفة مستقلة عن العمر. وتسمى هذه الفرضيات – أي تلك التي تشمل الخصائص الممكن تسميتها والتي تعرف المجموعات- بالآثار الرئيسة. ولكن يسمح تحليل التباين العاملي أيضا باختبار آثار التفاعل. فإذا كان أثر التفاعل ملحوظا، فهذا يعني أن المتغير التابع قد تأثر باتحاد من متغيرين مستقلين أو أكثر، وذلك التأثر منفصل تماما عن الأثر الخاص بكل متغير مستقل. وفي الواقع، لم يكن الأثر الرئيسي لكل من الجنس والعمر ملحوظا في حالة أحد متغيرات الصائت الذي اختبرته ميلروي، ولكن التفاعل بينهما كان ملحوظا تماما. وهذا يخبرنا أن ليس للعمر أو الجنس أي تأثير ملحوظ، كل على حدة، في نطق هذا الصائت المعين. ولكن اتحاد هذين العاملين وعملهما مع بعضهما ذو أثر ملحوظ. وكما اتضح فإن ما يحدث في هذه الحالة يدل على أنه لا يوجد هناك أي شيء غير عادي حول استخدام الصائت من قبل الرجال الشباب، أو النساء الشابات، أو الرجال الأكبر سنا. ولكن أظهرت مجموعة النساء الأكبر سنا نمطا مختلفا عن كل من الرجال من العمر نفسه وعن النساء الشابات. ومن هنا أتى التفاعل الملحوظ (ميلروي ١٩٨٠، ص ص ١٢٥ -٩).

متى نستخدم تحليل التباين.

متطلبات البيانـات لتحليل التباين أحادي الاتجاه هي المتطلبات نفسها التي شرحتها لاختبار -ت. أما في تحليل التباين العاملي، فإن عينة كبيرة تقسم بواسطة خاصيتين ممكنتي التسمية أو أكثر في الوقت نفسه. وفي مثالنا المأخوذ من عمل ميلروي قسمت عينة بلفاست بواسطة خاصية العمر الممكنة التسمية (كبار السن أو الشباب) وخاصية الجنس (ذكور أو إناث) بحيث يكون كل متحدث ذكر إما من الشباب وإما

من كبار السن، والشيء نفسه ينطبق على المتحدثات من النساء. ولكل عضو من العينة بأكملها لديك قياس يهمك بالنسبة لخاصية معينة على مقياس نسبي أو فاصلي. ففي المثال، كانت الخاصية تلفظ الصائت، وقيست كنسبة مئوية. وكما هو الحال في اختبار -ت، فالخاصيات ممكنة التسمية، والتي تقسم العينة هي متغيرات مستقلة (مجمعة)، والخاصية ممكنة القياس هي المتغير التابع.

الفرضية. ستكون فرضية تحليل التباين أحادي الاتجاه مشابهة فرضية اختبار- ت. باستثناء أنه يمكن اختبار أكثر من مجموعتين في الوقت نفسه. ونريد في تحليل التباين العاملي أن نعرف ما إذا كانت مجموعة فرعية واحدة على الأقل من كامل العينة والتي تمتلك خاصية ممكنة التسمية ومعرفة تختلف عن المجموعات الفرعية الأخرى بالنسبة للخاصية ممكنة القياس لدرجة أنه يمكن اعتبارها إحصائيا كتجمع سكاني مختلف. وأردنا في مثالنا أن نعرف إذا كان الإناث والذكور تجمعين سكانيين مختلفين، فيما يتعلق بالنسبة المئوية لتلفظ الصوائت المحلية في حديثهم. وأردنا أيضا معرفة إذا كان المتحدثون من الكبار أو الشباب تجمعين سكانيين مختلفين. وبصياغة أقل تخصصية، فإننا كنا مهتمين بمعرفة ما إذا كان تلفظ الصوائت يختلف بشكل ملحوظ باختلاف العمر والجنس. ويتعامل هذا الجزء من تحليل التباين العاملي مع الآثار الرئيسة. ونستطيع أيضا معرفة ما إذا كانت مجموعة واحدة من المجموعات الفرعية الصغيرة على الأقل المعرفة عن طريق أكثر من خاصية ممكنة التسمية تختلف بشكل ملحوظ عن المجموعات الأخرى. وقد وجدنا في مثالنا أن المجموعة الفرعية، وهي المتحدثات الإناث والأكبر سنا، كانت مختلفة بشكل ملحوظ في تعاملها مع متغير الصائت قيد البحث عن بقية المجموعات الفرعية الأخرى المعرفة بالعمر والجنس. وعندما تستخدم أكثر من خاصية معرفة في الوقت نفسه فنكون عندها نتعامل مع أثر التفاعل.[١٩]

الارتباط

وأخر إجراء إحصائي سنناقشه هو الارتباط. والارتباط هو إجراء لتحديد مدى الاختلاف بين خاصيتين أو أكثر في تجمع سكاني معين. وبالعودة سريعا إلى مثال استخدمته سابقا، تخيل أن لدينا مقاييس للطول والوزن لمجموعة من ١٠٠ طفل بين عمر ٥ سنوات و ١٥ سنة. وقد نتوقع أن الأطفال الأطول هم أيضا أثقل وزنا وأن الأطفال الأقصر سيكونون أقل وزنا. وإذا رتبنا جميع الأطفال بحسب الطول، فإنهم وبطريقة آلية سيرتبون بحسب الوزن. وهذا مثال للارتباط الإيجابي، فمن المحتمل أن الصغير الأطول سيكون أيضا أثقل، وبالعكس. ولو أخذنا الأطفال أنفسهم وقارنا خاصيتين مختلفتين، هما في هذه المرة خاصية العمر والوقت الذي يستغرقه الطفل في ركض ٥٠ مترا، فإننا نتوقع ارتباطا سلبيا. وإجمالا، فالأطفال الأكبر سنا سيكونون قادرين على ركض ٥٠ مترا في فترة زمنية أقل من الأطفال الأصغر سنا. وفي كلتا الحالتين فقد لا يكون الارتباط بالضرورة تاما. فقد يكون هناك لبعض الأطفال الصغار في السن والأقصر وزن أثقل من طفل أطول، وأيضا سيكون هناك قليل من الأطفال الأكبر سنا الذين يستغرقون وقتا أطول في ركض ٥٠ مترا مما يستغرقه بعض الأطفال الأصغر سنا. ويعطي الارتباط مقياسا لمدى اختلاف خاصية عن الأخرى. فإذا اختلفتا تماما في الاتجاه الإيجابي، فإننا سنحصل على معامل ارتباط يساوي + ١,٠٠ . أما إذا اختلفتا في الاتجاه المعاكس عن بعضهما، فإن معامل الارتباط سيكون – ١,٠٠. وإذا لم ترتبطا ببعضهما على الإطلاق، فإن معامل الارتباط يساوي ٠,٠٠ . ولذا تتراوح قيمة معامل الارتباط بين – ١,٠٠ إلى + ١,٠٠. وعلى سبيل المثال، إذا كان معامل الارتباط يساوي ٠,٨٣ ، فإن هذا يعني ارتباطا إيجابيا قويا جدا، أما القيمة - ٠,٥٣ فتعني ارتباطا سلبيا معتدلا.

ويسمى إجراء الارتباط الذي وصفته *بارتباط بيرسون لقيمة الناتج*، ويسمى

أحيانا معامل الارتباط الناتج عنه ر *البيرسونية* أو فقط ر *بيرسون*، طريقة إحصائية معيارية؛ ولذا فهي تتطلب أن تكون كل من الخاصيتين المترابطتين من النوع الممكن قياسه. وهناك أيضا إجراء ارتباط غير معياري سنناقشه بعد قليل.

ويمكننا استخدام البيانات في جدول رقم (٤،٤) لشرح فائدة الارتباط. وأتت هذه البيانات من دراسة عن مدى مفهومية "لغة التواصل المحلية" في جزيرة نوفولك، وهي تابعة لاستراليا وتقع في المحيط الهادي الجنوبي (فلينت، ١٩٧٩م). فحص فلينت مفهومية ١٧ حوارا من هذا الضرب اللغوي، وهي لغة مزيج تعتمد في أساسها على الإنجليزية، وذلك عن طريق استماع أصلي للإنجليزية الأسترالية إلى هذه الحوارات وتقرير ما إذا كان المعنى مفهوما لكل جملة على حدة. وكان هذا الشخص عالم لسانيات على معرفة باللغات المزيج، ولكن ليست هذه اللغة المزيج بالذات. ثم قورنت هذه التقديرات بخصائص أخرى في الحوار، بما فيها نسبة الكلمات الشقيقة للإنجليزية، والتي تقترب في معناها من معنى الكلمة في الإنجليزية النموذجية. ويعرض الجدول رقم (٤،٤) هذه الحوارات حسب تقديرات نسبة مفهوميتها. وبتفحص بند "نسبة الكلمات الإنجليزية" يتبين أن الحوارات ليست مرتبة بحسب هذا التصنيف، ولكن بالتفحص عن كثب، نجد أن هناك علاقة ما بينها. فقد كان تقدير متوسط المفهومية هو ٥٩،٤٦، وطبيعيا، فإن الحوارات الثمانية الأولى أعلى من هذا المتوسط. وكان متوسط نسبة الكلمات الإنجليزية هو ٩١،٠٥ . وكانت نسبة الكلمات الإنجليزية أعلى من المتوسط في سبعة من الحوارات الثمانية الأولى. ولذا فهناك ميول للحوارات ذات المفهومية الأعلى لأن تكون فيها نسبة عالية نوعا ما من الكلمات الإنجليزية. ولكن ماهي قوة هذه العلاقة؟ ومعامل الارتباط مصمم للإجابة على هذا السؤال. وقيمة ر للبيانات في جدول رقم (٤،٤) هي + ٠،٥٤٤ .

وعلى خلاف الإجراءات الإحصائية الأخرى التي درسناها، فمن الممكن

تفسير مقدار قيمة ر بالحكم عن طريق التجربة العملية. والتالي نظام تفسير نموذجي (من قلفورد Guilford ، ١٩٥٦م، ص ١٤٥ ، والذي استشهد به ويليمز Williams ، ١٩٦٨م، ص ١٣٤): [٢٠]

٠,١٠ - ٠,٢٠	قليل جدا، علاقة يمكن إهمالها تقريبا.
٠,٢٠ - ٠,٤٠	ارتباط منخفض، علاقة موجودة ولكنها قليلة
٠,٤٠ - ٠,٧٠	ارتباط معتدل، علاقة كبيرة نوعا ما
٠,٧٠ - ٠,٩٠	ارتباط عال، علاقة موسومة
٠,٩٠ - ٠,٩٩	ارتباط عالٍ جدا، علاقة معتمدة جدا

وبناء عليه فإن العلاقة بين المفهومية ونسبة الكلمات الإنجليزية في حوارات جزيرة نورفولك هي علاقة أساسية تظهر ارتباطا معتدلا. ولكن هذا التفسير عديم الفائدة إذا كان معامل الارتباط هذا ناجما عن خطأ في اختيار العينة فقط. وإذا كان هناك احتمال كبير كاف للدرجة أننا قد حصلنا على معامل ارتباط للعينة يساوي ٠,٥٤٤ حتى ولو كانت قيمة التجمع السكاني صفرا؛ لذا فعلينا تجاهل ارتباط العينة. ونستخدم لاختبار هذا تطبيقا خاصا لاختبار -ت، وذلك لفحص ما إذا كانت قيمة ر تختلف بشكل ملحوظ عن الصفر. وبالطبع، فإن رقم فرضية البحث هي أن قيمتنا تختلف بشكل ملحوظ جدا عن الصفر (في هذه الحالة، أكبر من الصفر)، وفرضية الإبطال هي أنها تساوي الصفر، وهذا يعني عدم وجود ارتباط حقيقي. ويعطي حساب اختبار -ت قيمة معنوية بقيمة احتمال < ٠,٠٥ وهذا مستوى مقبول.

وعندما نكون قد أثبتنا الاختلاف المعنوي لمعامل الارتباط ، فإنه يمكن قبول التفسير أيضا. ولمعامل الارتباط استخدام آخر مفيد، بالإضافة إلى إعطاء مؤشر عن قوة العلاقة . ويعطي تربيع ر إحصاءً آخر هو ر٢ ، وقيمة ر٢ هي مقياس لكمية التباين

التي تشترك فيها قياسات كلتا الخاصيتين. وعادة ما يضرب في ١٠٠، ويذكر كنسبة مئوية للتباين في أحد المقياسين الذي يشرحه أو يعلله الآخر (شافلسون، ١٩٨١م، ص ٢٠٣). وفي حالة حوارات جزيرة نورفولك، نستطيع القول بناءً على هذا الأساس أن ٢٩،٦٪ من التباين في المفهومية يشرحه التباين الموجود في النسبة المئوية للكلمات الإنجليزية.

الجدول رقم (٤،٤). النسبة المئوية للمفهومية والنسبة المئوية للكلمات الإنجليزية في ١٧ حوارا لجزيرة نوفولك.

رقم الحوار	النسبة المئوية للمفهومية	النسبة المئوية للكلمات الإنجليزية
٩	٧٩،٧	٩٣،٩
١١	٧٩،١	٩٥،٥
١٧	٧٥،٦	٩٤،٣
١٢	٧٤،٩	٩٧،٨
١٦	٦٨،٩	٨٧،٣
١٣	٦٥،٦	٩٣،٥
١٥	٦٥،٥	٩٢،٠
٧	٦٢،٢	٩٥،٣
٩	٥٩،١	٨٧،٧
١٠	٥٨،٨	٩٣،٦
٥	٥٦،٠	٨٥،٩
٤	٥٥،٥	٩١،٠
٣	٥٣،٤	٨٤،٦
٨	٥٠،٤	٩٠،٥
٦	٤٣،٦	٨٥،٦
٢	٣٤،١	٩٠،٦
١	٣٢،٥	٨٩،٥

المصدر: البيانات من فلنت (١٩٧٩) ص ٣٢٠-٢١.

وكالعادة، يجب توخي الحذر في الوصول إلى خلاصات ثانوية. وكل ما أثبتناه من إجراءنا الإحصائي هو: (١) أن هناك علاقة إيجابية وثيقة بين المفهومية والنسبة المئوية للكلمات الإنجليزية، (٢) أن معامل الارتباط الذي حسبناه لا يبدو أنه نتيجة خطأ في اختبار العينة، (٣) وأن ٢٩,٥٪ من التباين في المقياسين هو تباين مشترك. ولم نبين أي شيء يخص سبب هذه العلاقة. وفي هذه الحالة الخاصة، فمن المنطقي القول بأن الحوار سيكون مفهوما لمتحدث إنجليزي، ويعود سبب ذلك جزئيا إلى درجة وجود كلمات إنجليزية فيه. وليس من المنطقي القول بأن نسبة الكلمات الإنجليزية التي يحتويها الحوار عائدة بشكل جزئي إلى درجة مفهوميتها. وسبب ثالث محتمل لهذه العلاقة من الممكن قبوله كتفسير وهو أن هناك قوة ثالثة معينة ينتج عنها كل من المفهومية ونسبة الكلمات الإنجليزية، ويبدو مسوغا أن نفسر نتائجنا وفقا للطريقة الأولى المقترحة. وبمعنى آخر، يبدو من المنطقي القول بأن ٣٠٪ من مفهومية حوار جزيرة نورفولك من قبل متحدث للإنجليزية النموذجية يرجع إلى وجود الكلمات المألوفة. ولكن لن يكون الشيء نفسه صحيحا لمثالنا الافتراضي عن أطوال الأطفال وأوزانهم. فإذا كان هناك ارتباط عال (وهذا سيكون دون شك)، فلن نستطيع استنتاج أن نمو الأطفال طولا يجعلهم أكثر وزنا، أو أن زيادة وزنهم تجعلهم أطول. وتسير الخاصيتان مع بعضهما بسبب تأثير عامل ثالث، هو النضج البدني.

وهناك إجراء ارتباط آخر يستخدم عندما يكون واحد من المقاييس على الأقل من النوع الترتيبي. تخيل ترتيب الواصلين لخط النهاية في سباق ماراثون في بوسطن وسباق مارثون آخر في نيويورك لخمسة وعشرين متسابقا جروا في كلا السباقين، ولكن ليس لدينا الوقت الذي استغرقه كل متسابق. تذكر أن هذا يعني أننا نعلم أن الفائز الثالث قد وصل قبل الفائز الرابع، وأن الخامس قد وصل قبل السادس. ولكن قد يكون الفائز الثالث قد قطع المسافة إلى خط النهاية متقدما على الذين بعده

بدقيقتين أو ثلاث، بينما الفائز الخامس لم يكد يتقدم على السادس إلا بصعوبة. ويجب علينا التعامل مع بيانات ترتيب الوصول إلى خط النهاية كبيانات ترتيبية أكثر منها فاصلية أو نسبية. وقد يكون الارتباط الذي نريد حسابه لترتيب الفوز في كلا السباقين هو ارتباط ترتيب سبيرمان الرتبي. ويعطي إجراء الارتباط غير المعياري هذا قيمة تسمى سبيرمان رو (rho) ويرمز له (P)، والتي تفسر كتفسير البيرسونية، ولكن حساباتها مقيدة بالعمليات الرياضية المتاحة للبيانات الترتيبية.

وكمثال سنعود إلى بحث ميلروي عن بلفاست. حيث استخدمت ميلروي بالإضافة إلى المقاييس الفاصلية والنسبية للمتغيرات الفونولوجية والبيانات الاسمية عن الجنس والعمر علامة لقوة الشبكة، والتي من الأفضل تفسيرها كمقياس ترتيبي. وصممت علامة قوة الشبكة لتعطي قياسا كميا لدرجة قوة العلاقة الاجتماعية للفرد داخل جماعته. ومن الممكن توقع أن الفرد الذي يمتلك علامة عالية لقوة الشبكة سيكون محكوما إلى درجة كبيرة بمعايير الجماعة، بما فيها المعايير اللغوية. وقد قاد هذا إلى الفرضية بأنه من الممكن وجود ارتباط إيجابي بين المؤشرات الفونولوجية وعلامات قوة الشبكة، بحيث صممت المؤشرات الفونولوجية لتعني أن القيم العليا تعني استخداما أكثر للأشكال اللغوية المحلية. بينما كانت علامة الشبكة تعتمد على خمسة شروط، مثل "وجود روابط قرابة كبيرة تعيش في الجوار" و"العمل في المكان نفسه الذي يعمل به على الأقل شخصان آخران من المنطقة نفسها". وتسمح هذه الشروط الخمسة بوجود مقياس ذي ست درجات، بحيث أعطيت القيمة (صفر) لأي فرد لا تتحقق فيه أي من الشروط (ميلروي، ١٩٨٠م، ص ص ١٣٩ - ٤٤). وطالما أنه لا يوجد هناك سبب خاص للاعتقاد بأنه يكون لكل شرط من الشروط الخمسة القيمة نفسها كمؤشر لقوة الشبكة، لذلك فالمقياس الناتج هو مقياس ترتيبي فقط. فمن المعقول الاعتقاد بأن الفرد المعطى ٤ درجات على المقياس هو مرتبط بقيم الجماعة

أكثر من الفرد المعطى ٣ درجات، ولكن ليس هناك سبب للاعتقاد بأن المسافة بين ٤ و ٣ مثلا، هو الفاصل نفسه بالضبط بين ٢ و ١.

وجدول رقم (٤,٥) هو بيانات ارتباط بين قوة الشبكة ومؤشر أحد المتغيرين الصائتين لثماني عشرة امرأة من بلفاست. والصائت هو المتغير (أ) يعود على الصائت في كلمة "hat". ومتغيرات الصائت ليست مهمة لأغراضنا، باستثناء أن المؤشر يرتبط بمقياس صوتي ذي خمس درجات (المقياس ليس نسبة مئوية)، وتعني القيم العالية استخداما أكثر فأكثر للتلفظات المحلية الدارجة. وعندما يرتب المتحدثون طبقا لمؤشرات

الجدول رقم (٤,٥). مؤشر (أ) وعلامة قوة الشبكة لثماني عشرة امرأة من بلفاست.

المتحدثة	مؤشر (أ)	علامة قوة الشبكة
١	٢,٧٨	٢
٢	٢,٧٤	٥
٣	٢,٧٠	٥
٤	٢,٦٣	٢
٥	٢,٥٠	٣
٦	٢,٤٨	٣
٧	٢,٤٢	١
٨	٢,٣٨	١
٩	٢,٣٥	٤
١٠	٢,٣٣	٥
١١	٢,٣٣	٣
١٢	٢,٢٥	٢
١٣	٢,١٦	١
١٤	٢,١٣	١
١٥	١,٧٥	١
١٦	١,٧٣	١
١٧	١,٤٥	٠
١٨	١,٠٥	٠

الصائت التي استخدموها، نرى أن القيم العليا على مقياس الشبكة تميل إلى التجمع حول أعلى المقياس، والقيم الدنيا حول أسفل المقياس. وكان معامل سبيرمان P الذي حسبته ميلروي (١٩٨٠، ص ١٥٥) هو ٠,٦٨٣ وهذه علاقة معتدلة أساسية أخرى. وقد حصلت ميلروي باختبار المعامل باستخدام اختبار ت على قيمة معنوية بدرجة احتمال < ٠,٠١ . ويمكن رفض فرضية أن ارتباط السكان هو صفر (فرضية الإبطال)، وقبول فرضية البحث، وفرضية ثانوية منطقية هي أن النساء في بلفاست يملن لاستخدام لكنة محلية موسومة أكثر (على الأقل فيما يخص هذا الصائت) كلما كن مخلصات لمعايير جماعتهن المحلية، ويعتبر هذا الميل أساسيا.[٢١]

متى نستخدم ارتباط بيرسون لقيمة الناتج.

متطلبات البيانات. بالنسبة للارتباطات يكون لديك فقط عينة واحدة، وهي غير مقسمة إلى مجموعات فرعية. بدلا من هذا، سيكون لديك مقاييس لخاصيتين للعينة نفسها. ولاستخدام ارتباط بيرسون لقيمة الناتج يجب أن تكون كلتا الخاصيتين ممكنة القياس على مقياس نسبي أو فاصلي. وفي بيانات جزيرة نورفولك، تكونت العينة من حوارت، وقيس كل حوار على مقياس نسبي لخاصتين، هما النسبة المئوية للكلمات الإنجليزية والنسبة المئوية للمفهومية.

الفرضية. عند استخدام ر البيرسونية، فإننا نختبر فرضية أن في المقياسين نسبة كبيرة من التباين المشترك. وبشكل غير رسمي أكثر، فإننا نحاول اكتشاف المدى الذي تسير فيه الخاصيتان مع بعضهما في العينة (أو تسيران باتجاهين متعاكسين). ويجب اختبار القيمة الناتجة عن ارتباط بيرسون لقيمة الناتج، وهي معامل الارتباط، لمعرفة الفرق المعنوي

باستخدام اختبار -ت، وتفسر بعد ذلك بشكل عملي. وقد سارت نسبتا الكلمات الإنجليزية والمفهومية مع بعضهما في الاتجاه نفسه في حوارات جزيرة نورفولك بدرجة معتدلة، ولكنها مهمة.

متى تستخدم ارتباط ترتيب سبيرمان الرتبي.

متطلبات البيانات. كما في إجراء بيرسون، فلدينا مقاييس لخاصيتين للعينة نفسها. ولكن في إجراء سبيرمان فإن الخصائص تقاس على مقياس ترتيبي فقط. بمعنى آخر، أننا نعلم كيف رتب أفراد العينة وفقا للخصائص، ولكن ليس لدينا أي معلومات عن المسافة بين فرد وآخر. وفي الغالب يكون لدينا في الواقع بيانات فاصلية أو نسبية لإحدى الخاصيتين وبيانات ترتيبية فقط للخاصية الأخرى. وتعامل البيانات الفاصلية أو النسبية كما لو أنها كانت بيانات ترتيبية. وفي بيانات بلفاست، كان لدينا نفس المتحدثين مرتبين حسب قوة الشبكة (وهو مقياس ترتيبي) وحسب النسبة المئوية لتلفظ الصائت المحلي (وهو مقياس نسبي عومل على أنه مقياس ترتيبي).

الفرضية. باستخدام ارتباط ترتيب سبيرمان الرتبي ، فإننا نحاول معرفة إلى أي مدى ترتبت عينتنا بنفس الترتيب (أو العكس)حسب هاتين الخاصيتين. ومثل إجراء بيرسون، فيجب اختبار النتيجة للفرق المعنوي باختبار- ت، ومن ثم تفسر. وجدت ميلروي أن النساء في بلفاست حصلن على نفس الترتيب حسب قوة الشبكة وحسب تلفظهم للمتغير المحلي (أ) إلى مدى معتدل، ولكنه مهم.

استخدام الإجراءات الإحصائية

حاولت أن أشرح طريقة عمل الإحصاء بأوضح طريقة ممكنة حتى يتسنى

للقارىء فهم الإشارات إلى الأساليب الإحصائية في الكتب والمقالات المتعلقة بأبحاث علم اللغة الاجتماعي. ولا توجد في هذا الفصل معلومات كافية لتمكين القارىء من تطبيق الإجراءات الإحصائية على بحثه. ولكن قد يرغب بعض القراء في تجريب التعامل مع الإحصاء في أعمالهم الخاصة، حتى ولو كان ذلك مشروعا بحثيا صغيرا يدوم لبضعة أسابيع فقط. وهناك العديد من الكتب الإحصائية المتوفرة، والتي تغطي مقدمات في الإحصاء، والعديد منها ممتاز. ولقد خرج مؤلفو ثلاثة من الكتب الحديثة عن المألوف وذلك لإيضاح الإجراءات الإحصائية للقراء غير المبتدئين، فقد كتب انشن (١٩٧٨م) لعلماء اللسانيات خصيصا، وكتابه واضح وشيق، ولكنه مختصر جدا ويحذف تفاصيل مهمة وبعض الإجراءات الإحصائية شائعة الاستخدام. ومناقشته لاختبار مربع كاي واضحة لدرجة أنه يمكنك استخدام الاختبار باتباع تعليماته. وكتاب هاتش وفرهدي (١٩٨٢م) واضح جدا وسهل، ولكنه أكثر تعمقا من الكتاب السابق. وقد كتب بشكلٍ رئيسي لعلماء علم اللغة التطبيقي، ولكن الكثير من الأمثلة التي استخدمها المؤلفان تشبه بعض المواضيع في هذا الكتاب. ولا يضاهي كتاب شافلسون (١٩٨١م) لتعمقه ولعدم تضحيته بالوضوح ولسهولة أسلوبه. فهو موجه للعلوم السلوكية على العموم، ولكن لبعض من أمثلته أهمية مباشرة لعلم اللغة الاجتماعي. وبالرغم من أن كلا من الكتب الثلاثة قد كتب بشكلٍ جيد، إلا أن كل كتاب ذكرته يطلب من القارىء أكثر مما يطلبه الكتاب السابق، ولكنه في المقابل، يقدم أفقا أوسع ومناقشة أعمق.

أما بالنسبة للقراء المحتاجين للقيام بالعمليات الإحصائية باستخدام القلم وبمساعدة آلة الجيب الحاسبة، فإن كتاب يوكر Yuker (١٩٥٨م) لا يقدر بثمن. ويقدم يوكر تعليمات للحساب خطوة بخطوة لمربع كاي، واختبار -ت، ونوعي الارتباط، وهو بهذا جعلها أبسط ما تكون. ولتحليل التباين يلزمك الاعتماد على

هاتش وفرهدي (١٩٨٢م)، أو شافلسون (١٩٨١م)، أو أي كتاب تمهيدي آخر في الإحصاء.

واستخدام الحاسب الآلي يكاد يكون ضرورة حتمية للأبحاث المتوسطة والكبيرة. ويعتبر ميني تاب Minitab من برامج الحاسب الآلي سهلة التعلم والمحتوية على مجموعة كبيرة من الطرق الاحصائية، والمتوفر في العديد من مراكز الحاسب الآلي في الجامعات. ويقبل برنامج ميني تاب عبارات بالإنجليزية الواضحة، ويصاحبه كتاب مرشد مفيد جدا للمستخدم (رايان وجوينر وجوينر Ryan, Joiner and Joiner، ١٩٧٦م). وميني تاب محدود نسبيا بالنسبة لكمية البيانات التي يتقبلها ولقوة الإجراءات الإحصائية المدخلة إليه. وهناك مجموعتان متوفرتان بكثرة، وهما المجموعة الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Science- SPSS ونظام التحليل الإحصائي Statistical Analysis System - SAS، ولكليهما قدرة أكبر من قدرة ميني تاب، ولكنهما أكثر تعقيدا بعض الشيء لإتقانهما. ولكل منهما كتاب مرشد (ني وآخرون Nie et al.، ١٩٧٥م لـ SPSS ، والكتاب المرشد SAS User's Guide، ١٩٧٩م) وقد بين هاتش وفرهدي كيفية تنفيذ كل من الإجراءات الإحصائية التي ناقشوها باستخدام SPSS ، ولكنهم يفترضون أن القارىء ملم باستخدام هذه المجموعات. و لـ SAS مرشد تمهيدي مفيد وواضح (هلويق Helwig، ١٩٧٨م)، وهو مصمم لتغطية قدرات النظام فقط التي يحتاجها معظم المستخدمين، ويشاد بالنظام أيضا على قدرته بالرسوم البيانية. وقد يجد المستخدمون الجدد لتطبيقات الحاسب الآلي أن هذه الأنظمة أقل مهابة مما كانوا يعتقدون. ويوجد في مجموعة بيانات الطب الأحيائي Bio-Medical Data Package، والمتوفر في بعض تركيبات الحاسبات الآلية، قدرات لا توجد في SPSS ولا في SAS، ويتوفر في بعض الحاسبات الشخصية الصغيرة متنامية الشهرة مثل: Radio Shack TRS-80 Model

III، وapple II Plus، و Computer The IBM Personal، و BBC Computer ، برامج مجموعات إحصائية، مما يجعل استخدامها للقيام بالتحليل الإحصائي أمرا سهلا نسبيا.

حتى ولو كانت تقنية الحاسب الآلي هذه غير متوافرة، فمن الممكن القيام بالحسابات الإحصائية بطريقة أقل رتابة باستخدام آلة حاسبة قادرة على حساب المتوسط الحسابي والتباين(الجذر التربيعي للانحراف النموذجي) بطريقة آلية. وأفضل من ذلك آلة حاسبة يمكن برمجتها للقيام بحسابات متكررة بنفسها. ويتوفر نوع أو نوعان من الحسابات الآلية الجيبية، ولكنها محدودة القدرة مقارنة بالحاسبات الشخصية الصغيرة، ولكنها أقوى من الآلات الحاسبة المبرمجة.

خلاصة

لا تسمح النتائج المقاسة عادة للنشاط البحثي في علم اللغة الاجتماعي بإعطاء نتائج معتمدة فقط على تفحص الأرقام. ويحتاج إلى أسلوب منظم لتمييز الاختلافات الرقمية الصالحة من تلك التي تنجم عن عوامل عشوائية بحتة. ويقدم لنا الإحصاء الوسائل لتحقيق ذلك.

ويقوم الاستخدامان الأساسيان للإحصاء على مفاهيم أربعة، هي: السكان، والخصائص، والقياس الكمي، والتوزيع. وأحد هذه الاستخدامات هو الوصف. ويعطي الإحصاء الوصفي، مثل المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، صورة إحصائية كلية لمجموعة من البيانات المقاسة. وأهم استخدام للإحصاء يتمثل في اختبار الفرضية، وهو مجموعة من الإجراءات تسمح للباحث إثبات صلاحية أنواع معينة من الفرضيات بدرجة ثقة معينة. وقد نوقشت أربع إجراءات لاختبار الفرضية، وهي: اختبار مربع كاي، واختبار -ت، وتحليل التباين، والارتباط. ومن بين الأنواع الثلاثة

الأولى، فإن اختبار مربع كاي هو اختبار لا معياري، فهو يتطلب خصائص ممكنة التسمية مقاسة بمقياس اسمي. أما اختبار -ت وتحليل التباين، فهما إجراءان معياريان، وهما يتطلبان أن يكون المتغير التابع خاصية ممكنة القياس على مقياس فاصلي أو نسبي. ومن الممكن استخدام كلا الإجراءين لاختبار فرضيات تتعلق بالفرق المعنوي للتمييز بين تجمعين سكانيين أو مجموعات فرعية من تجمع سكاني واحد. ومن بين هذين الإجراءين فإن تحليل التباين هو الإجراء الأقوى والأكثر تعددية في الاستخدام.

ويقيس الارتباط قوة العلاقات المتبادلة واتجاهها بين خاصيتين للسكان . وتقود هذه الإجراءات إلى معامل ارتباط، والذي يجب اختباره باستخدام اختبار -ت لمعرفة الفرق المعنوي. وهناك طريقتان للارتباط: الأولى هي طريقة ارتباط بيرسون لقيمة الناتج التي تستخدم عندما تكون الصفتان المفترض ارتباطهما مقاستين كلتيهما على مقياس فاصلي أو نسبي. وتستخدم الطريقة الأخرى، وهي ارتباط سبيرمان الترتيبي، عندما يكون هناك على الأقل إحدى الخصائص المرتبطة قد قيست على مقياس ترتيبي.

هوامش

(١) هذا صحيح إذا كنا مهتمين فقط بالموقع الجغرافي، ولكن ليس "بالإفريقية" كمفهوم. واعتقد أن من المرجح أن الأمريكيين الشماليين على أدنى تقدير يعتبرون الدول الأفريقية الواقعة على الصحارى أكثر إفريقية من دول شمال إفريقيا.

(٢) يرمز عادة للمتوسط الحسابي بالرمز س، فمثلا س= ٢,٤١، وتعني أن "المتوسط الحسابي هو ٢,٤١".

(٣) يحسب الانحراف المعياري بالإجراء التالي: أولا ، يحسب المتوسط الحسابي ، ثم يحسب الفرق بين كل علامة والمتوسط الحسابي (وستكون بعض هذه الفروق موجبة وبعضها سالبة. ولكن يجب أن يساوي مجموعها صفرا)، ثم يربع كل فرق ، وتجمع التربيعات ، ومن ثمّ يقسم ناتج الجمع على عدد العلامات مطروحا منه ١ ، وأخيرا يحسب الجذر التربيعي لتلك النتيجة.

(٤) بالطبع فاستطلاعات الرأى تبنى على العينات وليس على السكان بأكملهم ، وهذا هو السبب في أن نتائج الاستطلاع عادة ما تنشر بمدى خطأ مصاحب لها ، ويشبه مدى الخطأ العبارة التي قيلت هنا. افترض أن هناك استطلاعا للرأي يتعلق بالانتخابات ، وأن الاستطلاع بين أن النائب سميث سيهزم الحاكم جوتز في الانتخابات الرئاسية بنسبة ثلاث نقاط مئوية. ولكن هناك ٥٪ مدى للخطأ . وفاز الحاكم جونز في الانتخابات الحقيقية بفارق نقطتين مئويتين ، فالاستطلاع كان دقيقا طالما كانت النتائج من ضمن مدى الخطأ.

(٥) لمناقشة أكثر تخصصية لنوعي الفرضيات ، ارجع إلى هاتش وفرهدي(١٩٨٢م، ص ص ٣ ، ٤)، أو شافلسون (١٩٨١م، ص ص ٢٧١-٥). وللشرح مع أمثلة مطولة ارجع إلى أنشن (١٩٧٨م، ص ص ١٩-٢٧).

(٦) لاحظ أن هناك خاصية ممكنة التسمية (المعالجة بالسماد- إما سماد خاص أو روث أبقار). وخاصية ممكنة القياس (وزن الطماطم).

(٧) انظر فيشمن (أ ١٩٦٨م) لتفصيل أكثر للمعايير التي بنيت عليها هذه التخصيصات.

(٨) تحسب فرصة التوزيع بالصدفة لكل خلية بضرب مجموع الصف بمجموع العامود لتلك الخلية ، ومن ثمّ القسمة على العدد الكلي لجميع الجدول. فعلى

سبيل المثال، في الخلية العليا اليسرى في جدول رقم (٤،١)، نجمع ٢٧ و ١٥ لنحصل على ٤٢، ومن ثم نجمع ٢٧ و ٢٥، لنحصل على ٥٢، ومن ثم نضرب ٥٢ في ٤٢ لنحصل على ٢١٨٤، والذي بعد ذلك يقسم على المجموع الكلي لـ ١١٤ أمة، وينتج عن هذا ٢، ١٩، وهو رقم الفرصة المتجانسة ذات الناتج القومي الكلي العالي جداً أو المتوسط، طالما أن هناك ٤٢ دولة ذات ناتج قومي كلي عالٍ جداً أو متوسط، و٥٢ دولة متجانسة.

(٩) يحسب مربع كاي بطرح القيمة الافتراضية (تلك الموجودة بالجدول رقم ٤،٢) من القيمة المشاهدة (تلك الموجودة في جدول رقم ٤،١) لكل خلية، ومن ثم تربع الناتج، والتقسيم على القيمة الافتراضية. ويحصل على الرقم الأخير بجمع تلك القيم لكل الخلايا الأربع. وإذا كان في مربع كاي أربع خلايا مرتبة بطريقة ٢X٢، كما هو في المثال، فيجب تطبيق طريقة تعديل تسمى ياتس Yates، لتصحيح الاستمرار. وهذا يعمل بإضافة ٠،٥ للقيمة المشاهدة إذا كانت أقل من القيمة المتوقعة المقابلة، وبطرح ٠،٥ من القيمة المشاهدة إذا كانت أكبر من القيمة المتوقعة المقابلة. ثم ينفذ حساب مربع كاي بالطريقة المعتادة.

(١٠) لمعرفة أهمية قيمة مربع كاي من الجداول الموجودة في كتب الإحصاء، يجب معرفة "درجات الحرية". وبالنسبة لمربع كاي فإن درجات الحرية تحسب عن طريق ضرب عدد الصفوف ناقصة واحداً في عدد الأعمدة ناقصة واحداً. وفي مثالنا، فإن درجات الحرية هي : (٢ -١) (٢ -١) = (١) (١) = ١

(١١) في الجزء الثاني من هذا الكتاب، هناك فصل يتضمن بحثا ميدانيا يُوجه فيه الطلاب لعمل تجربة مشابهة.

(١٢) لمزيد من النقاش حول اختبار مربع كاي انظر إلى هاتش وفرهدي (١٩٨٢م،

ص ص ١٦٥ - ١٧٣) أو شافلســـــون (١٩٨١، ص ص ٥١٧ - ٥٤٧).
ولتفسير آخر لاختبار مربع كاي باستخدام مثال، انظر إلى أنشن (١٩٧٨م، ص ص ٢٣ - ٢٥).

(١٣) التلفظ الأول هو تقريبا التلفظ الذي يستخدمه عادة المتحدث الإنجليزي لهذا الصائت. أما التلفظ الثاني فيظهر تقريبا كلفظ "hawt" في كلمة "hut". انظر ميلروي (١٩٨٠: ص ص ١١٨-٢٠) لمزيد من التفاصيل.

(١٤) قيمة -ت هي في الواقع نسبة بين الفرق المشاهد في المتوسطات وإحصاء يسمى بالخطأ النموذجي للفرق بين المتوسطات. ويحسب بإيجاد الفرق بين المتوسطات المشاهدة (٥٢ – ٣٤,٧ = ١٧,٣) (كما هو في مثالنا)، ومن ثم التقسيم على الخطأ النموذجي للفرق بين المتوسطات، وهو تقدير لما يجب أن يكون عليه الفرق لهذه البيانات إذا كان الأمر يتعلق بعوامل عشوائية فقط. وتبين قيمتنا لـ ت أن الفرق المشاهد أكبر بأكثر من ثلاث مرات من الفرق العشوائي المتوقع، وهذه قيمة قد تحدث فقط مرة بالصدفة من بين ١٠٠ مرة. ويجب أيضا استخدام درجات الحرية لتفسير جدول ت. للبيانات "اللامرتبطة" أو "غير المتناسبة" والتي لا يكون فيها تقابل مماثل بين أعضاء العينتين تساوي درجات الحرية عدد الأفراد في كل عينة مطروحا منه ٢، أما البيانات المرتبطة، فدرجات الحرية هي عدد الأفراد في العينتين (العدد متساو لكل من العينتين) مطروحا منه ١.

(١٥) لم تستخدم ميلروي اختبار -ت، ولكنها استخدمت تحليل التباين أحادي الاتجاه، وهو إجراء سأشرحه بعد قليل.

(١٦) يقدم هاتش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ص ١٠٨ -٢١) تفسيرا تخصصيا أكثر، لكنه واضح، لاختبار-ت، بما فيها استخدامات أخرى غير التي ذكرت هنا.

وخصص شافلسون (١٩٨١م، ص ص ٤٠٣ - ٤٠) فصلين مفصلين للتطبيقات المختلفة لاختبار ت. ويصف أنشن (١٩٧٨م، ص ص ٢٦-٢٧) استخدام درجة z لاختبار الفرق بين المتوسطات، ولكن لا يجب عمل هذه الطريقة إذا كانت العينة كبيرة.

(١٧) الحساب الواقعي لنسب F معقد جداً ولا يمكن شرحه في هامش. ويمكن الرجوع إلى هانش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ص ١٢٨ - ٥٠) وشافلسون (١٩٨١م ، ص ص ٤٤٢ - ٧) للاطلاع على تفاصيل حساب وتفسير تحليل التباين أحادي الاتجاه.

(١٨) إن ميلروي بالتأكيد محقة في رفض فرضية الإبطال في هذه الحالة الخاصة. ونتائج نوع الصائت في كلمة "hut" متلازمة مع نتائج عدة متغيرات فونولوجية أخرى في بلفاست، وأيضا مع النمط العام للفرق بين الذكور والإناث في الكلام والذي توصلت إليه دراسات أخرى.

(١٩) حساب تحليل التباين العاملي والتفسير الدقيق لنتائجه معقدان جدا. وقد تعامل هاتش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ص ١٢٨ - ٤٩) ، وشافلسون (١٩٨١م، ص ٤٤٨-٥٤٧) مع هذه التعقيدات بوضوح شديد. وبالرغم من أن مثالنا لتحليل التباين الثنائي قد يبدو من الوهلة الأولى وكأنه مثال على مربع كاي، تذكر أن جميع الخصائص في اختبار فرضية مربع كاي يجب أن تكون من النوع الممكن تسميته. أما تحليل التباين العاملي ، فيتطلب أن تكون إحدى الخصائص، وهي المتغير التابع، من النوع الممكن قياسه.

(٢٠) لتفصيل أكثر عن تفسير الارتباط والمطبات الواجب تجنبها، ارجع إلى شافلسون (١٩٨١م، ص ٢١٠-٢١٨) وهاتش وفرهدي (١٩٨٢م، ص ٢٠١-٣)، ص ٢٠٨-١٠).

(٢١) من المهم هنا تأكيد أنني أصف أجزاء صغيرة فقط من البحث في علم اللغة الاجتماعي مرتبطة بإجراءات إحصائية معينة لأغراض الشرح فقط. فمثلا، لن يتوقف أحد (لا ميلروي ولا أنا) عند حد تحليل صائت واحد وجنس واحد. وهذه النتيجة الخاصة وجميع النتائج التي استخدمت للإيضاح هي جزء من مشروع بحثي أكثر شمولية.

الأهداف

١- أن يكون قادرا على تمييز وصف هدف الإحصاء الاستدلالي.

٢- أن يكون قادرا على تمييز "السكان" من العينة.

٣- بعد إعطاء مثال، أن يكون قادرا على تمييز نوعي المتغيرات (الخصائص) في الإحصاء.

٤- أن يكون قادرا على تمييز أمثلة للخصائص *ممكنة التسمية* من الخصائص *ممكنة القياس*.

٥- أن يكون قادرا على التمييز بين أمثلة القياسات الكمية للمقاييس، والترتيبية، والفاصلية، والنسبية.

٦- أن يكون قادرا على التعرف على مثالي اختبار المصداقية واختبار الصلاحية.

٧- أن يكون قادرا على تمييز تعريفي "المتوسط الحسابي" و"الانحراف المعياري".

٨- بعد إعطاء فرضية البحث لعينة، أن يكون قادرا على التعرف على فرضية الإبطال.

٩- أن يكون قادرا على قول ماذا يعني تعبير مثل احتمال < ٠,٠١ .

١٠- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا

كان من المناسب استخدام اختبار مربع كاي، أم لا.

١١- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا كان من المناسب استخدام اختبار -ت أو تحليل التباين الأحادي، أم لا.

١٢- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا كان من المناسب استخدام تحليل التباين العاملي، أم لا.

١٣- بعد إعطاء وصف للبيانات وفرضية البحث، أن يكون قادرا على القول ما إذا كان من المناسب استخدام الارتباط، أم لا.

الفصل الخامس

التحليل الكمي

تفحصنا في الفصل الثالث محاولات نظامية لتعليل الأوجه النوعية للتعددية اللغوية للمجتمع. وكان النهج هو محاولة اكتشاف الوظائف التي تقوم بها اللغة في المجتمع وتحديد المتطلبات الواجب على اللغة تحقيقها حتى تقوم بكل وظيفة. وقد ظهر القياس الكمي في الصورة أحيانا، كما في فئات اللغات الست التي ذكرها ستيوارات، أو تقسيم فرجسون للفئات الرئيسة، والفرعية، وذات المنزلة الخاصة، ولكن من الممكن استغلال طرق القياس الكمي في دراسة التعددية اللغوية في المجتمع. سوف ننظر إلى التحليل الكمي عبر ثلاث خطوات، وهي: (١) مصادر البيانات المستخدمة، وبشكل أساسي الإحصاء السكاني، بالإضافة إلى طرق المسح الأخرى، (٢) وطريقة جرينبيرغ- ليبرسن لقياس التباين اللغوي، (٣) وتطبيق طرق القياس الكمي على مسائل في اللسانيات الاجتماعية للغة.

الإحصاء وطرق المسح

النواقص (العيوب)

لتحصيل كمية البيانات المطلوبة لقياس التعددية اللغوية على المستوى القومي لابد من توفير مصادر عديدة لذلك. ولذا، فإن البيانات الوحيدة المتوفرة بهذا القدر هي تلك التي جمعت تحت رعاية حكومة الدولة. وهذا عادة ما يعني الإحصاء

السكاني القومي المقام كل عشر سنوات.[١] وطالما أن التحليل الكمي لن يكون أفضل من البيانات التي بُني عليها، فمن المهم فهم أنواع النواقص (العيوب) الشائعة في بيانات الإحصاء السكاني. والمشاكل الأربعة الشائعة (المعروفة) المتعلقة بالتعداد السكاني هي: (١) الأسئلة. (٢) والاجابات، (٣) والجغرافيا، (٤) والتعامل مع البيانات.

الأسئلة.

ليس من السهولة كما قد يبدو سؤال الناس عن اللغة أو اللغات التي يعرفونها. وقد أعطى ماكي وكارتريت Mackey & Cartwright (١٩٧٩م، ص ص ٦٩-٧٠)، وماكونيل McConnell (١٩٧٩م، ص ٣٠)، وليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٣٩) تصانيف منفصلة لأنواع أسئلة اللغة المطروحة في الإحصاء السكاني، والتي من الممكن إيجازها في ثلاثة أنواع عامة، وهي: سؤال عن اللغة الأم، وسؤال الاستخدام، وسؤال المقدرة. ويحاول السؤال عن نوع اللغة الأم الوصول إلى اللغة الأولى المكتسبة من قبل المجيب على السؤال. ولكن كما أشار ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٣٤) فإن تعريف اللغة الأم بالضبط قد يختلف من أمة لأخرى. ويُسئل سؤال الاستخدام عن اللغة المستخدمة عادة أو المستخدمة كثيرا. وقد يكون السؤال بسياق أو بدون سياق، كسؤال المجيبين عن اللغة المستخدمة غالبا في المنزل، أو مكان العمل، أو مع أفراد العائلة، أو ما شابه ذلك. ويطلب سؤال المقدرة من المجيب تقييم مهارته في التحدث، والفهم، والقراءة، والكتابة بتلك اللغة، أو قدرته على توحيد بعض هذه المهارات. وتنشأ المشاكل عندما تُسئل أسئلة مقارنة بشكل يختلف من دولة لأخرى، أو من إحصاء سكاني لآخر في الدولة نفسها.

ومثلا، تصعب مقارنة أرقام دولة أجرت إحصاءها حسب سؤال اللغة الأم مع

أرقام دولة أخرى أجرت إحصاءها حسب سؤال الاستخدام. وقد ذكر كيرك Kirk (١٩٤٦م. استشهد به ليبرسون ، ١٩٦٧ ، ص ١٣٩-١٤٠) أنه خلال حدوث تحول لغوي فإن الأسئلة حول اللغة الأم تبين أن التحول أقل تطورا مما تبينه الأسئلة حول الاستخدام. تخيل أنك تدرس التحول من العاميات إلى اللغات القومية في دولتين مختلفتين، واحدة تسأل في تعدادها سؤال اللغة الأم، والأخرى تسأل سؤال الاستخدام. دعنا نقول: إن كلتا الدولتين تمر بالدرجة نفسها تقريبا من التحول. فالفرد في الدولة الأولى الذي تخلى عن عاميته لصالح اللغة القومية خلال حياته، أي أنه تعلم العامية أولا، لكنه عادة يستخدم الآن اللغة القومية، سيجيب إن العامية هي لغته الأم. أما الفرد في الدولة الأخرى، والذي كانت لديه التجربة نفسها، فقد سئل عن اللغة التي يستخدمها عادة، وسيجيب أنها اللغة القومية. وعندما يضرب هذا النمط بمئات الآلاف من الناس، فسيبدو كما لو كانت الدولة الثانية في مرحلة متقدمة من ترويج اللغة القومية من الدولة الأولى، ولكن هذا سيكون فقط كنتيجة للاختلاف في أنواع الأسئلة.

حتى عندما تطرح الإحصاءات السكانية الأسئلة نفسها، فقد تسئ الاختلافات في صياغة السؤال للمقارنة. ففي عام ١٩٤٠م، طرح إحصاء السكان في البرازيل السؤال التالي: "هل تتكلم اللغة القومية بطلاقة؟"، بينما طرح في العام نفسه في المكسيك السؤال التالي: "هل تتكلم اللغة القومية؟" (ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٤٠). فكلاهما سؤال مقلدرة ، ولكن من الواضح أن أكثر الناس سيميل للقول إنهم "يتحدثون اللغة القومية" أكثر ممن سيقولون: إنهم يتكلمونها "بطلاقة". وقد تكون بعض الأسئلة ببساطة غير مصداقية؛ لأنها ليست محددة بما فيه الكفاية. فسؤال مثل "ما هي اللغة التي تعرفها؟" هو غامض جداً لاستنباط معلومات مصداقية (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩، ص ٧٠).

ويواجه العلماء الذين يرغبون القيام بنوع الدراسات الطويلة عراقيل عندما تغير الإحصاءات السكانية صياغة الأسئلة من إحصاء سكاني لآخر في الدولة نفسها. ففي براغوي، تغير السؤال عن اللغة من سؤال عن المقدرة إلى سؤال عن الاستخدام المعتاد بين إحصائي عام ١٩٥٠م وعام ١٩٦٠م. ففي عام ١٩٥٠م، سئل البراغويون عن اللغة أو اللغات التي بإمكانهم تحدثها. وفي عام ١٩٦٠م ، كان السؤال عن اللغة أو اللغات التي يتحدثونها عادة (روبن، أ ١٩٦٨م، ص٤٨٦، هامش ١). فإذا كان الفرد يعرف كلا من الإسبانية وقوارني، ولكنه يستخدم عادة قوارني فقط، فإن من المحتمل أن يجيب أنه ثنائي لغة في إحصاء عام ١٩٥٠م، ولكن سيجيب على أنه مستخدم لقوارني فقط في إحصاء عام ١٩٦٢م. وقد ارتفعت نسبة سكان اسنسيون الذين قالوا: إنهم ثنائيو لغة من ٧٦٪ في عام ١٩٥٠م إلى ٧٩٪ في عام ١٩٦٢م (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٤؛ روبن، أ١٩٦٨م، ص ٤٨٦، هامش ١)، ولكن بسبب الاختلاف في نوع السؤال، فمن المحتمل أن ثنائية اللغة في الواقع ارتفعت أكثر من ذلك. وطبقا لما ذكره ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٣٤) فإنه لم يعتبر المتحدثين، الذين قالوا: إنهم ثنائيو لغة بلغة أم نموذجية ولهجة مرتبطة بها، كثنائي لغة في إحصاء عام ١٩٦١م في الهند. وفي عام ١٩٧١م أزيل ذلك الشرط، والنتيجة المحتملة هي أن من اعتبروا ثنائيي لغة في عام ١٩٧١م، لم يعتبروا كذلك في عام ١٩٦١م. ويذكر ليبرسون (١٩٦٧م ، ص ١٤٠) الآثار المدمرة للمقارنة الناتجة عن الاختلاف في تعريف اللغة الأم بين عامي ١٩٢٠م، و ١٩٤٠م في الإحصاء السكاني في الولايات المتحدة . ففي إحصائي عام ١٩١٠م و ١٩٢٠، صنف الجيل الثاني للمهاجرين حسب اللغات الأم للأب الأجنبي المولود في الخارج، بينما في إحصاء عام ١٩٤٠م كانت اللغة الأم هي اللغة التي تحدثها المجيب في المنزل في طفولته المبكرة. ونتيجة لذلك، ففي الإحصاءات المبكرة، لم يصنف الجيل الثاني للمهاجرين على أن الإنجليزية هي لغتهم

الأم، إلا إذا كان الأب الأجنبي يستخدمها في المنزل قبل القدوم للولايات المتحدة. وبالمقارنة، فقد خففت القيود في إحصاءات عام ١٩٤٠م، بحيث أصبحت اللغة الأم تعود إلى الخصائص اللغوية للجيل الثاني نفسه.

ويأتي تغيير الأسئلة بالشكل الذي وصفته بدافع الرغبة في تحسين نوعية البيانات عن نوعية البيانات في الإحصاءات السكانية السابقة. ومصدر آخر للصعوبة في أسئلة الإحصاء هي ميل الحكومة لطرح أسئلة بطريقة تعزز سياسة اللغة القومية. وليس من غير المعتاد أن تتحيز أسئلة اللغة للتمييز ضد اللغات المحلية. فقد لا تذكر على الإطلاق اللغات غير اللغة المعترف بها رسميا، أو تجمع تلك اللغات مع بعضها كلغات أصيلة. وعندما تطرح الأسئلة عن ثنائية اللغة، فإنها عادة تصاغ بحيث لا يحسب الفرد كثنائي لغة إلا إذا اشتملت ثنائيته اللغوية على الأقل على إحدى اللغات المعترف بها رسميا. فمثلا، في المكسيك يحسب الهندي الأمريكي الذي يتحدث الإسبانية ولغته العرقية كثنائي لغة، بينما لا يحسب من يتحدث لغتين من لغات الهنود الأمريكين كثنائي لغة (ماكونيل، ١٩٧٩م، ص ٣٦). وأحيانا تعامل لغات المستعمر بتحيز. فمن عام ١٩٣١م إلى ١٩٥١م، لم تدرج الإنجليزية كلغة ثانية ممكنة في الإحصاءات السكانية في الهند، بالرغم من أن هذا قد صحح في إحصاء ١٩٦١م(واينرايخ، ١٩٥٧م، ص ٢٣١).[٢] وأحيانا يستغل الغموض بين "اللغة" و"اللهجة" لزيادة القوة الرقمية أو تخفيفها لأجزاء من السكان (ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٣٩؛ ماكونيل ، ١٩٧٩م، ص ٤٣). ففي الإحصاءات السكانية النمساوية القديمة، عُد متحدثو اليدية كمتحدثين للألمانية، وذلك لزيادة عدد متحدثي الألمانية في بعض المقاطعات. وفي المقابل، فقد عُدت الأقليات السلافية الجنوبية في هنغاريا تحت أسماء لهجات محلية؛ لتقليل العدد الكلي للصرب والكروات (كيرك، ١٩٤٦م، ص ٢٢٥، المذكور في ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٣٩).

وبالرغم من أن الأمثلة الأخيرة المعطاة تبدو صارخة وساخرة، فإن التحيز في أسئلة الإحصاء عادة ما تنتج من الرغبة القومية للحكومة في جمع معلومات من وجهة نظر رسمية. فلا يمكن السؤال عن كل شيء في الإحصاءات، لذا فإن الأسئلة المطروحة تطلب معلومات تبدو على درجة كبيرة جدا من الأهمية للأمة (ماكونيل، ١٩٧٩م، ص ٣٦). فسؤال ثنائية اللغة في الإحصاء السكاني في المكسيك مبعثه رغبة أقل في حجب المعلومات عن ثنائية اللغة للغات الأصيلة من الاعتقاد بأن ثنائية اللغة بالإسبانية هي ما يهم الأمة بشكلٍ كبير.

الإجابات.

رأينا في الفصول السابقة أنه يصعب في الغالب تقرير ما إذا كان ضرب كلامي ما لهجة من لغة أخرى، أو لغة منفصلة بنفسها. وفي حالة اللغات الثانية، هناك مدى كامل لمعرفة اللغة، يتراوح ما بين الطلاقة التامة إلى معرفة بضع كلمات. وإذا نظرنا إلى هذين المتصلين لدينا وإلى الحاجة إلى تكوين أسئلة ذات إجابات قصيرة، فليس من الواضح تماما ما يعنيه إخبار الفرد لموظف الإحصاء السكاني أنه يعرف لغة معينة. وقلنا في الفصل الأول: إن السيولة الموجودة في لغات شمال الهند قد تخلق مشكلة مزمنة تتعلق بأي الضروب اللغوية الواجب اعتبارها لغات مقابل لهجات. وعندما يُسئل مواطن هندي أن يصرح عن لغته الأم ولغته الثانية، فإن الأمر يعود إليه في تقرير تسمية اللغة. وطبقا لما ذكره خوبتشنداني (١٩٧٨م، ص ٥٧٠) "فإن التصريحات تبقى متقلبة في كل إحصاء، ممثلة تحولا دائما في تحالف اللغة الأم." ويعتبر بعض متحدثي لغات مثل بهاري وراجستاني لغاتهم كذلك أشكالا نموذجية فرعية للهندي. وقد يصرحون أن الهندي هي لغتهم الأم، أو قد لا يعلنونها، وهذا يعتمد على المناخ السياسي في الوقت الذي تم فيه الإحصاء (خوبتشنداني (١٩٧٨ من ص ٥٦٥). ويبدو

أن متحدثين آخرين لا يعرفون ما هي الإجابة المناسبة، ويعطون اللغات الأم أسماء بدت لدافيدسون (١٩٦٩م، ص ١٧٨) "سخيفة" . وقد حدثت مشاكل مشابهة في ذكر أسماء اللغات في إحصاءات سكانية حديثة تمت في إسرائيل وتركيا (ماكونيل، ١٩٧٩، ص ٤٣).

وقد ذكر تقريبا كلٌ من ناقش استخدام بيانات الإحصاء السكاني التنوعَ الواسع للقدرة اللغوية في اللغة الثانية للفرد الذي يعد نفسه ثنائي لغة (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ٧١، ماكونيل، ١٩٧٩ ص ٣٥، ليبرسون ، ١٩٦٧م، ص١٤١ ؛ دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٧٩ ؛ واينرايخ ١٩٥٧م، ص ٢٠٦ ؛ رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٣). وطبقا لما ذكر رونا (١٩٦٦م، ص ٢٨٣) فقد يعد البراغويون متحدثين للإسبانية إذا كانوا قد التقطوا بضع كلمات في المدرسة، أو لو أنهم درسوها وهم أطفال، ولكنهم نسوا تماما كل ما تعلموه منها. ويشك ماكي وكارترايت (١٩٧٩م ، ص ٧٠-٧١) في أن الأفراد ذوو الثنائية اللغوية والذين لا يتفاعلون باستمرار مع المتحدثين الأصليين للغة الثانية قد يكونون أكثر كرما في تقيم قدراتهم من أولئك الذين يتفاعلون مع المتحدثين الأصليين. ولأن المجيبين أعطوا حرية الاختيار كثيرا ، فمن المتوقع أنهم سيقولون عن أنفسهم: إنهم متحدثون للغات تعتبر معرفتها مرغوبة لهم، حتى ولو كانت مقدرتهم محدودة جدا.

وإذا علمنا ما هي اللغات التي تعتبر مرغوبة، فنستطيع استخدام هذه المعلومة كأداة تصحيح جزئية في تفسير نتائج الإحصاء السكاني. فمثلا في براغوي، طالما تمنح معرفة الإسبانية كلغة ثانية المنزلة المرموقة، فإننا نفترض أن كل من يدعي تقريبا، ولو بشكلٍ طفيف، معرفة الإسبانية سيقول عن نفسه: إنه يعرف الإسبانية. ونتيجة لذلك، فيمكن اعتبار أرقام الإحصاء لأحاديي اللغة بلغة قوارني كأرقام محافظة، فهي تشمل عمليا كل أحاديي اللغة الحقيقيين بلغة قوارني، بالإضافة إلى من قالوا إنهم

يعرفون الإسبانية أيضا. وبالعكس، فتبدو أرقام ثنائيي اللغة بالإسبانية وقوارني دون شك أرقاما مضخمة نوعا ما. فهي تشمل تقريبا كل من لديه مقدرة معقولة بالإسبانية، وأيضا بعض من لديهم قليل من معرفة مبهمة باللغة. ومن الصعب تطبيق أسلوب مشابه في الهند، حيث تختلف مثلا الرغبة في القول بمعرفة الهندي من إقليم لآخر ومن إحصاء سكاني لآخر.

ورغم ذلك فقد لا تكون المشكلة المتعلقة بمدى المقدرة باللغة الثانية بالغة الخطورة. فبادىء ذي بدء من المهم معرفة أي اللغات يرغب الناس في القول بأنهم يعرفونها، بغض النظر عن المقدرة الحقيقية. ثانيا، كما ذكر ليبرسون (١٩٦٧، ص ١٤١) "فإنه يبدو من المعقول أيضا افتراض أن لدى السكان، الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم قادرون على تحدث لغة معينة، درجة طلاقة أعلى جدا من جزء من السكان الذين يعتبرون أنفسهم غير قادرين على تحدث اللغة." وبالإضافة إلى ذلك يعتقد واينزايخ (١٩٥٧م ن ص ٢٠٦) أن الميول للمغالاة في تقدير المقدرة ليس أقوى في جزء من الدولة من الجزء الآخر، على الأقل في الهند. ولكن إذا كان ماكي وكارترايت محقين في التأثير الواقعي للتفاعل مع المتحدثين الأصليين للغة الثانية على تقدير مقدرة الفرد ثنائي اللغة، فقد يكون لها تأثير جغرافي مهم في بلد مثل كندا. فقد يرغب المواطنون الذين يبعدون عن مناطق تحدث الفرنسية في شرق كندا بادعاء ثنائية اللغة بالفرنسية على أساس مقدرة أقل من متحدثي الإنجليزية كلغة أم الذين يسمعون الفرنسية كل يوم (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧٠-٧١).

ويكون هناك أحيانا دليل على أن أسئلة اللغة قد فهمت بشكل خاطيء. فقد بين مشروع بحثي محدد لمتابعة إحصاء عام ١٩٦١م في كندا أن متحدثي الإنجليزية كلغة أم، والذين أجابوا بنعم على السؤال: "هل تستطيع تحدث الفرنسية؟" قد فهموا السؤال بأنه يعني المقدرة على فهم الفرنسية (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧٠).

وهناك مثال أكثر تعقيدا قدمه خوبتشندائي (١٩٧٨ : ص ٥٧٢) في إحصاء عام ١٩٥١م في مقاطعة بومبي في الهند، اعتبر عدد كبير من المتحدثين الأصليين للغة السندي كثنائيي لغة بلغة البنجابي.ويبدو أن تقرير ثنائية اللغوية هذا قد بني على تعلم خط ثانٍ لكتابة السندي، وليس تعلم لغة أخرى. وتكتب السندي عادة بخط عربي. وبعض الهندوس الذين يتكلمون السندي تعلموا قراءتها وكتابتها بخط آخر يدعى قرروموخي. وقد اعتقدوا أن تعلم خط قوروموخي هو تعلم لغة تسمى قوروموخي. وقد ظهر أيضا أن خط قوروموخي هو الخط نفسه المعتاد لكتابة البنجابي. وكانت النتيجة النهائية هي أن متحدثي السندي الذين تعلموا أن يكتبوا لغتهم الأصلية بخط ثانٍ اعتبروا كأفراد ثنائية لغوية في السندي والبنجابي.

الجغرافيا.

قد تؤثر العوامل الجغرافية في بيانات الإحصاء بطريقين مختلفين بسبب تأثيرات الجغرافيا الطبيعية والحدود الجغرافية. ففي بعض الدول، هناك مناطق معزولة بسبب الجبال، أو الأدغال، أو العوائق الطبيعة الأخرى للمواصلات. وقد لا يتمكن مسئول الإحصاء من الوصول إلى الناس الذين يعيشون في تلك المناطق. وقد رأينا كيف أن هذا يمكن أن يؤثر على صورة ثنائية اللغة في براغوى. فقد كانت أكثر المنطقتين عزلة في وقت إحصاء عام ١٩٥٠ هي تقريبا بشكل كامل من متحدثي قوارني فقط. وطالما لم تحسب منطقة كبيرة يعيش فيها متحدثو قوارني فقط، فمن المحتم أن تشير الأرقام الرسمية إلى نسبة أكبر من الأفراد ثنائيي اللغة لكل دولة من النسبة الحقيقية (رونا، ١٩٦٦م، ص ٢٨٥). وقد يكون تحسن الطرق الموصلة لهذه المناطق قد جعل الوصول إليها أسهل لمؤسسات الإحصاء السكاني، وهذا يفسر بشكلٍ جزئي الزيادة الواضحة في أحادية اللغة بلغة قوارني في المناطق الريفية بين إحصائي عام ١٩٥٠م وعام

١٩٦٢م (روبن، ١٩٧٨م، ص ١٨٩). وبالطبع فقد كان الأمر أكثر سوءا عندما تغير نوع السؤال بين التعدادين من سؤال عن المقدرة إلى سؤال عن الاستخدام، مما زاد في صعوبة تحديد ثنائية اللغة بالإسبانية. ومن الصعب الحكم على مقدار الزيادة الواضحة في أحادية اللغة بالمناطق الريفية. فهل هي حقيقية فعلا أم أنها مبتدعة عن زيادة إمكانية الوصول للمناطق الجغرافية وتغيير نوع السؤال. وتؤثر العزلة الجغرافية، بالإضافة إلى إمكانية تحسن المواصلات في فترات الإحصاء، على دقة بيانات الإحصاء وإمكانية استخدامها للمقارنة.

إن الحاجة إلى جدولة بيانات الإحصاء حسب الحدود الجغرافية تعتبرأكثر دقة من حيث تأثيراتها. فقد رأينا في الفصل الأول أن إلحاق أراضٍ كانت تابعة لدولة ما بدولة أخرى بعد الحرب قد يؤثر على مستوى التعددية اللغوية في كلتا الدولتين. وبالطريقة نفسها، قد تراعي الدول الحدود الإقليمية الداخلية . وإذا حدث تغير في أي نوع من الحدود من إحصاء لآخر، فإن المقارنة تصبح أكثر صعوبة (دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٩٣).

والحدود الجغرافية مهمة أيضا في قياس التنوع اللغوي. وعادة ما يجعل مقياس درجة التعددية اللغوية للمجتمع المبني على وحدة سياسية كبيرة جدا التعددية اللغوية تظهر أكثر شمولية مما هي عليه في الواقع، على الأقل في حياة الناس اليومية. فإذا كان في دولة ما ٢٠٠ لغة، فيبدو أن الناس سيجدون صعوبة في الاتصال، وسيجدون صعوبة بالفعل لو كان متحدثو جميع هذه اللغات موزعين بشكلٍ متساو في كل أرجاء الدولة. وبالطبع هذا لا يحدث مطلقا، فغالبا ما يتمركز متحدثو اللغة نفسها في منطقة جغرافية واحدة، حيث يتفاعلون مع بعضهم أكثر من تفاعلهم مع الناس من مناطق أخرى في الدولة. وكنتيجة لذلك، فإن المناطق الفرعية الصغيرة على درجة أعلى من التوحد اللغوي مقارنة بالدول ككل (ليبرسون ودالتو وجونستون ,Leiberson

Dalto, Johnston ، ١٩٧٥م، ص ٤٢ ، قارن غرينبيرغ ١٩٥٦م، ص ١١٣).

وأعطى واينراخ (١٩٥٧م، ص ٢٢٧) مثالا واقعيا لهذه الظاهرة بالذات. فطبقا لأرقام إحصاء عام ١٩٥١م، كان لمنطقة تريفاندروم التابعة للولاية الهندية السابقة ترافانكور كوتشن مؤشر لصيغة جرينبيرغ (أ) للتنوع يساوي ٠,٤٨.(٣) وسوف نلقي الضوء على هذا المؤشر في دراستنا لمقاييس جرينبيرغ- ليبرسون للتنوع لاحقا في هذا الفصل، ولكن يكفي أن تعرف الآن أن هذا يعني أن هناك فرصة من كل فرصتين يكون فيها متحدثان، لا على التعيين من تلك المنطقة، لا يتكلمان اللغة نفسها. ولذا فيبدو أن كل ثاني زوج محتمل من المتحدثين لن يكون أحدهما قادرا على فهم الآخر. وفي الواقع، فكل سكان النصف الشرقي تقريبا من المنطقة أحاديو لغة بلغة تاميل، أما سكان الجزء الغربي فهم بشكل متساو أحاديو اللغة بلغة مالايالم. وفي الحياة اليومية وطالما أن كل الناس في كل نصف من المنطقة سيتفاعلون فقط مع الناس من المنطقة نفسها، فمن غير المهم أنهم لا يعرفون لغة الجزء الآخر. وطبيعيا، فلن يقابل أحد أي شخص لا يتكلم لغته. وأعطى مقياس مستوى التنوع لمقاطعة تريفندروم ككل، نتيجة ليست مهمة تقريبا بالكامل للحياة اليومية للناس الذين يعيشون هناك.(٤)

وقد يكون لدينا الآن تفسير جزئي للمستوى المنخفض بشكل مذهل لثنائية اللغة في الهند التي ذكرها خوبتشنداني (١٩٧٨م) وبالمقارنة مع الدرجة العالية للتعددية اللغوية للمجتمع في الهند، والحقيقة التي تقول بأن ٩,٧٪ فقط من سكان الهند هم ثنائيو لغة حسب إحصاء عام ١٩٦١، تبدو أمرا غاية في الغرابة. وطالما أن ثنائية اللغة مطلوبة فقط للتفاعل المنتظم مع الآخرين الذين لا يعرفون لغتهم، فمن الممكن جدا أن يكون سبب هذه الأرقام المنخفضة للثنائية اللغوية هو نتيجة درجة منخفضة للتنوع على المستوى المحلي جنبا إلى جنب مع درجة عالية من التنوع على المستوى القومي. وقد يبدو أنه كلما كانت المناطق الجغرافية التي يتم إحصاؤها أصغر،

والتنوع بعد تقديم مقاييس التنوع.

التعامل مع البيانات.

تنشأ مصاعب أخرى عند جمع نتائج الإحصاء السكاني، وتصنيفها، وحسابها. وتقع على عاتق عاملي الإحصاء الميدانيين مسؤولية كبيرة في تقرير كيفية إدراج الإجابات في الفراغات الموجودة في استبيان الإحصاء السكاني (ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧٢). وقد ظهر مثل هذا النوع من المشاكل في إحصاء عام ١٩٦١م في الهند، فقد طلبت التعليمات المعطاة لموظفي الإحصاء إدراج لغتين فقط لكل مستجيب للإحصاء، بالإضافة إلى لغته الأم. وعلاوة على ذلك لم تسجّل اللغة الثانية إذا ما كانت لهجة من لهجات اللغة الأم. وطالما لم يكن هناك أي تعليمات لكيفية معرفة ما إذا كانت اللغة المسماة لهجة أم لا، فإن الأمر يرجع لموظف الإحصاء ليختار ما يدون وما لا يدون (خوبتشنداني، ١٩٧٨م، ص٥٥٤-٥٥٥؛ دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٧٩). وعندما أصبحت البيانات جاهزة لإدراجها في جداول، علما أنه سُجِّلت لغتان أخريان غير اللغة الأم، لم يحسب فعليا إلا اللغة الأولى من اللغتين اللتين كتبهما موظف الإحصاء.

ولا بد مع هذا الحجم الهائل لمهمة جمع الإحصاء عمليا من إغفال العديد من المواطنين. ففي إحصاء الولايات المتحدة لعام ١٩٦٠م، حذف كليا أكثر من نصف مليون نسمة (ليبرسون، ١٩٦٧م، ص ١٤٤). وأثناء جمع البيانات لإحصاء عام ١٩٨٠ في الولايات المتحدة وبعدها، عمت التقارير الإخبارية شكاوى من مدن وسلطات قضائية من أن الإحصاء في مناطقهم أقل من الواقع؛ ولذا فإنه سيفقدهم جزءا من المساعدات الحكومية والتمثيل السياسي. ولا يستطيع المرء إلا افتراض أن

تكون المسألة أكثر سوءا في الدول الأقل ثراءً.

استخدام بيانات التعداد

قد تترك مناقشة العيوب (النواقص) في بيانات الإحصاء انطباعا بأنه من غير المجدي محاولة استخدامها إطلاقا. فلا تخلو بيانات الإحصاء من الأخطاء، ولكنها ليست أخطاء قاتلة، خاصة عندما يعرف الباحثون ومن سيقرؤن نتائجها أين يكمن الخطر. وأعطى ليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٣٤-٥) ثلاثة أسباب لاعتبار بيانات الإحصاء ضرورة حتمية لأي عمل جدي في علم اللغة الاجتماعي للمجتمع. أولا، إنها البيانات الوحيدة عمليا من هذا النوع التي تجمع على مقياس كبير كهذا. ثانيا، إنها البيانات الوحيدة بهذا الحجم التي تجمع في فترات زمنية محددة مما يسمح بإظهار النزعات بعيدة المدى، وأخيرا، إن بيانات الإحصاء هي البيانات الوحيدة المتوفرة بهذا الحجم الكبير، والتي تسمح بالمقارنة بين جزء واحد من العالم مع جزء آخر منه. حتى ولو كان الباحث قادرا على جمع بيانات إحصائية لقسم سياسي محدد من بلد ما، فإنه لن يأمل بعمل الشيء نفسه لجميع الأقسام المشابهة في الدولة نفسها، ناهيك عن الأمم الأخرى بأكملها.

التأكد من المصداقية.

من الممكن أحيانا القيام ببعض المناورات للتحقق من مصداقية بيانات الإحصاء حتى قبل الشروع بالدراسة الاجتماعية اللغوية. ووصف ليبرسون (١٩٦٧م، ص ص ١٤٤-٥٠) نوعين لمثل هذا التحقق، هما: *التحقق الخارجي والاتساق الداخلي*. والتحقق الخارجي أكثر إقناعا؛ لأنه يقارن بين بيانات قياس كمي من مصادر أخرى غير الإحصاء مع بيانات مشابهة في الإحصاء ذاته. فإذا كانت البيانات على الخط

نفسه، فمن الممكن افتراض أنها دقيقة؛ لأنه من المستبعد أن يرتكب كلا المصدرين المستقلين الأخطاء ذاتها بالضبط. أما في الاتساق الداخلي، فنقارن أجزاء مختلفة من الإحصاء مع بعضها، أو يقارن إحصاء جرى في وقت معين مع إحصاء آخر جرى في وقت آخر . ويجب أن يكون الاعتماد على مراجعة الاتساق الداخلي أقل من الاعتماد على مراجعة التحقق الخارجي ، كما أوضح ليبرسون ذلك بقوله "إذا ثبت أن بيانات الإحصاء غير متسقة بدرجة عالية، فسيكون هناك شك فعلي في مصداقيتها" ومن جهة أخرى، فإن الاتساق الداخلي لا "يثبت" المصداقية بقدر ما يظهر أننا لسنا قادرين على إيجاد أي دليل على الخطأ (ليبرسون، ١٩٦٧م، ١٤٦). ومن الممكن تماما أن يكون هناك خطأ كامن في طريقة إجراء الإحصاء وأن هذا الخطأ سيُرتكب بشكل مستمر كلما جرى الإحصاء، ولن يكشف مثل هذا الخطأ المستمر باستخدام مراجعة الاتساق الداخلي.(٥)

وذكر ليبرسون (١٩٦٧، ص ١٤٥) مثالا جيدا جدا على طريقة التثبت بالتحقق الخارجي يتعلق ببيانات الإحصاء المأخوذة من مقاطعة كويبك الكندية. واشتمل الإحصاء على أرقام لمن لغتهم الأم هي الفرنسية، ومن يتحدثون الإنجليزية كلغة أولى. وحدث أن كان هناك بيانات أخرى متوافرة أمكن استخدامها للتحقق من بيانات الإحصاء عن اللغة الأم. ويوجد في كويبك نظامان للمدارس، أحدهما كاثوليكي روماني والآخر بروتستانتي. وتستخدم كل المدارس البروتستانتية تقريبا الإنجليزية كلغة تعليم، بينما تستخدم معظم المدارس الكاثوليكية الفرنسية كلغة تعليم. ويفترض أن يلتحق الأطفال ممن لغتهم الأم هي الفرنسية بالمدارس الكاثوليكية، بينما يذهب الأطفال المتحدثون للإنجليزية لمدارس بروتستنتية. وإذا كان الأمر كذلك، فيجب عندها أن تقترب أعداد المسجلين في هذين النظامين المدرسيين من أعداد اللغة الأم للأولاد الذين هم في سن المدرسة من تلك الجماعات التي تتحدث اللغة الأم

المقابلة. وعندما قورنت أعداد التسجيل بالمدارس مع أعداد اللغة الأم المصرح عنها في الإحصاء للأولاد في سن المدرسة، كانت المطابقة متقاربة جدا بالفعل. ويعطي جدول رقم (٥،١) هذه البيانات.

ومن السهل تعليل سبب زيادة النسبة المئوية للتسجيل بالمدارس الكاثوليكية على نسبة متحدثي الفرنسية، وأيضا تعليل التضارب في الجهة الأخرى بين نسبة المسجلين بالمدارس البروتستانتية ونسبة من أعلنوا الإنجليزية كلغة أم. فلربما كانت هناك مدارس إنجليزية أكثر من المدارس التي تستخدم الفرنسية في النظام البروتستانتي. ونتيجة لذلك فإن عددا أكبر من الأولاد، ممن لغتهم الأم هي الإنجليزية، سيكونون مسجلين في المدارس الكاثولوكية أكثر من عدد الأولاد الذين يتحدثون الفرنسية وقد سجلوا في المدارس البروتستانتية. وليس هناك ما يدعو للاعتقاد بعدم دقة أعداد التسجيل بالمدارس أو حتى التفكير بأنها ستكون مطابقة تماما للأعداد التي ستظهر في بيانات الإحصاء، حتى وإن كانت هناك أخطاء. والتوافق بين أعداد الإحصاء والأعداد المستقلة للتسجيل بالمدارس دليل قوي على مصداقية الإحصاء. ويشمل التثبت من الاتساق الداخلي الذي يمكن القيام به تقريبا مع أي إحصاء سكاني أخذ استخدام جماعات الأعمار مرتين أو أكثر. فإذا ذكرت نسبة محددة من جماعة ذات عمر ما في أحد الإحصاءات أن لغة ما هي لغتها الأم، فإن على تلك الجماعة أن تذكر اللغة الأم نفسها بالنسبة نفسها تقريبا في إحصاء يجري بعد عشر سنوات. وحتى يكون هذا الافتراض مقبولا، فيجب أن يكون صحيحا ما يلي (١) معدلات الوفيات في كل جماعة لغة أم متساوية تقريبا خلال العشر سنوات، (٢) وأن لا يكون عدد متفاوت من فئة إحدى اللغات الأم قد غادر البلد خلال العشر سنوات، (٣) وأن لا يكون عدد متفاوت من فئة اللغة الأم قد هاجر خلال العشر سنوات.

جدول رقم (٥،١). مقارنة التسجيل بالنظام المدرسي وبيانات الإحصاء للأولاد ما بين ١٠-١٤ سنة. كويبك، ١٩٥٧م/١٩٥٨م.

التسجيل في المدرسة	النسبة	اللغة الأم	النسبة
الكاثوليك الرومان	٨٩،٦٪	الفرنسية	٨٥،٩٪
البروتستانت	١٠،٤٪	الإنجليزية	١١،٣٪
		أخرى	٢،٨٪

المصدر: مقتبس من ليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٤٥، جدول ٢).

ويمكن السيطرة على العنصر الثالث إذا سمحت بيانات الإحصاء بالتعرف على إجابات المهاجرين وإزالتها من الحسابات. وقد فعل هذا ليبرسون في مثاله (١٩٦٧م ، ص ١٤٦-١٤٧). وقد أخذ ليبرسون بيانات من سبع جماعات عمرية من الإحصاء الكندي لعام ١٩٥١م عن اللغات الأم الفرنسية والإنجليزية. وقارن بينها وبين بيانات الجماعات العمرية الأكبر بعشر سنوات. فمثلا ، في عام ١٩٥١م ، ذكر ٥٧٪ من جماعة الأولاد التي تتراوح أعمارهم ما بين ١٠و ١٤ سنة أن الإنجليزية هي لغتهم الأم، بينما ذكر ٣٣،٨٪ من الجماعة العمرية نفسها أن الفرنسية هي لغتهم الأم، وفي عام ١٩٦١م، ذكر ٥٦،٨٪ من الجماعة العمرية التي تتراوح أعمارهم ما بين ٢٠ و ٢٤ سنة أن الإنجليزية هي لغتهم الأم، بينما كانت الفرنسية اللغة الأم لـ ٣٤،١٪ من الجماعة العمرية نفسها. وكان متوسط الاختلاف بالنسبة للجماعات العمرية السبع هو ٨٪ للذين ذكروا أن الإنجليزية هي لغتهم الأم، بينما كان متوسط الاختلاف ٠،١ ٪ لمن ذكروا أن الفرنسية هي لغتهم الأم. وهذه القيم متقاربة جدا وتبين بشكل جيد الاتساق في الإحصاء الكندي من إحصاء إلى آخر، على الأقل فيما

يتعلق بمعلومات اللغة الأم. وحذر ليبرسون قراءه من أن مثل هذه النتيجة لا تثبت صحة الإحصاء، ولكنها تثبت انتظامه فقط. فمثلا، إذا كان سؤال اللغة الأم قد صيغ بشكل متحيز ونجم عنه إجابات غير صحيحة، واستخدم السؤال نفسه في كلا الإحصاءين، فإن هذا الخطأ سيظهر بشكل منتظم في كلتا المرتين. ولذا فإن البيانات ستكون منتظمة، ولكنها ليست صحيحة. ولكن وفي غياب الدليل على أخطاء متكررة، فإن النتيجة الإيجابية للتثبت بالاتساق الداخلي تضيف لصحة البيانات.

استخلاص بيانات إضافية من الإحصاءات.

ويمكن دائما بقليل من البراعة والإبداع الحصول على بيانات إحصائية من الإحصاءات التي ليست إجابات مدرجة مباشرة في الجداول. وقد أعطى ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٣٧-٣٩) وليبرسون (١٩٦٧م، ص ١٣٦-١٣٨) أمثلة على ذلك. وتشمل أمثلة ماكونيل حسابات مباشرة لعدد متحدثي لغة ما في دولة معينة. فمثلا، إذا كان لدينا عدد من متحدثي اللغة (س) كلغة أم وعدد من متحدثي اللغات الأخرى كلغات أم الذين تعلموا اللغة (س) كلغة ثانية، فمن الواضح أنه يمكن إيجاد العدد الكلي من متحدثي لغة (س)، وذلك بإضافة عدد متحدثي لغة (س) كلغة أم إلى عدد متحدثيها كلغة ثانية. أما أمثلة ليبرسون فهي أكثر تعقيدا بقليل. وفي أحد أمثلته، قدر نسبة متحدثي الإنجليزية كلغة أم الذين تعلموا الفرنسية، بالرغم من عدم وجود مثل هذه المعلومات مدرجة في الإحصاء الكندي. وكانت البيانات المتوفرة لديه هي:

(١) عدد أولئك الذين يتحدثون الإنجليزية كلغة أم.

(٢) عدد أولئك الذين يتحدثون الإنجليزية، ولا يتحدثون الفرنسية.

ونحصل بطرح العدد الثاني من العدد الأول على تقدير متحفظ لعدد من لغتهم

الأم هي الإنجليزية ويتحدثون الفرنسية. وعند تقسيم الناتج على العدد الأول نحصل على نسبة السكان ممن لغتهم الأم هي الإنجليزية وتعلموا الفرنسية. وحتى نرى كيف نحسب ذلك، دعنا نتخيل أن في منطقة من مدينة كوبيك ٥٠٠ فرد يتحدثون الإنجليزية كلغة أم. ودعنا نفترض أيضا أن ١٩٠ من هؤلاء صرحوا أنهم يتحدثون الإنجليزية ولا يتحدثون الفرنسية. فإذا طرحنا هؤلاء من العدد الكلي لمن لغتهم الأم هي الإنجليزية (٥٠٠ - ١٩٠= ٣١٠)، نحصل على ٣١٠ فرد ممن لغتهم الأم هي الإنجليزية ويعرفون الفرنسية أيضا. وبقسمة ٣١٠ على ٥٠٠، وهو العدد الكلي لمتحدثي الإنجليزية كلغة أم، نحصل على ٠.٦٢ . (وهذا يساوي ٦٢٪)، وهي نسبة من لغتهم الأم هي الإنجليزية وقد تعلموا الفرنسية.

وطريقة أخرى أكثر مجازفة للحصول على بيانات إضافية متعلقة باللغة من تقارير الإحصاء هي استخدام ما أسماه ماكونيل (١٩٧٩م، ص ٢٤ -٢٥) بـ "بيانات اللغة المحاذية". وبهذا السياق فبيانات اللغة المحاذية هي معلومات عن عضوية الجماعة العرقية، التي تتوافر لدينا عندما لا تتوافر بيانات اللغة مباشرة. فإذا كانت جماعة عرقية معينة متوحدة بما فيه الكفاية فيما يتعلق باللغة (مثلا، إذا كان ٨٠٪ منهم يتحدثون اللغة نفسها)، فإن بيانات الجماعة العرقية *"قابلة للتفسير لغويا"*. وهذا يعني أن بيانات عضوية الجماعة العرقية يمكن أن تستخدم بنسبة مقبولة من المصداقية في غياب بيانات اللغة. وبشكل مشابه، فمن الممكن افتراض أن المهاجرين من دول ذات أحادية لغوية هم متحدثون أصليون للغات السائدة في بلادهم. فمثلا، يمكننا الافتراض بدرجة عالية من المصداقية أن المهاجرين إلى كندا من الولايات المتحدة أو أستراليا، هم متحدثون للإنجليزية (ماكونيل، ١٩٧٩م، ص ٢٥). وغني عن القول هنا أنه يجب استخدام مثل هذه البيانات غير المباشرة بحرص شديد (قارن ماكي وكارترايت، ١٩٧٩م، ص ٧١).

الاستنتاجات.

إذا عرفت معلومات كافية عن الخلفية ، فمن الممكن أحيانا القيام ببعض الاستدلالات من بيانات الإحصاء. على سبيل المثال ، قام ماكونيل (١٩٧٩م ، ص ٣١) باقتراح استدلالي بناء على بيانات من الإحصاء السكاني التركي لعام ١٩٦٥م. فاللغة التركية هي اللغة الرسمية ، ولكن هناك أقلية كبيرة من الأكراد. وبالنظر إلى التفوق السياسي والعددي لمتحدثي التركية ، فليس مستغربا أن نحو ٤٠٪ من الأكراد يتحدثون التركية كلغة ثانية. ولكن من المستغرب أن نلاحظ أن ٤٠٠,٠٠٠ ممن يتحدثون التركية كلغة أم قد أدرجوا اللغة الكردية على أنها لغتهم الثانية. ومن الصعب تخيل الدافع الذي يجعل المتحدث التركي يتعلم الكردية إلا إذا كان أصلا ينتمي إلى العرقية الكردية وقد حول ولاءه اللغوي إلى التركية. وإذا كان مثل هذا الاستنتاج صحيحا ، فإن هذا قد يعطي معلومات عن اتجاه التحول اللغوي وحجمه بين الأكراد في تركيا.

وقد توصل دافيدسون (١٩٦٩م ، ص ١٩٤-١٩٥) إلى استنتاج مشابه من دراسته الإحصاء الهندي لعام ١٩٦١م. وقد أدرج إحصاء عام ١٩٦١م نحو ٢٢٤,٠٠٠ متحدث أصلي للغة الإنجليزية. وكان دافيدسون تواقا لمعرفة عدد الذين كانوا من الهنود الإنجليز بينهم. وقد عُدّ الهنود الإنجليز في هذا الإطار في إحصاء عام ١٩٥١م ، ولكن ذلك لم يجر في إحصاء عام ١٩٦١م. وإذا افترض أن عدد السكان من الهنود الإنجليز يتزايد بنسبة متساوية مع نسبة تزايد عدد السكان الهنود بشكل عام (من الأرجح أنها تتزايد بشكل أبطأ) ، فقد يبلغ عدد الهنود الإنجليز نحو ١٣٥,٠٠٠ في إحصاء عام ١٩٦١م . وإذا طرح هذا العدد من عدد متحدثي الإنجليزية كلغة أم ، فإن هذا يعني أنه في عام ١٩٦١م كان هناك نحو ٨٩,٠٠٠ متحدث أصلي للإنجليزية في الهند ليسوا من الهنود الإنجليز. وهذه التفاصيل ليست ذات أهمية إلا لمن لديهم

اهتمام خاص في الدول المعنية، ولكن هذه التفاصيل توضح كيف يمكن استخدام الاستنتاج لاستخلاص معلومات إضافية من بيانات الإحصاء.

المصادر.

هناك بعض الكتب المنشورة لإحصاءات لغوية من بلدان عديدة مجمعة في مجلد واحد. فهناك في كتاب كلوس وماكونيل (١٩٧٧م) إحصاءات عن لغات العالم المكتوبة. وقد بدأ العالمان نفساهما بمشروع ضخم لجمع إحصاءات عن اللغة في سلسلة من المجلدات، سوف تشمل الكرة الأرضية بأكملها. وقد نشر المجلد الأول عن وسط وغرب جنوب آسيا (كلوس وماكونيل، ١٩٧٤م). أما الثاني عن أمريكا الشمالية فصدر في وقت كتابة هذا الكتاب. ومصدر قيم آخر هو كتاب قرايمز Grimes (١٩٧٨م). والذي يركز فيه على اللغات المحلية.

طرق المسح الأخرى

أحيانا تجرى إجراءات مسح لغوية على مقياس محلي (قومي). وتصف العديد من مساهمات أوهانساين وفرجسون وبلومي Ohannessian, Ferguson, and Polome (١٩٧٥م) أساليب ومشاكل ونتائج مثل هذه الإجراءات المسحية. وإذا قام بالمسح علماء علم اللغة الاجتماعي فمن المتوقع أن يطرأ تحسن على أسئلة اللغة عن تلك الموجودة في استبيانات الإحصاء. ولكن قد تضع الدول التي يتم فيها المسح قيودا على نوعية المعلومات المطلوبة. وقال بلومي (١٩٧٥م، ص٣٢) إنه لم يكن مسموحا، في مسح اشترك فيه في تنزانيا، السؤال عن منزلة اللغة السواحيلية كلغة قومية، كما لم تشجع الدراسات المنظمة للعاميات المحلية. وقد ينطبق العديد من المزايا والعيوب الموجودة في بيانات الإحصاء على بيانات المسح الكبيرة. وقد استخدم بندر وكوبر

وفرجسون Bender, Cooper and Ferguson (١٩٧٢م) أسلوبا ذا أهمية يسمى بـ "*عد العمليات*". وكجزء من مسح لغوي تم في أثيوبيا، قاموا بعمل مسح في السوق بالطريقة التالية:

أُجري المسح السوقي في ثلاث وعشرين سوقا في ثماني بلدات... وقد اختير المساحون من بين طلاب مدرسة ثانوية محلية، وكان عملهم حساب عدد العمليات التي تمت بالسوق باستخدام اللغات المختلفة في يوم واحد. وقد اختير عدد من السلع والخدمات (مثلا، الملابس، والبصل، والملح، والخياطة)، وكانت مسؤولية كل مساح تنطوي على ملاحظة الاستخدام اللغوي في كل من هذه العناصر. ولذا، فلكل عنصر يلاحظ المساح عدد التعاملات بين البائعين والمشترين التي تمت باستخدام اللغة الأمهرية وعدد التعاملات التي تمت باستخدام لغة غالا.. .إلخ. ويسمح هذا الأسلوب بالتوصل إلى تقييمات ذات مصداقية عالية للأهمية النسبية للغات المختلفة في السوق؛ لأنه قد انتقيت العناصر النموذجية للمراقبة، ولأن عدد المشاهدات كان كبيرا (بندر وكوبر وفرجسون، ١٩٧٢م، ص ٢٢٦).

ويتجنب مثل هذا الأسلوب الذي لا يمكن استخدامه في الإحصاء على الإطلاق مشاكل البيانات ذاتية التصريح، ويقدم وسيلة للتحقق الخارجي لبيانات المسح الأكثر تقليدية، كما أنها تقدم بيانات قيمة بحد ذاتها.

صيغ غرينبيرغ – ليبرسون

قياس التنوع اللغوي أو مدى التعددية اللغوية في المجتمع، هو العمود الفقري للتحليل الكمي للسانيات الاجتماعية للمجتمع. ومن أكثر الأساليب إتقانا لقياس التنوع اللغوي هو ذلك الذي اقترحه جوزيف جرينبيرغ Joseph Greenberg (١٩٥٦م)، والذي توسع فيه فيما بعد ستانلي ليبرسون Stanley Lieberson

(١٩٦٤م) . وسنصف الآن طريقة جرينبيرج ليبرسون.

مقاييس التنوع عند غرينبيرغ

استخدم جرينبيرغ الطريقة الأساسية نفسها لتطوير ثماني صيغ مختلفة، سبع منها مقاييس للتنوع اللغوي، أما المقياس الثامن فسماه بـ "مؤشر التواصل". وكل واحد من مقاييس التنوع السبعة أكثر دقة من المقياس الذي يسبقه. وتعتبر أكثر تلك الصيغ تطورا، وهي الصيغة السابعة، أكثرها دقة، ولكنها أيضا معقدة جدا. ويكفي لأغراضنا الاطلاع على الصيغة الأولى، وهي أسهل صيغ التنوع، والصيغة الثامنة، وهي مؤشر التواصل. وهناك سببان لعدم الاهتمام بالصيغ الأكثر تطورا، وهما : أولا، إنها معقدة جدا لتقديمها في كتاب يعتبر مدخلا، والسبب الثاني هو أن هذه الصيغ تتطلب بيانات غير متوفرة عموما.

وحتى يمكن إدارة هذه المهمة، بدأ جرينبيرغ بالافتراض التالي غير الواقعي نوعا ما. فإذا كان لدينا وحدة سياسية جغرافية ما ولتكن مثلا (مدينة، مقاطعة، ولاية، أو دولة) فإن جرينبيرغ يطلب منا أن نتخيل أنه من الممكن وضع جميع المتحدثين ضمن تلك الوحدة داخل كيس ورجهم، وسحب متحدثين اثنين عشوائيا. وسنفترض أنهما يرغبان في التحدث مع بعضهما، وما نريد اكتشافه هو ما إذا كانا يشتركان في اللغة نفسها، حتى يتمكنا من ذلك. وكما رأينا، فإن مثل هذا الافتراض أكثر صلاحية في المناطق الصغيرة كالمدن منه في المناطق الأكبر، كدول بأكملها. ومنطقي أكثر الافتراض بأن المتحدثين المأخوذين عشوائيا من المدينة نفسها يرغبان حقا في التحدث مع بعضهما أكثر من رغبة متحدثين مأخوذين من الدولة بأكملها. وإذا حدث أن كان المتحدثان من أجزاء مختلفة من الدولة، فقد لا يحتاجان للتحدث مع بعضهما، وفي الحياة الواقعية فلن يهم كثيرا إذا لم يشتركا باللغة نفسها.

الدولة المتوحدة تماما.

للتوصل إلى صيغة عملية، يجب علينا أن نقبل الافتراض بأن أي متحدثين مأخوذين من وحدة جغرافية ما يرغبان أو يحتاجان للتواصل فيما بينهما بالدرجة ذاتها. ولنبين طريقة عمل ذلك، دعنا نتخيل الحالتين المتطرفتين، وهما الدولة المتوحدة تماما والدولة المتنوعة تماما. أولا، تخيل أن لدينا وحدة سياسية "كيس" فيه ١٠٠,٠٠٠ متحدث للغة (س)، ولا يوجد فيها متحدثون لأي لغة أخرى. ولحساب احتمالية سحب متحدث للغة (س)، نقسم عدد متحدثي لغة س (وهو ١٠٠,٠٠٠) على العدد الكلي للمتحدثين الموجودين في الكيس (أيضا ١٠٠,٠٠٠ متحدث). أي لدينا ١٠٠,٠٠٠ فرصة في كل ١٠٠,٠٠٠ مرة للحصول على متحدث للغة س. والكسر ١٠٠,٠٠٠/١٠٠,٠٠٠ يساوي ١، أو اليقين أننا سنحصل على متحدث للغة س. ولكننا نسحب عادة متحدثين اثنين حتى يجد المتحدث الأول أحدا يتحدث معه. وحقيقة يوجد لدينا بالطبع الآن في الكيس ٩٩,٩٩٩ متحدث فقط؛ لأننا قد سحبنا قبل ذلك متحدثا واحدا، ولكن لا أهمية للحقيقة بأن عدد المتحدثين داخل الكيس قد تنقص متحدثا واحدا عند إجراء السحب الثاني. وبافتراض أنه ما زال لدينا ١٠٠,٠٠٠ متحدث تقريبا للغة س، فإن فرص سحب متحدث آخر للمرة الثانية للغة س هي أيضا ١٠٠,٠٠٠/١٠٠,٠٠٠= ١، أو اليقين. ولحساب احتمالية سحب متحدثين يشتركان بلغة س ، فإننا نضرب احتمالية سحب متحدث أول يتحدث لغة س في احتمالية سحب متحدث ثان يتحدث لغة س. وفي هذه الحالة فإن الجواب هو ١ X ١ =١، أو ما زال يقينا، ويخبرنا هذا الحساب غير المباشر ما نعلمه منذ البداية، وهو أننا علي يقين من الحصول على متحدثين اثنين يشتركان في اللغة نفسها في دولة أحادية اللغة، ولكن طريقة الحساب سوف تكون ضرورية في الأمثلة الأقل سهولة.

الدولة المتنوعة تماما.

دعنا نأخذ الآن الحالة النقيض لما سبق، وهي الدولة المتنوعة تماما. لدينا الآن كيس فيه ١٠٠,٠٠٠ متحدث لـ ١٠٠,٠٠٠٠ لغة منفصلة، وكل متحدث يعرف لغة مختلفة (بطريقة تشابه حالة برج بابل في التوراة). وبافتراض أن لغة س هي واحدة من الـ ١٠٠,٠٠٠ لغة، وفرص الحصول على متحدث للغة س (في الواقع هو المتحدث الوحيد لهذه اللغة) في السحب الأول هي ١ من ١٠٠,٠٠٠ . وطالما سحبنا المتحدث الوحيد للغة س في المحاولة الأولى، فإن فرصنا في سحب متحدث آخر هي ١٠٠,٠٠٠/٠ أو صفر. ولذا فإن فرصنا في سحب متحدثين اثنين للغة س هي ١٠٠,٠٠٠/١ x صفر / ١٠٠,٠٠٠ = صفر. لا توجد هناك أي فرصة على الإطلاق. والآن دعنا نرى فرصنا في العثور على متحدثين اثنين يشتركان بلغة أخرى (لغة ص) من بين الـ ١٠٠,٠٠٠ لغة. وبإعادة المتحدثين الذين سحبناهما سابقا مرة أخرى إلى الكيس، فإن فرصنا في الحصول على متحدث للغة ص في المرة الأولى هي أيضا ١٠٠,٠٠٠/١ وبعد سحب المتحدث الوحيد للغة (ص) من المرة الأولى، فليس لدينا أي فرصة في سحب متحدث آخر. ولذا فاحتمالية الحصول على فردين يستطيعان التواصل باستخدام اللغة ص هي صفر . ويمكننا الاستمرار في المحاولة مع اللغات الـ ٩٩,٩٩٨ لغة المتبقية، ولكننا سنحصل تقريبا على النتيجة نفسها في كل مرة. وفرصنا في الحصول على متحدثين اثنين يستطيعان التواصل باستخدام أي لغة من لغات الدولة هي مجموع فرصنا في الحصول على متحدثين يشتركان في أي من الـ ١٠٠,٠٠٠ لغة. وفي هذه الحالة ففرصنا هي مجموع مائة ألف صفر، ولا يوجد أي فرصة على الإطلاق. ومرة أخرى، فالحساب طريقة معقدة لبيان ما نعرفه سابقا، وهو أنه ليس هناك أي فرصة للتواصل في الدولة المتنوعة تماما.

مثال جرينبرغ.

وللحصول على حالة أكثر واقعية ، دعنا نستعرض المثال الافتراضي الذي استخدمه جرينبيرغ (١٩٥٦م ، ص ١٠٩). لنفترض وجود كينونة ما فيها ثلاث لغات هي اللغة (م) (ويتحدثها ٨/١ من السكان). واللغة (ن) (ويتحدثها ٨/٣ من السكان). واللغة (و) (ويتحدثها ٢/١ من السكان). أولا ، لنتخيل الآن أننا وضعنا كل المتحدثين في كيس واحد، ونرجهم بشكل جيد ، ومن ثم نبدأ السحب. واحتمالية سحب متحدث للغة م من المحاولة الأولى هي ١ من ٨. وهي بالضبط نسبة متحدثي لغة (م) إلى مجموع سكان الدولة. وفرصتنا في الحصول على متحدث ثان للغة (م) هي أيضا ١ من ٨ (وذلك بتجاهل حقيقة أننا قللنا العدد الكلي لمتحدثي اللغة (م) قليلا عندما سحبنا المتحدث الأول). واحتمالية سحب متحدثين اثنين للغة (م) هي ناتج حاصل ضرب الاحتمالين أو ٨/١ X ٨/١ = ٦٤/١ والنتيجة هي أن لدينا فرصة واحدة من ٦٤ فرصة للعثور على متحدثين اثنين في عينتنا يستطيعان التواصل باستخدام اللغة (م).

وبمحاولة الطريقة نفسها للغة (ن) ، فإن احتمالية سحب متحدث للغة (ن) من المرة الأولى هي ٨/٣ ، واحتمالية سحب متحدث ثان للغة (ن) هي أيضا ٨/٣ ، وبضرب هذين الاحتمالين ببعضهما ، فإننا نحصل على ٨/٣ X ٨/٣ =٩/ ٦٤ أو ٩ فرص من ٦٤ فرصة في الحصول على متحدثين اثنين يستطيعان استخدام اللغة (ن) للتواصل. والنتيجة للغة (و) هي ٢/١ X ٢/١ = ٤/١ . واحتمالية الحصول على أي متحدثين اثنين يستطيعان التواصل باستخدام أي لغة هو مجموع الاحتمالات الثلاثة ، أي ٦٤/١ + ٦٤/٩ + ٤/١ ، وهذا يساوي ٦٤/٢٦.

التنوع اللغوي.

وهنا، لا بد أن نتذكر أن هدفنا النهائي هو قياس التنوع اللغوي. ويعني التنوع اللغوي احتمالية أننا لو سحبنا متحدثين اثنين بشكل عشوائي، فسوف يتكلمان *لغتين مختلفتين*. ولكن هذا هو العكس تماما مما قمنا به حتى الآن. وقد يكون ممكنا حساب التنوع المعرف هكذا بطريقة مباشرة، ولكن لو أخذنا بالاعتبار الطريقة التي تأتينا بها البيانات الخام، فمن المناسب أكثر استخدام طريقة غير مباشرة نوعا ما. وطبقا لهذه الطريقة نحسب احتمالية إذا سحبنا متحدثين اثنين عشوائيا أنهما سيتكلمان اللغة نفسها تماما كما ظهر في توضيحاتنا حتى الآن. وبعد ذلك تطرح الاحتمالية من ١، وينتج عن هذا مقياس التنوع الذي نريد. وفي المثال السابق، انتهى بنا المطاف بوجود ٢٦ فرصة من ٦٤ بأن يكون المتحدثان اللذان سحبناهما عشوائيا يتكلمان اللغة نفسها. ومن الواضح أن الاحتمالية المتبقية هي احتمالية أن لا يتحدث الشخصان المسحوبان اللغة نفسها. كيف نحصل على الاحتمالية المتبقية؟ إذا كان هناك في الأساس مجموع ٦٤ من ٦٤ فرصة في المقام الأول (٦٤/٦٤=١)، ومن هذه الفرص هناك ٢٦ فرصة هي احتمالية الحصول على فردين يتحدثان اللغة نفسها، فإن (٣٨) الثماني والثلاثين فرصة المتبقية من أصل ٦٤ تمثل احتمالية سحب متحدثين يتكلمون لغات مختلفة. ورياضيا، تصبح العملية الحسابية كالتالي: ٦٤/٦٤ − ٦٤/٢٦ = ٦٤/٣٨. وبتحويل الكسر إلى ما يقابله عشريا نحصل على قيمة ٠,٥٩٤ .

وطريقة أخرى للتعامل مع هذا الأمر هو أن نفترض أن كل منطقة نحللها متنوعة كليا ما لم نستطع إثبات العكس. وهذا يعني أن نحدد القيمة ١ لكل وحدة، والتي نقصد أنها متنوعة تماما (من المؤكد أن نجد متحدثين اثنين لا يشتركان باللغة نفسها)، ومن ثم نحسب احتمالية أن نختار متحدثين اثنين يشتركان باللغة نفسها. وبطرح هذه القيمة من القيمة الكلية المفترضة للتنوع، فإن ما يتبقى لنا هو قيمة التنوع

الحقيقي لهذه الأمة، أو أي وحدة جغرافية سياسية أخرى.

دعنا نعود للحظة لمثالينا المتطرفين اللذين بدأنا بهما. فللدولة المتوحدة تماما قيمة أكيدة (أي ١) وهي أنه عند سحب متحدثين اثنين سيتكلمان اللغة نفسها. ولتحويل هذه القيمة إلى قيمة تنوع نطرحها من ١ (١-١=صفر). وقيمة التنوع صفر هي ما نريد. فالدولة المتوحدة تماما ليست متنوعة على الإطلاق. وفي الدولة المتنوعة تماما، فإن فرصنا في سحب متحدثين اثنين للغة نفسها هي صفر. وبطرح هذا من ١ في هذه الحالة، نحصل على (١-صفر=١). والقيمة ١ هي مناسبة تماما للدول المتنوعة كليا. وللحالة الثالثة قيمة تنوع هي ٠,٥٩٤ . وهنا نستطيع أن ندرك أن هذا يمثل مستوى تنوع يقع نوعا ما في منتصف المسافة بين عدم التنوع والتباين الكلي.

نص الصيغة (أ).

نستطيع بمراجعة حساباتنا مرة أخرى أن نرى أننا قد حسبنا احتمالية التواصل لكل لغة على حدة بضرب نسبة السكان الذين يتحدثون تلك اللغة بنفسها. وهذا هو المكافىء الرياضي لتربيع كل نسبة. فمثلا حاصل ضرب ٨/١ X ٨/١ هو نفسه $(٨/١)^٢$. ولو افترضنا أن (ن) ترمز لكل واحدة من النسب الثلاث على التوالي في المثال الثالث، فإن الاحتمالية هي مجموع تربيع كل من هذه النسب، أي $(ن)^٢$.
وباستخدام الرمز (?) والذي يعني "مجموع"، فمن الممكن تمثيل هذا كما يلي:

$$\Sigma_{ن}\ ^{٢}(ن)$$

ويطرح هذه الصيغة من ١ فإننا نحصل على أبسط صيغة عند غرينبيرغ، وهي الصيغة (أ) والصيغة هي:

$$أ = ١ -\ \Sigma_{ن}\ ^{٢}(ن)$$

افتراضات الصيغة (أ).

يفترض حساب الصيغة (أ) افتراضا غير واقعي نوعا ما، وهو أنه عند سحب متحدثين اثنين من أي مكان في وحدة جغرافية سياسية سيكون لديهما الحاجة نفسها تقريبا للتواصل مع بعضهما، وهذا الافتراض مطروح في جميع صيغ غرينبيرغ الثمانية. وهناك أيضا افتراضان غير منطقيين في الصيغة (أ) واللذان صححهما في صيغته المتطورة أكثر. فالافتراض الأول هو أن كل لغة ليست مفهومة على الإطلاق لمتحدثي لغات أخرى. وقد رأينا أن هناك لغات في براغوي والهند من الممكن فهمها بدرجات متفاوتة من قبل متحدثي لغات قريبة، وهذه الظاهرة ليست غير شائعة في العالم. والافتراض الثاني هو أنه لا يوجد متحدثون متعددو اللغات. وتفترض الصيغة (أ) ضمنيا أن كل فرد يتحدث لغة واحدة فقط. وتعكس الصيغ (ب) وحتى (ز) محاولة غرينبرغ تجنب وضع هذه الافتراضات غير المرغوب فيها. ومن الصعب جدا الحصول على البيانات المطلوبة لحساب إمكانية الفهم الجزئي بين اللغات. وتتوفر البيانات المتعلقة بالثنائية اللغوية في عدد قليل نسبيا من الإحصاءات السكانية، وحتى تلك المتوفرة هي من نوعية مشكوك في صحتها.[٧] إذا ولأجل جميع الأغراض العملية فإن الصيغة (أ) هي الصيغة الوحيدة من بين مقاييس غرينبيرج للتنوع التي يمكن استخدامها.

مؤشر التواصل.

صيغة جرينبيرغ الثامنة وهي الصيغة (ح) هي مقياس للتواصل وليست مقياسا للتنوع. وبسبب هذا فليس هناك حاجة في الصيغة (ح) للطرح من ١، وتختلف هذه الصيغة عن الصيغة (أ) بشكل آخر، فهي تتطلب وتأخذ في الاعتبار بيانات عن المتحدثين متعددي اللغات. وتحسب الصيغة (ح) بشكل أساسي كما يلي: (١) سحب

أزواج من المتحدثين عشوائيا، كما كان الحال في حساب الصيغة (أ)، و(٢) ملاحظة الأزواج الذين يمكنهم التواصل لوجود لغة واحدة مشتركة على الأقل بينهم، (٣) حساب احتمالية سحب كل من هذه الأزواج "الجيدة"، (٤) جمع هذه الاحتمالات.

وأفضل طريقة لشرح عمل الصيغة (ح) هي تطبيقها على مثال. خذ مثلا البيانات الافتراضية التالية:

في دولة ما، هناك ثلاث لغات هي (أ) و (ب) و (ج). من مجموع السكان هناك ٠,١٥. يتحدثون اللغة (أ) فقط، و ٠,٢٠. يتحدثون اللغة (ب) فقط، و ٠,٠٥. يتحدثون اللغة (ج) فقط، و ٠,٢٥. يتحدثون اللغتين (أ) و (ب) و ٠,٣٠. يتحدثون اللغتين (ب) و (ج) و ٠,٠٥. يتحدثون اللغات (أ) و (ب) و (ج)، وليس هناك من يتحدث اللغتين (أ) و (ج) معا.

وإحدى طرق القيام بالخطوة الأولى هي إحصاء كل زوج محتمل من المتحدثين: للغتين (أ) و (أ)، (أ) و (ب)، (أ) و (ج)، (أ) مع (أ) (ب) ...إلخ. ولكن هذه طريقة مملة، ومن الأسهل جدا تحقيق النتيجة نفسها بعمل جدول.[٨] نضع على رأس كل عمود وُصِف في الجدول اسم اللغة ونسبة السكان الكلية الذين يتحدثونها. ولتعبئة كل حقل في الجدول تضرب القيمة في رأس العمود بالقيمة في نهاية الصف، وينتج عن هذا احتمالية سحب متحدثين يمتلكان المقدرات اللغوية المخصصة، وذلك لأن قيمة العمود تشير إلى احتمالية سحب متحدث واحد، بينما تشير قيمة الصف إلى احتمالية سحب متحدث آخر. ويبين الجدول رقم (٢-٥) هذا. واحتمالية سحب متحدث للغة (أ) أولا واللغتين (أ)، (ب) معا، ثانيا هي ٠,٠٣٧٥ ، وهذا حاصل ضرب ٠,١٥. (احتمالية متحدث اللغة (أ) بـ ٠,٢٥. (احتمالية متحدث للغتين (أ)و (ب) معا). لاحظ أن الاحتمالات تحسب فقط إذا اشترك رأس العامود ونهاية الصف بلغة واحدة على الأقل. فمثلا، لم تكتب قيمة في الحقل الذي يدعو

لوجود متحدث اللغة (أ) فقط وللغة (ب) فقط: فهذان المتحدثان لا يستطيعان فهم بعضهما ولا يضيف سحب مثل هذا الزوج أي شيء للتواصل في تلك الكينونة. ويمكن الحصول على مؤشر التواصل بتلك الدولة بإضافة جميع القيم في الجدول رقم (٥,٢).[٩] والمجموع في مثالنا هو ٠,٨٣٥٠. وهذا يعني أن هناك فرصة تساوى ٨٣,٥٪ في أنه عند سحب متحدثين اثنين عشوائيا من تلك الدولة فإنهما سيشتركان بلغة واحدة على الأقل.

الجدول رقم (٥,٢). جدول حساب مؤشر التواصل عند جرينبيرغ (الصيغة ح).

اللغة	أ (٠,١٥)	ب (٠,٢٠)	ج (٠,٠٥)	أ،ب (٠,٢٥)	أ ج (٠,٠٠)	ب ج (٠,٣٠)	أ ب ج (٠,٠٥)
أ (.،١٥)	٠,٠٢٢٥			٠,٠٣٧٥	٠,٠٠٠٠		٠,٠٠٧٥
ب (.،٢٠)		٠,٠٤٠٠		٠,٠٥٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٦٠٠	٠,٠١٠٠
ج (.،٠٥)			٠,٠٠٢٥		٠,٠٠٠٠	٠,٠١٥٠	٠,٠٠٢٥
أب (.،٢٥)	٠,٠٣٧٥	٠,٥٠٠٠		٠,٠٦٢٥	٠,٠٠٠٠	٠,٠٧٥٠	٠,٠١٢٥
أج (.،٠)	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠٠٠
ب ج (.،٣٠)	٠,٠٤٥٠	٠,٠٦٠٠	٠,٠١٥٠	٠,٠٧٥٠	٠,٠٠٠٠	٠,٠٩٠٠	٠,٠١٥١
أب ج (.،٠٥)	٠,٠٠٧٥	٠,٠١٠٠	٠,٠٠٢٥	٠,٠١٢٥	٠,٠٠٠٠	٠,٠١٥٠	٠,٠٠٢٥

مؤشر الاتصال = ٠,٨٣٥٠

وكملاحظة أخيرة على صيغة (ح) فقد يبدو من الغريب ظهور أزواج غير متشابهة من المتحدثين مرتين في الجدول رقم (٥,٢). فمثلا يظهر الزوج الذي يتكون من متحدث للغتين (أ) ومتحدث للغتين (أ) و (ب) مرة في صف اللغة (أ) وعامود اللغتين (أ) و (ب) ويظهر مرة أخرى في صف الفئتين (أ) و (ب) و عامود اللغة (أ)، ويبدو أنه من الضروري وجود أحدهما فقط. وفي الواقع فإن وجودهما معا ضروري.

ففي الحالة الأولى لدينا احتمالية وجود متحدث اللغة (أ) في السحب الأول ومتحدث اللغتين (أ) (ب) في السحب الثاني. أما في الحالة الثانية فإن متحدث اللغتين (أ) و (ب) قد سحب أولا ، ومن ثمّ سحب متحدث اللغة (أ) ومن الواجب أخذ كلا الاحتمالين بعين الاعتبار.

توسعات ليبرسون

الصيغة (ح).

وسع ستانلي ليبرسون استخدام صيغ جرينبيرغ في الفترة من عام ١٩٦٤ حتى ١٩٦٨م، وقد طرح ليبرسون ملاحظتين عامتين حول صيغ جرينبيرج. أولا ، لا يوجد أي سبب يمنع من حساب مؤشر التنوع أو التواصل لأي مجتمع يمكن تحديده، بالرغم من أن غرينبيرغ كان يتحدث فقط عن صيغة حسب المناطق الجغرافية، مثل الأمم والدول والمدن. ولا حاجة لأن تكون الجغرافية عاملا محددا على الإطلاق. فمثلا سينتج عن حساب الصيغة (ح) للرومان الكاثوليك في جميع أنحاء العالم احتمالية أن أي متحدثين اثنين انتقيا عشوائيا في أي مكان من العالم يستطيعان التواصل بلغة مشتركة. أما *ملاحظة ليبرسون الثانية الأكثر أهمية فهي أن صيغ جريبيرغ تقدم التواصل أو التنوع ضمن تجمع سكاني ما*. فهي لا تذكر أي شيء عن *التواصل بين مجتمعين في مكانين منفصلين*. ولقد استخدم ليبرسون لشرح هذه المشكلة بيانات من الجزائر في عام ١٩٤٨م. وتظهر هذه المعلومات في الجدول رقم (٥,٣)، وهي مأخوذة من جدول ليبرسون رقم ١.

الجدول رقم (٥،٣). التوزيع اللغوي للسكان في الجزائر لمن أعمارهم ١٠ سنوات فأكثر في عام ١٩٤٨م.

	العربية	البربرية	الفرنيسة والعربية	الفرنسية والعربية والبربرية	الفرنسية والبربرية	الفرنسية
مجموع السكان	٠،٦٧٦	٠،٠٩٧	٠.٠٦٤	٠،٠٤١	٠،٠٠٦	٠.١١٦
المسلمون	٠.٧٨٠	٠،١١٢	٠.٠٥٣	٠.٠٤٧	٠،٠٠٧	٠.٠٠١
الأوروبيون			٠.١٣٥	٠،٠٠٣	٠،٠٠١	٠.٨٦٠

المصدر : ليبرسون (١٩٦٨م، ص ٥٤٧).

ويظهر الحساب العادي لمؤشر الصيغة (ح) أن مؤشر التواصل في الجزائر ككل هو ٠،٦٦٩ ، وهذا رقم عالٍ نوعا ما. وهذا يعني أنه إذا اختير جزائريان عشوائيا ، فإن هناك فرصتين تقريبا من بين كل ثلاث فرص في أن يشترك المتحدثان بلغة واحدة. ولكن لا يعطي مؤشر التواصل للدولة ككل أية معلومات عن فرص التواصل المحتملة لو اختير أوروبي بشكل عشوائي أولا ، ومن ثَمّ اختير فرد مسلم. وفي مثل هذه الحالات قد يهمل المؤشر التقليدي معلومات مهمة. وباستخدام شرح ليبرسون لحالة متطرفة (١٩٦٨م، ص ٥٤٨) دعنا نفترض أن هناك دولة مكونة من جماعتين (أ) و(ب) . يتحدث جميع أفراد الجماعة (أ) اللغة (س) فقط ، بينما يتحدث أفراد الجماعة (ب) اللغة (ص) فقط. وسينتج عن حساب الصيغة (ح) لمجموع السكان مؤشر التواصل لا يقل بأي حال من الأحوال عن ٠،٥٠٠ . وقد يكون هذا المؤشر أكبر بكثير لو كان عدد أفراد إحدى الجماعتين أكبر بكثير من عدد الجماعة الأخرى. ولكن ، ستفشل الصيغة تماما في أن تشير إلى حقيقة لغوية اجتماعية ، وهي أنه لن يكون هناك أي اتصال على الإطلاق بين الجماعتين.

ومن حسن الحظ ، فقد بين ليبرسون أن من السهل تعديل الصيغة (ح) لغرينبيرغ حتى تظهر مثل هذه المعلومات. ولعمل ذلك ، نحدد أنفسنا في حالة الجزائر باختيار متحدث أوروبي وآخر مسلم ، بدلا من الاكتفاء فقط باختيار أي متحدثين من

السكان، ومن ثمّ نلاحظ احتمالية أن يشتركا بلغة واحـدة. ويمكـن هنـا اسـتخدام الأسلوب الموضح بالجدول رقم (٥,٢). وبدلا من وضع نسب مجموع السكان الذين يتحدثون مزيجا من اللغات المختلفة في الأعمدة والصفوف يلزمنا القيـام بشيء مختلف نوعا مـا. فنضع على أحد المحاور، مثلا الأعمدة، نسب السكان المسلمين الذيـن يتحدثون مزيجا مـن اللغـات المختلفـة. ويعمـل الشـيء نفسـه في الصفـوف للسـكان الأوروبيين (بعد حذف من يتحدثون العربية فقط والبربرية فقط من مجموع السكان؛ لأنه كما يبدو من الجدول رقم (٥,٣) لا يوجد من يتحدث تلـك اللغتـين فقـط). وتملأ الحقول بضرب النسبة في رأس الأعمدة والصفوف المحددة، بشرط أن يكون هناك لغة مشتركة . ثم تضاف الاحتمالات الموجودة في الحقول، كما عملنا سابقا. وهذا ما يشرحه الجدول (٥,٤) باستخدام بيانات الجدول (٥,٣).[١٠] وتبين النتيجة بوضوح أن التواصل العرقي الناجح المحتمل بين الأوروبيين والمسلمين أقل بكثير مما يعكسه مؤشر التواصل للجزائر ككل.

الجدول رقم (٥,٤). جدول لحساب مؤشر التواصل الموسع لقياس التواصل العرقي المشترك داخل سكان الجزائر في عام ١٩٤٨م

	المسلمون					
الأوروبيون	العربية (٠.٧٨٠)	البربرية (.١١٢)	الفرنسية والعربية (٠,٠٥٣)	الفرنسية والعربية والبربرية (٠.٠٤٧)	الفرنسية والبربرية (٠.٠٠٧)	الفرنسية (٠.٠٠١)
الفرنسية والعربية (.,١٣٥)	٠,١٠٥		٠,٠٠٧	٠,٠٠٦	٠,٠٠١	٠,٠٠٠
الفرنسية والعربية والبربرية (٠٠٣,.)	٠,٠٠٢	٠,٠٠٠	٠,٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠,٠٠٠
الفرنسية والبربرية (٠,٠٠١)		٠,٠٠٠	٠,٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠	٠.٠٠٠
الفرنسية (٠,٨٦٠)			٠.٠٤٦	٠,٠٤٠	٠,٠٠٦	٠.٠٠١

المجموع = ٠,٢١٤

المصدر : بيانات من ليبرسون (١٩٦٨م)

الصيغة (أ).

يمكن عمل الشيء نفسه للصيغة (أ) من صيغ غرينبيرغ للتنوع اللغوي. ومثال ليبرسون هنا مأخوذ من بيانات عن اللغة الأم لجماعة البيض الأجانب من أصل نرويجي في الولايات المتحدة عام ١٩٤٠م (ليبرسون ١٩٦٨م، ص ٥٥١) وتظهر هذه البيانات في الجدول رقم (٥.٥)، المقتبسة من جدول ليبرسون رقم (٣).

الجدول رقم (٥، ٥). توزيع اللغة الأم لجماعة البيض الأجانب من أصل نرويجي في الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٩٤٠م.

	اللغات الأم		
المنشأ	النرويجية	الإنجليزية	السويدية
أجنبي المولد	٠,٩٢٤	٠,٠٥١	٠,٠١٢
الجيل الثاني	٠,٥٠٢	٠,٤٧٧	٠,٠٠٨

المصدر : مقتبس من ليبرسون (١٩٦٨م، ص ٥٥١).

إذا رغبنا في النظر إلى التنوع اللغوي بين الأجيال، فيجب أن تغير الصيغة نوعا ما، فبدلا من $أ = ١ - \sum_{ن} (ن^{٢})$

نستخدم

$$أ = ١ - \sum_{ن} (ن_{١})(ن_{٢})$$

حيث ترمز $(ن_{١})$ لنسبة الجيل ذي المولد الأجنبي الذي يتحدث لغة ما و$(ن_{٢})$ لنسبة الجيل الثاني الذي يتحدث اللغة نفسها. وبتطبيق الصيغة على البيانات الموجودة في الجدول رقم (٥.٥)، نحصل على:

$$١ - [(٠,٩٢٤)(٠,٥٠٢) + (٠,٠٥١)(٠,٤٧٧) + (٠,٠١٢)(٠,٠٠٨)] =$$

١ - ٠,٤٨٨ = ٠,٥١٢.

ويعني مقياس التنوع هذا أن هناك فرصة تزيد قليلا عن ٥٠٪ بأن لا يشترك أي فردين مختارين عشوائيا من الجيلين باللغة الأم نفسها. وبالطبع فإننا لن نكون دقيقتين لو افترضنا أن التنوع اللغوي الحقيقي بين الجيلين يرتفع إلى درجة ٠,٥١٢. فمعظم أفراد الجيل ذي المولد الأجنبي يتحدثون دون شك الإنجليزية كلغة ثانية، إن لم تكن لغتهم الأولى. ومن المحتمل أن يكون هذا أكثر صحة في مجتمع الجيل الثاني، ممن لغتهم الأم، هي النرويجية أو السويدية. وبالإضافة إلى ذلك فقد يعرف بعض أفراد مجتمع الجيل الثاني، ممن تشكل الإنجليزية لغتهم الأم، النرويجية أو السويدية كلغة ثانية. وحقيقة أن مثل هذا النوع من البيانات لم يكن متوافرا لليبرسون توضح المشكلة لصيغ جرينبيرغ المعقدة حول التنوع. وغالبا ما لا تتوافر البيانات الضرورية لرسم صورة دقيقة جدا.

معامل التواصل (مؤشر التواصل)

اقترح كو Kuo (١٩٧٩م) توسعا أكبر في أسلوب غرينبيرغ- ليبرسون، وصمم معامله للتواصل لقياس احتمال أن لغة معينة هي وسيلة للتواصل في مجتمع ما. فبينما تقيس طرق غرينبيرغ وليبرسون التنوع أو الاتصال، بغض النظر عن اللغات المستخدمة، فإن معامل كو يقيس التواصل فيما يخص لغة معينة. وقد أعطى كو الصيغة التالية (١٩٧٩م، ص ٣٢٩).

مؤشر (سك لغ) = (نس سك لغ)٢

وترمز نس سك لغ في هذه الصيغة إلى نسبة (نس) تجمع سكاني ما (سك) يفهم لغة ما (لغ). وفي مثال كو التوضيحي يحسب معامل التواصلية للغة الإنجليزية

لمجتمع البالغين في سنغافورا لعام ١٩٧٨م بأخذ النسبة المئوية للسنغافوريين الذين يفهمون الإنجليزية (٦١,٧٪) وتحويلها إلى كسر عشري (٠,٦١٧)، ومن ثَمّ تربيعها، وهذا يعطي ٠,٣٨١ . ويعني هذا أن هناك فرصتين تقريبا من بين كل خمس فرص تفيد أن سحب متحدثين اثنين من سنغافورا سوف يستطيعان الاتصال باستخدام الإنجليزية. وقد يكون معامل الاتصال عند غرينبيرج (الصيغة ح) أكبر بسبب أنها تأخذ في الاعتبار أزواجا من المتحدثين يمكنها الاتصال بأي لغة.

وقد اقترح كو معاملا للتواصلية يمكنه قياس قيمة أي لغة تستخدم كوسيط للاتصال بين الأقليات العرقية بشكل يشبه توسع ليبرسون بصيغ جرينبيرغ الأصلية . وقد قضى ذلك الاقتراح بتعديل الصيغة لتصبح

مؤشر (سك لغ١ لغ٢) = (نس سك لغ١) (نس سك لغ٢)

ترمز نس (سك لغ١) في هذا الصيغة إلى نسبة الأفراد (نس) في المجموعة (سك) الذين يعرفون باللغة (لغ١)، وترمز (نس سك لغ٢) إلى أن نسبة أفراد المجموعة (سك) الذين يعرفون باللغة نفسها (لغ٢). فإذا كانت نسبة الصينيين في سنغافورا الذين يعرفون الإنجليزية ٥٦,١٪ ونسبة الهنود الذين يعرفون اللغة نفسها هي ٠,٦٧٠٪ ، فإن معامل التواصلية للغة الإنجليزية بين هاتين المجموعتين تساوي حاصل ضرب ٠,٥٦١ X ٠,٦٧٠ أو ٠,٣٧٦ يعني هذا أن هناك احتمالا يساوي ٠,٣٧٦ أن يتمكن هندي اختير عشوائيا من فهم صيني آخر في سنغافورا اختير عشوائيا أيضا باستخدام الإنجليزية (كو ١٩٧٩م، ص ٣٢٩). ومعامل كو هو مقياس مفيد لوظيفة الاتصال الموسع التي واجهناها في الفصل الثالث. ويمكن استخدامه أيضا كمقياس تقريبي لمنزلة اللغة كلغة قومية كاملة.

التطبيقات

تكمن التطبيقات النموذجية للطرق الكمية في مجال اللسانيات الاجتماعية للمجتمع في دراسة التنوع نفسه، والإبقاء على اللغة أو التحول عنها ، وفي دراسة المواقف اللغوية. وسنواجه طرقا كمية في دراسات الإبقاء والتحول والمواقف اللغوية في الفصول التالية. أما هنا فسوف نلقي الضوء على بعض الأمور الواجب تعلمها عن التنوع اللغوي باستخدام أدوات كمية. والوجوه الثلاث للتنوع التي تتناسب مع التحليل الكمي هي : (١) المسألة التطورية، (٢) والتواصلية، (٣) والثنائية اللغوية كتعويض عن التنوع.

المسألة التطورية

رأينا في الفصل الأول كيف أن جوناثن بول (١٩٧٢) قدم دليلا على أن التطور القومي يبدو مرتبطا بدرجة تنوع لغوي منخفضة. وبالرغم من حرص بول الشديد على تفسير نتائجه بتحفظ إلا أنه بدا أن هناك علاقة سببية بحيث يقوم التنوع اللغوي بإعاقة التطور القومي أو أن التطور القومي، يقلل من التنوع اللغوي. وقد فحص كل من ليبرسون وهانسن (١٩٧٤م) العلاقة بين التنوع اللغوي والمقاييس المختلفة للتطور بشكل مفصل مستخدمين أداة لذلك، وهي الصيغة (أ) لغرينبيرغ والتي تقيس التنوع. وما يقلق ليبرسون وهانسن هو إغراء الانتهاء إلى استنتاجات سببية من بيانات ثابتة. ولشرح الأمر باختصار فإن مجرد وجود علاقة بين التماثل اللغوي والتطور القومي يمكن ملاحظتها في الوقت الراهن لا يعني بالضرورة أن أحد هذه العوامل قد سبب وجود الآخر. ولتوضيح السببية لا بد من استخدام بيانات طولانية لإظهار أن انخفاض التنوع يصاحبه زيادة في التطور.

بدأ ليبرسون وهانسن (١٩٧٤م، ص ٥٢٤-٥٢٥) بتبيان أن العلاقة في الواقع

بين التنوع والتطور هي علاقة عكسية. وقد بينا ذلك بطريقة أكثر تطورا من تلك التي استخدمها بول. فقد استخدما الارتباط، وهو أحد الأساليب الإحصائية التي ذكرت في الفصل الرابع، بدلا من الاستنتاج مباشرة من الشكل البياني المشابه للشكل رقم (١.١)، والذي يعتمد على التنوع مقابل مقياس التطور. وكما نعلم فإن أساليب نقطة التقاء الارتباط تتطلب على الأقل بيانات فاصلية لصفتين مختلفتين للتجمع السكاني نفسه. واستخدم ليبرسون وهانسن معامل الصيغة (أ) كمقياس للتنوع في عدد من الأمم، ودرسا ارتباطها بالعديد من مقاييس التطور لتلك الأمم. وكان أحدها الناتج القومي الكلي لكل فرد، وهو مقياس تطور يشبه الناتج المحلي لكل فرد الذي استخدمه بول. وقد وجد ليبرسون وهانسن، باستخدام بيانات من ٧٧ دولة، أن معامل الارتباط بين (أ) والناتج القومي الكلي لكل فرد هو ر= -٠,٣٥. وهذا يعني أن الدول ذات التنوع المنخفض تميل لأن يكون لها ناتج قومي كلي مرتفع لكل فرد. وقد أظهر قياسان آخران للتطور علاقة قوية بالتنوع، وهما التحضر (ر=-٠,٥٢) والأمية (ر=٠,٤٩) . وهذا يعني وجود ميول معتدلة لدى الأمم الأقل تنوعا لأن تكون أكثر تحضرا، أما الأمم المتنوعة كثيرا فتميل لأن يكون لها نسب أعلى من الأمية. وتعكس نتائج ليبرسون وهانسن بشكل أساسي العلاقة نفسها التي عكستها نتائج بول، وهي أن الدول ذات التنوع اللغوي تميل لأن تكون أقل تطورا، وأن تكون تلك الدول الأكثر تناغما لغويا أكثر تطورا.

قام ليبرسون وهانسن بالحصول على بيانات للتنوع وأكثر مقاييس التطور ارتباطا (التحضر والأمية) لثلاث وعشرين دولة أوروبية بين عامي ١٩٣٠م و١٩٦٠م في محاولة منهما لتحديد ما إذا كانت العلاقة بينهم علاقة سببية. وقد اكتشفا وجود عامل ارتباط عال جدا بين التنوع في عام ١٩٣٠م و١٩٦٠م (ر=٠,٨٨) قبل فحص مقاييس التطور. بمعنى آخر، إذا أرد المرء التنبؤ بمعرفة أي من الدول الثلاثة والعشرين

ستكون أكثر تنوعا نسبيا في عام ١٩٦٠م ، وأيها سيكون أقل تنوعا فإن أكثر البيانات فائدة هي مقاييس التنوع لعام ١٩٣٠م. ولتحديد فيما إذا كان التحضر أو الأمية مرتبطا بانخفاض التنوع خلال الأعوام الثلاثين هذه (حيث كان هناك فعلا انخفاض طفيف) لا بد من دراسة مستوي التنوع في بداية تلك الفترة. وباستخدام أسلوب معقد للارتباط المتعدد استطاع ليبرسون وهانسن تحديد أن ٩٪ من التنوع فقط في عام ١٩٦٠م الذي لم يكن متوقعا في مستويات التنوع لعام ١٩٣٠م كان سببه التحضر. أما نتائج الأمية فكانت أكثر إحباطا ، فقد أمكن شرح ٤٪ فقط من التنوع في عام ١٩٦٠م باستخدام هذا المقياس عند أخذ التنوع عام ١٩٣٠م في الاعتبار. بمعنى آخر لم يجدا ما يدعم فرضية أن الانخفاض في التنوع في هذه الدول الثلاثة والعشرين كان مرتبطا بأي من التحضر أو التعليم.

ولكنّ هناك قصورا شديدا في دراسة الثلاثين عاما ، وذلك بشكل رئيسي ، بسبب أن المدة الزمنية قصيرة جدا. وفي محاولة لتصحيح تلك المعضلة قام ليبرسون وهانسن بإجراء دراسة طولية لثماني دول أمكنهم الحصول على بيانات لها لمدد زمنية تصل لمائة عام.(١٢) وقد فشلت نتائج هذه الدراسة أيضا في بيان وجود أي ارتباط بين التطور والتنوع.

وعدم وجود دليل على العلاقة السببية بين عوامل التطور والتنوع اللغوي يضعنا أمام لغز محير. فما سبب وجود ارتباط بين مقاييس التطور كالتحضر أو الناتج القومي الكلي والتنوع في ظل غياب علاقة سببية ؟ ويبدو أن الإجابة مرتبطة بعمر الدول. فعندما تقسم الدول إلى مجموعتين، مجموعة دول "قديمة" نالت استقلالها قبل عام ١٩٤٥م، ومجموعة دول "حديثة" استقلت بعد عام ١٩٤٥م، يظهر التحليل الإحصائي أن لمقاييس التطور ارتباطا بسيطا جدا بالتنوع اللغوي ، حتى في البيانات الثابتة. وقد صاغ ذلك ليبرسون وهانسن (١٩٧٤م، ص ٥٣٧) بقولهما :

"بدا الأمر وكأن هناك مجموعتين من الدول ، تتكون المجموعة الأولى من دول ما قبل الحرب العالمية الثانية، والتي كانت بشكل عام أكثر تطورا وأقل تنوعا من المجموعة الثانية التي تضم دول ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد نشأت الارتباطات بين التنوع والتطور بسبب وجود هاتين المجموعتين المنفصلتين، ويبدو أن هناك بعض المبالغة في القول بأنه داخل كل مجموعة لا يوجد ارتباط بشكل أساسي بين الصفات التطورية والتنوع في اللغة الأم."

ومن الضروري وجود تحليل تاريخي أكثر دقة من ذلك الذي أستطيع تقديمه هنا حتى نفهم السبب الكامل وراء وجود هاتين المجموعتين من الدول. ولكن من الممكن ذكر أن الدول المستقلة حديثا غالبا ما تكون مستعمرات سابقة كان الاتحاد الإجباري وراء تنوعها اللغوي. وفي الوقت نفسه، فإن بعض الدول الأقدم هي تلك التي بدأت فيها الثورة الصناعية وكان فيها احتكار للصناعة قبل أن تنال الدول الأحدث استقلالها.(١٣)

التواصلية

استطاع كو (١٩٧٩م) استخدام معامل التواصلية عنده لبيان عدد من أنماط اللسانيات الاجتماعية المثيرة في سنغافورا وغرب ماليزيا. ويشمل التنوع اللغوي في كلتا الدولتين اللغات الست نفسها، وهي ملايي والإنجليزية والماندرينية والتاميل والهوكية والكانتونيزية. يبين الجدول رقم (٥,٦) معاملات التواصلية لهذه اللغات الست في الدولتين لعام ١٩٧٨م. تذكر أن المعامل يمثل احتمالية أن فردين من مجموع السكان يعرفان لغة معينة.

جدول رقم (٥,٦). معاملات التواصلية لست لغات في سنغافورا وغرب ماليزيا لعام ١٩٧٨م.

	ملايي	الإنجليزية	الماندرينية	التاميل	الهوكية	الكانتونيزية
سنغافورا	٠,٤٥٣	٠,٣٨١	٠,٤٠٨	٠,٠٠٤	٠,٦٠٧	٠,٣٩٩
غرب ماليزيا	٠,٧٤٦	٠,٠٨١	٠,٠٦٠	٠,٠١٣	٠,٠٨٤	٠,٠٦٦

المصدر: كو (١٩٧٩م).

الفرق واضح جدا، فباستثناء التاميل، فمستويات معامل التواصلية لجميع اللغات الست في سنغافورة كانت عالية إلى حد معقول، ويبدو أن التواصل في سنغافورا يتم بشكل رئيسي بتعلم كل جماعة عرقية لغة أو أكثر من لغات جيرانهم بدلا من أن يتعلم كل فرد لغة ثانية شائعة. وفي المقابل كانت لغة ملايي في غرب ماليزيا أقوى لغة على الإطلاق من حيث التواصلية. ومن الواضح أنها اللغة المختارة كلغة ثانية في ذلك البلد. ومن منظور قومي يبدو أنه لا توجد لغة معينة تتميز عن غيرها كلغة قومية في سنغافورا. وكانت سنغافورا في السابق تعترف بلغة ملايي كلغة قومية، بالإضافة إلى لغات ثلاث أخرى، هي الإنجليزية والماندراية والتاميل، كلغات رسمية، (كو ١٩٧٩م، ص٣٤٠، هامش ٧). وللهوكية تميز طفيف واضح بالنسبة للتواصلية، ولكنها ليست إحدى اللغات المخصصة كلغة رسمية ومؤشراتها للتواصلية بين الجماعات العرقية منخفضة جدا (كو ١٩٧٩م، ص٣٣٣). وسبب عاملها الإجمالي العالي هو أنها ذات قيمة تواصلية داخل التجمع العرقي الصيني الكبير. ومن الواضح أن ملايي تشغل وظيفة اللغة القومية في غرب ماليزيا. وهي اللغة الوحيدة كلغة قومية ورسمية، كما أن لها أعلى معامل تواصلية إجمالي في البلد.

بالإضافة إلى ذلك، فإن لها أكبر معامل تواصلية بين الجماعات العرقية.

وتعزز حقيقة أخرى عن ملايي الخلاصة بأنها تخدم الوظيفة القومية في غرب ماليزيا، وتوضح أيضا كيف أن من الواجب تفسير بيانات المسح بحذر.[١٤] وبمقارنة نتائج المسح لعامي ١٩٧٢م، و ١٩٧٨م، هناك تناقص نسبته٣٪ في عدد الأفراد الذين قالوا: إنهم يعرفون المالي. وفي الوقت نفسه هناك زيادة بنسبة ٥,٦ ٪ في عدد الناس الذين قالوا: إنهم يعرفون الإنجليزية، بينما بقيت على حالها النسب المذكورة للغات الأربع الأخرى (كو ١٩٧٩م، ص ٣٣٤). ويبدو هذا للوهلة الأولى مناقضا لفكرة أن المالي تتطور كلغة قومية. وكما أكد لنا كل من كو (١٩٧٩م، ص ٣٣٦) وبلات (١٩٧٧م، ص ٣٧٤) فإن لغة الملايي بالتأكيد أخذت في التوسع في وظيفتها القومية. وشرح كو (١٩٧٩م، ص ٣٣٦، ٣٣٧) هذه الخسارة الواضحة للغة ملايي بأنها نتيجة للنجاح في ترويج استخدام ماليزية بهاسا كلغة قومية. تذكر من النقاش الذي ورد في الفصل الثاني عن التعددية اللغوية في ماليزيا أن هناك شكلين للغة ملايي، أحدهما شكل "سوقي" ذو منزلة دنيا والآخر شكل قياسي. وقد يكون وعي الأفراد الذين ادعوا أنهم يفهمون لغة ملايي؛ لأنهم يعرفون الملايي السوقية في عام ١٩٧٢م، قد ازداد فيما يخص تقييس اللغة القومية في السنوات الست التالية، أما في عام ١٩٧٨م فإن بعض الذين يتحدثون الملايي السوقية بطلاقة كبيرة قد ذكروا أنهم لا يعرفون لغة ملايي وذلك لإدراكهم أن لديهم مصاعب في استخدام اللغة النموذجية. من هنا فإن نسبة الاختلاف في ٣٪ قد تكون نتيجة لتدني الرغبة بالاعتراف بمعرفة لغة ملايي بدلا من أي تغير في المقدرة اللغوية.

وتفسير كو يكاد يكون صحيحا بالتأكيد. فبالرغم من أن ٣٪ تبدو نسبة صغيرة إلا أنها تشكل معدلا سريعا إلى حد كبير في التحول اللغوي حسب المعايير العالمية. وقدم ليبرسون ودالتو وجونستون (١٩٧٥م) بيانات غطت فترات زمنية عن نسب

السكان الذين يتحدثون اللغة الأم لأكبر الجماعات في ٣٥ دولة. وقد كان معدل أكبر نسبة تغير سنوية هي زيادة نسبة ٠.٠٠٤١ في رومانيا في الفترة ما بين ١٩٣٠م و١٩٦٠م. وقد حدث معظم هذا التغير بين ١٩٣٠م، و ١٩٥٦م، وهي الفترة التي أجبرت فيها رومانيا على التخلي عن بعض المناطق لصالح الاتحاد السوفيتي وبلغاريا. وتشهد عادة الدولة التي تتخلى عن جزء من أراضيها زيادة في نسبة السكان المتحدثين للغة الرئيسية ؛ لأن المناطق التي تضيع هي بالعادة تلك التي تسكنها أقليات لغوية. وكان معدل ثاني أكبر التغيرات السنوية هو ما بين ٠.٠٠٢٠ – ٠.٠٠٢٥ وطالما لم يشهد غرب ماليزيا أي تغير في الحدود بين ١٩٧٢م و ١٩٧٨م، فمن المتوقع ألا يزيد معدل التغير السنوي في نسبة السكان الذين يعرفون لغة ملايي عن ٠.٠٠٢٥ وتساوي نسبة ٣٪، وهي نسبة التغير خلال الست سنوات، معدل تناقص سنوي يساوي ٠.٠٠٥٠ . وهذه النسبة أكبر فعلا من الزيادة في رومانيا خلال الفترة التي شهدت تغيرا رئيسيا في الحدود. وباختصار فإن من المستبعد أن يشكل نقص ٣٪ تحولا لغويا فعليا، ولكن من الممكن تفسيرها من خلال ما ذكره كو.[١٥]

ويعطينا معامل كو للتواصلية وسيلة لتحليل اللغات القومية ولغات الاتصال الموسع. فإذا استخدمنا المعامل لمقارنة اتصالية لغة الهندي-أوردو والإنجليزية في الهند، فإن معامل الهندي -أوردو أكبر. وباستخدام بيانات خوبتشنداني (١٩٧٨م) المأخوذة من الإحصاء السكاني الهندي لعام ١٩٦١م، نجد أن للهندي -أوردو معامل تواصلية أكبر في جميع الولايات باستثناء اثنتين، هما تاميلندوا وكيرلا. وليس لأي من اللغتين معامل عالٍ جدا في هاتين الولايتين اللتين تتحدثان لغات درافيدية. ففي تاميلندوا هناك فقط فرصة واحد في ١٠٠٠ بأن نجد متحدثين اثنين للإنجليزية، واحتمالية وجود متحدثين للهندي -أوردو أقل من نصف ذلك.

الجدول رقم (٥,٧). معاملات التواصلية للهندي -أوردو والإنجليزية في ولايات الهند لعام ١٩٦١م.

الولاية	المنطقة	لغة الولاية	معامل	التواصلية
			الهندي-أردو	الإنجليزية
أندرابراديش	الجنوب	تيليقوا	٠,٠٠٨٣	٠,٠٠٠٦
كيرلا	الجنوب	ماليالم	٠,٠٠٠٠	٠,٠٠١٦
ميسور	الجنوب	كانادا	٠,٠١٠٥	٠,٠٠٠٣
تاميلندوا	الجنوب	تاميل	٠,٠٠٠٥	٠,٠٠٠٦
أسام	الشرق	أساميز	٠,٠٠٤٦	٠,٠٠٠٢
أوريسا	الشرق	أورايا	٠,٠٠١٠	٠,٠٠٠٢
غرب البنغال	الشرق	بنغالي	٠,٠٠٨٠	٠,٠٠١٨
قوجارت	الغرب	قوجاراتي	٠,٠٢٥٥	٠,٠٠٠٢
مهارشترا	الغرب	ماراتي	٠,٠٢٥٥	٠,٠٠٠٧
بيهار	شمالية	هندي	٠,٣١٧٨	٠,٠٠٠٣
جامو وكشمير	شمالية	أوردو	٠,٠٠٨٩	٠,٠٠٠٠
مدهيابراديش	شمالية	هندي	٠,٧١٢٠	٠,٠٠٠١
بنجاب	شمالية	هندي	٠,٣٦١٤	٠,٠٠١٣
راجستان	شمالية	هندي	٠,١٣٣٣	٠,٠٠٠٢
أوتربراديش	شمالية	هندي	٠,٩٣٥٠	٠,٠٠٠٦
دلهي (أراضي)	شمالية	هندي	٠,٧٥١٨	٠,٠٢٤١

المصدر: بيانات من خوبتشنداني (١٩٧٨م).

ومعامل اللغة الإنجليزية في كيرلا مساو تقريبا لذلك الموجود في تاميلندوا، أما معامل الهندي -أوردو، فهو أصغر من ذلك بكثير. وفي الواقع فإن معامل الإنجليزية لا يزيد عن ٠٠١٨، . في أي من الولايات الهندية.[١٦] وأعلى معامل للهندي -أوردو خارج الولايات، التي تكون فيها الهندي أو الأوردو هي اللغة الرسمية، يكون ٠,٠٢٥٥. ويعرض الجدول رقم (٥,٧) كامل البيانات.

ويمكن أيضا حساب معاملات التواصلية بين المناطق اللغوية الأربع حسب تقسيم خوبتشنداني للهند. وسيعطي هذا فكرة عن مدى صلاحية الإنجليزية والهندي كي تعمل كلغات ربط بين منطقة وأخرى. وتدل البيانات الموجودة في الجدول رقم (٥,٨) على أن الهندي تقوم بعمل أفضل من الإنجليزية على هذا المعيار أيضا، ولكن احتمالية سحب متحدثين اثنين للهندي-أوردو، كل واحد منهما من أي منطقتين لا يتجاوز بأي حال من الأحوال فرصة واحدة من كل عشر فرص. ولا توجد أي لغة أخرى تنافس الهندي -أوردو كلغة ربط في الدولة كلها. والخلاصة التي نحن مضطرون لقبولها هي أنه لا يوجد لغة في الهند تخدم الوظيفة القومية إذا كانت التواصلية معيارها الحاسم.

وبالمقارنة نجد عند حساب معامل التواصلية للقوارني في براغوي باستخدام بيانات رونا (١٩٦٦م، ص ٢٨٤) من الإحصاء السكاني لعام ١٩٥٠م أنه يتجاوز ٠,٩٠٠٠ في إحدى عشرة ولاية من ولاياته الست عشرة. ولا ينخفض معامل التواصلية تحت ٠,٥٠٠٠ إلا في ولاية بوقيرون المتنوعة لغويا. ومعاملات الإسبانية مرتفعة أيضا بالمقارنة، فهي تتراوح ما بين ٠,١٥٨٤ و ٠,٥٠٢٧ في الولايات (ويساوي المعامل ٠,٧٠٣٠ في اسونسيون). ولأخذ فكرة عن الاتصالية بين المناطق بالنسبة للإسبانية والقوارني فقد حسبت معاملات الاتصالية بين ولايتين فيهما أقل نسبة من متحدثي القوارني ولولاية اوليمبو ومدينة اسونسيون، وهما منطقتان

إداريتان تمتاز كلاهما بأعلى نسبة من متحدثي الإسبانية. وقد وجد المعامل للقوارني بين اتابو بوقيرون، حيث أقل نسبة من متحدثي القوارني مساوية لـ ٠,٥٣٩ وكان معامل الإسبانية ٠,٠٣٦٣ . وكان معامل قوراني بين أوليمبو واسونسيون ٠,٨١٨ أما معامل الإسبانية فكان ٠,٦٣٢ وتخدم قوارني بشكل أفضل من الإسبانية وظيفة الاتصال الموسع في كلتا الحالتين السيئتين لوضع القوارني والجيدتين لوضع الإسبانية. ويؤكد معامل الاتصالية ما بينته مؤشرات أقل رسمية بأن القوارني في وضع قوي جدا كلغة قومية في براغوي.

إن معامل تواصلية عال يعتبر معيارا ضروريا، ولكنه لا يكفي بالتأكيد لتحقيق نجاح وظيفة اللغة القومية بكل ما تحمله من معنى. وقد تكون للغة المشتركة المستخدمة كلغة تجارة معامل اتصالية عال، ولكنها تفتقر إلى القوة الرمزية المطلوبة لتحقيق وظيفة اللغة القومية. كما أنه ليس من محض الصدفة أن بعض أنجح عمليات الترويج للغات قومية جديدة حدثت في تنزانيا وماليزيا وأندونيسيا حيث تم تبني وتقييس وتطوير لغات مشتركة كان لها معامل اتصالية عال من قبل.

الجدول رقم (٥,٨). معاملات الاتصالية للهندي- الأوردو والإنجليزية بين المناطق اللغوية في الهند لعام ١٩٦١م.

المنطقة	معاملات التواصلية	
	الهندي –أردو	الإنجليزية
جنوب/شرق	٠,٠٠٣٩	٠,٠٠٠٩
جنوب/غرب	٠,٠٠٧٤	٠,٠٠٠٦
جنوب/شمال وسط	٠,٠٤٣٠	٠,٠٠٠٦
شرق/غرب	٠,٠٠٨٦	٠,٠٠٠٦
شرق/شمال وسط	٠,٠٤٩٢	٠,٠٠٠٧
شمال وسط/غرب	٠,٠٩٣٦	٠,٠٠٠٥

المصدر: بيانات مأخوذة من خوبتشنداني (١٩٧٨)

التعويض من خلال ثنائية اللغة

إحدى مشاكل استخدام الصيغة (أ)، أبسط معامل للتنوع، هي أنها لا تأخذ في الحسبان التعددية اللغوية، وقد صحّح هذا الخلل في الصيغة (ح) بالإضافة إلى بعض من مقاييس غرينبيرغ للتنوع الأكثر تعقيدا وفي معامل كو للاتصالية. وقد اقترح واينرايخ Weinreich (١٩٥٧م، ص ص ٢٢٨-٢٢٩) طريقة أخرى لقياس المدى الذي تعوض فيه ثنائية اللغة عن التنوع. وقد علل واينرايخ ذلك بأن الثنائية اللغوية في كينونة ما قد تتناسب طردا مع التنوع. أي أن هناك ميولا لثنائية اللغة لأن تكون عالية حيث التنوع عاليا، وسيتحمل الناس مشقة تعلم لغات ثانية في تلك المناطق التي تحتوي أناسا كثيرين يتحدثون لغات مختلفة. وحاول دافيدسون Davidson (١٩٦٩م، ص ١٨٣-١٨٨) التحقق من فرضية واينرايخ وذلك بإعداد قائمة من الولايات الهندية ونسبة السكان الذين يتحدثون لغتين ومقياس واينرايخ للتنوع (ت) لكل منها. وكما تبين لاحقا فإن مقياس (ت) لواينرايخ مشابه للصيغة (أ) لغرينبيرغ (انظر الهامش٣). وإذا كان واينرايخ محقا فقد يتوقع المرء أن الولايات ذات التنوع الكبير ستكون نفسها ذات ثنائية لغوية عالية. وجد دافيدسون النتائج مخيبة للآمال بعض الشيء، وكان من الصعب شرح الانحرافات عن النمط المتوقع. ولم يستخدم دافيدسون طرقا إحصائية رسمية، ولكن من السهل حساب معامل الارتباط مع نسبة الثنائية اللغوية والتنوع كمتغيرين. وكانت قيمة ر =٠,٢٨٦ وهي قيمة منخفضة بعض الشيء.[١٧]

تعامل واينرايخ مع الفرضية بإنشاء معامل ك حيث استخدم الصيغة التالية:

ك = ث /ت

حيث ترمز (ث) إلى نسبة السكان ثنائي اللغة، وترمز (ت) لمقياس للتنوع. كما حسب أيضا (ك) على أساس إحصاءات المقاطعات وليس الولايات، وهي بيانات لم

تكن متوافرة لدافيدسون في إحصاء عام ١٩٦١م (استخدم واينرايخ أرقام إحصاء عام ١٩٥١م). وجد نتائج مذهلة حقا (واينرايخ ١٩٥٧م، ص ٢٢٩). كانت قيمة (ك) في عدد كبير من المقاطعات تقترب من ١، وهذا يعني بشكل تقريبي أن ثنائية اللغة قد عوضت عن التنوع في تلك المقاطعة. علاوة على ذلك، كانت المناطق التي قلت فيها قيمة (ك) عن ١ مناطق جبلية وصحراوية، وهذا نوع من المناطق التي يصعب فيها الاتصال.

ومن الممكن الاتيان بطريقة مشابهة لطريقة قياس تعويض ثنائية اللغة للتنوع وذلك باستخدام أرقام الصيغة (أ). وكما نعلم فمعامل (أ) هو احتمالية سحب متحدثين اثنين لا يشتركان بلغة أم واحدة. ونسبة ثنائية اللغة هي نفسها كاحتمالية سحب متحدث واحد من السكان ذي ثنائية لغوية (إذا كان هناك شخصان في غرفة وكان يتحدث أحدهما لغتين فإن فرص اختيار متحدث اللغتين عشوائيا هي فرصة واحدة من فرصتين). وحتى يتم التواصل لا بد لواحد فقط من المتحدثين اللذين يختلفان في لغتهما الأم أن يكون ثنائي اللغة. ولذا، فالثنائية اللغوية تعوض بالضبط عن التنوع إذا كانت فرصة سحب متحدث ثنائي اللغة هي نفسها فرصة سحب ثنائي لغة واحدة لكل زوج من المتحدثين المختلفين لغويا. والنسبة التي نريدها هي نسبة ثنائية اللغة مقسومة بنصف مقياس التنوع للصيغة (أ). وسيكون المعامل الذي أنشأناه مساويا لـ ١ إذا كانتا متطابقتين، وهذا يعني أن فرصتنا في سحب ثنائي لغوي من السكان هي بالضبط نفسها كفرصتنا في سحب فرد واحد من زوج مختلف من المتحدثين. ومن الممكن كتابة الصيغة بالشكل التالي:

متع = ث / (أ/٢)

بشكل مطابق وأسهل كالتالي:

متع = ٢ ث /أ

حيث ترمز (متع) لمعامل التعويض وترمز (ث) لنسبة ثنائية اللغة، أما (أ) فهي قيمة معامل الصيغة (أ). وكما اتضح لاحقا، فإن قيمة متع دائما تكون أكبر قليلا من قيمة ك عند واينرايخ للبيانات نفسها.

(متع) مقياس غير دقيق بعض الشيء، ومن المهم فحص الطرق التي يكون فيها غير منطقي. أولا، في الغالب فإننا نقارن بين احتمالية سحب متحدث ثنائي اللغة مع احتمالية سحب زوج من المتحدثين مختلفي اللغة. افترض أننا سحبنا مجموعة واحدة من متحدثي لغات أم مختلفة وكان كلاهما ثنائيي اللغة. بعد ذلك سحبنا زوجا آخر من المتحدثين ذي لغتين مختلفتين ولا يتحدث أي منهما أكثر من لغة واحدة. وفي الغالب هناك متحدث واحد ثنائي اللغة لكل زوج متباين، ولكنّ هناك زوجا واحدا فقط يستطيع فهم بعضهما. ثانيا، نحن نستخدم إجمالا أرقام ثنائية اللغة. وسنحصل على قيمة (متع) تساوي ١ إذا كان هناك متحدث واحد ثنائي اللغة في كل زوج مختلف اللغة من المتحدثين، سواء كان الفرد يتحدث اللغة الأخرى المقصودة أو لا. إذا كان أحد أفراد الزوج من المتحدثين يتكلم ماراثي كلغة أم ويستطيع أيضا تحدث الهندي، بينما يتحدث الفرد الآخر لغة تيليقوا فقط، فإن ثنائية اللغة للمتحدث الأول تفي بمتطلبات الإحصاء، ولكن يبقى زوج المتحدثين غير قادر على التواصل أيضا. ومن جهة أخرى، فإن افتراض الصيغة (أ) بسحب زوج من المتحدثين من أي مكان في الكينونة عادة ما يزيد من قيمة الاختلاف. فمثلا، بتطبيق هذا على الهند ككل، فإن احتمالية تكوين زوج من موظف حكومي متوسط المستوى في دلهي ومزارع من كيرلا هي نفسها احتمالية تكوين الزوج من المزارع مع أقرب جار له. أما في الواقع، فإن زوج متحدثي اللغات المختلفة اللذين يحتاجان إلى التواصل مع بعضهما ويمارسانه فعليا، من المحتمل أن يضم هذا الزوج متحدثا واحدا على الأقل يعرف لغة الفرد الآخر. ومن السهل أيضا رؤية أن الصيغة (أ)، ومن ثمّ معاملنا (متع)، تصبح أكثر

دقة كلما طبقت على تجمع سكاني أصغر.

والآن نحن في وضع يمكننا من الفهم بشكل أوضح لماذا تبدو النسبة المئوية لثنائية اللغة التي ذكرها خوبتشنداني (١٩٧٨م) في الهند تعويضا ضعيفا للتنوع اللغوي العالي في الهند. وكما رأينا في الفصل الأول فإن جزءا من التعليل يكمن في السيولة اللغوية في شمال الهند، ولكن هناك عاملا مهما آخر هو أننا ننظر إلى الدولة بأكملها. وقد ذكر خوبتشنداني أن نسبة ثنائية اللغة في الهند تساوي ٩,٧٪ على أساس إحصاء عام ١٩٦١م. وبعد أن حسب ليبرسون ودالتو وجونسون (١٩٧٥م ن ص ٣٧) مقياس التباين بالصيغة (أ) وجدوا معادلا يساوي ٠,٨٣٧ للهند في عام ١٩٦١م. ونجد باستخدام هذه الأرقام في صيغة تعويض ثنائية اللغة أن قيمة متع تساوي ٠,٢٣١٨ . وهذا يعني أن ثنائية اللغة لم تعوض التباين بشكل كبير في سكان الهند ككل.

وإذا استخدمنا الأرقام التي ذكرها دافيدسون للولايات الهندية، بالإضافة للإقليم الموحد في دلهي، نحصل على نتائج يعرضها الجدول رقم (٥,٩). وكان معامل تعويض ثنائية اللغة في جميع الولايات باستثناء أربع منها قريبا أو يزيد عن ١. ويشير معامل تعويض ثنائية اللغة لمعظم الولايات إلى أن ثنائية اللغة استطاعت بشكل جيد إبطال التباين. وحتى في الولايات الأربع التي لم يوجد فيها ثنائية لغوية كافية كانت قيمة متع أكبر من قيمتها للهند ككل. وقد وجد واينرايخ عندما طبق قياسه (ك)، والذي تقترب قيمته من قيمة (متع)، على إحصاءات على مستوى المقاطعات تعويضا جيدا باستثناء المقاطعات الجبلية والصحراوية. ويتضح أننا كلما اقتربنا من مستوى الاتصال اليومي فإن ثنائية اللغة تقضي تماما على التباين.

ومن جهة أخرى، وكما لاحظ واينرايخ (١٩٥٧م، ص ٢٣٠) يوجد هناك مناطق كان فيها تعويض ثنائية اللغة أكبر من ١. أي أن ثنائية اللغة كافية للتعويض عن التباين، ولكن غالبا بنسبة ضئيلة.[١٨] بمعنى آخر فإن الناس عامة يتكلمون لغتين

لأغراض الاتصال فقط، وليس لأسباب رمزية أو قومية. وكما وصف ذلك واينرايخ (١٩٥٧م، ص ٢٣٠)" من الممكن وجود قيم عالية لـ (ك) في دول تطور فيها الحس القومي بشكل كبير".

الجدول رقم (٥.٩). التباين وثنائية اللغة، وتعويض ثنائية اللغة في ولايات الهند ودلهي لعام ١٩٦١م.

الولاية	أ	ث	متع
دلهي (أراض اتحادية)	٠,٠٣٩٦	٠,٢٤١١	١٢,١٧٦٨
بنجاب	٠,٠١٩٩	٠,١٠٠٢	١٠,٠٧٠٤
أتربراديش	٠,٠٥٩١	٠,٠٤٤٢	١,٤٩٥٨
كيرلا	٠,٠٧٨٤	٠,٠٥٦٨	١,٤٤٩٠
تاميلنداو	٠.٢٢٥٦	٠,١٥٦١	١,٣٨٣٩
ميسور	٠,٣٦٠٠	٠,٢٢٠٢	١,٢٢٣٣
مدهايابراديش	٠,١٣٥١	٠,٠٨١٥	١,٢٢٣٣
ماهراشترا	٠,٢٦٠٤	٠,١٥١٠	١,١٥٩٨
بيهار	٠,١٣٥١	٠,٠٧٣١	١,٠٨٢٢
أندهارابراديش	٠.٢٠٧٩	٠,١٠٩٤	١,٠٥٢٤
أسام	٠,٤٠٧١	٠,٢٠٧٣	١.٠١٨٤
قوجرات	٠,١٣٥١	٠,٠٦٤٣	٠,٩٥١٩
أوريسا	٠,٢٤٣١	٠,٠٨٧١	٠,٧١٦٦
غرب البنغال	٠,٣٩١٦	٠,٠٨٥٤	٠,٤٣٦٢
جامو وكشمير	٠,٥٢٣٩	٠,١٠٣٠	٠,٣٩٣٦
راجستان	٠,١٥٣٦	٠,٠٢٥٣	٠,٣٢٩٤

حيث: أ: معامل الصيغة، ث: ثنائية اللغة، متع: معامل التعويض.

المصدر: بيانات من دافيدسون (١٩٦٩م)

ومن الممكن أن يخدم مقياس تعويض ثنائية اللغة في الدول ذات التنوع اللغوي الكبير كطريقة لتحديد مدى إمكانية حل مشاكل التباين بثنائية اللغة. كما أنه قد يكون لدينا دليل على أن اللغة تخدم وظيفة رمزية في القومية عندما تكون قيمة (متع) أكبر من ١. ويتناسب استخدام هذا المقياس بشكل أفضل مع الدول ذات التنوع اللغوي التي قد تطور حديثا الحس القومي فيها والتي يجب فيها تعلم اللغة القومية كلغة ثانية أكثر من الدول التي تكون فيها اللغة القومية هي اللغة الأم لمعظم السكان. وبراغوي هي مثال على النوع الأخير من الدول. فهي تمتلك في الواقع قيمة عالية لـ (متع) (أكبر من ٩)، ولكن هذا يظهر اكتسابا كبيرا للغة الرسمية (أو على الأقل الاكتساب المصرح به) أكثر من إظهار تعلم اللغة القومية كلغة ثانية.

خلاصة

يستفيد علم اللغة الاجتماعي للمجتمع من تطبيق الطرق الكمية، وكذلك من التحليل النوعي. وتأتي البيانات الرقمية المطلوبة للتحليل الكمي الكبير من مشاريع المسح الرئيسية، وغالبا ما تكون إحصاءات سكانية حكومية تقام كل عشرة أعوام. وبالرغم من وجود مشاكل كثيرة بجمع هذه البيانات والتعامل معها، التي قد تنجم بشكل خاص عن تقلبات الناس في إدلاء المعلومات، فإن الإحصاء وبيانات المسح الأخرى قيمة جدا. وتزداد قيمتها عندما يتعامل معها الفرد بحرص وعندما يتأكد من صدقها ما أمكن ويستخلص معلومات إضافية منها بطرق تحليلية إبداعية واستنتاجية.

وطرق حساب معاملي التنوع والتواصل عند جرينبيرغ ليبرسون هي أكثر الأدوات تطورا لقياس التعددية اللغوية في المجتمع أثناء توافر التواصل، وقد زادت قيمتها "بمعامل التواصلية" عند كو. ومن الممكن تعديل معاملات جرينبيرغ -ليبرسون لتأخذ بالاعتبار التعددية اللغوية والفهم الجزئي بين متحدثي اللغات، ولكن في

الغالب لا تتوافر بيانات تتطلبها هذه التعديلات. ويجعل افتراض السحب العشوائي لمتحدثين اثنين من أي مكان في المجتمع الذي يُدرس صيغ جريبيرغ-ليبرسون أقل واقعية عندما تطبق على تجمعات سكانية كبيرة كدول بأكملها أكثر منها عندما تطبق على مناطق وأراض تتبعها. وشُرح استخدام الطرق الكمية المبنية على صيغ التباين بتطبيقها على مسألة العلاقة بين التباين والتطور القومي، والتقييم الإحصائي لاتصالية اللغات في الدول باستخدام طريقة كو، وبدراسة تعويض ثنائية اللغة للتباين اللغوي. وسنرى استخداما إضافيا للطرق الكمية في الفصول التي تناقش المواقف اللغوية والإبقاء والتحول اللغويين.

هوامش لمراجع إضافية

بالإضافة إلى الدراسات التي استشهد بها في هذا الفصل هناك عدد من الدراسات الحديثة الأخرى التي استخدمت تحاليل كمية لبيانات إحصاء السكان أو بيانات المسح. وذكر ب. كاتشرو B. Kachru (١٩٧٧) وتومبسون بعض المشاكل التي واجهوها في بيانات الإحصاء عند استخدامها وتقييمها. وقد استخدم ميزل (١٩٧٨) وفالي و دي فرايز de Vries and Vallee (١٩٧٨م) إحصاء التعداد لتحليل مسائل لغوية في المجتمع الكندي. وشرح لي بيج Le Page (١٩٧٢) ولي بيج وآخرون Le Page et al (١٩٧٤م) ما يمكن عمله بالبيانات المأخوذة من بيانات مسح على نطاق ضيق. وتوجد أمثلة أخرى في ما كتبه أوهانسيون وفرجسون وبولومي Ohannessian, Ferguson, and Polome (١٩٧٥م).

هوامش

(١) ترعى الحكومات أحيانا أعمال المسح اللغوي خارج عملية الإحصاء العادية. ومن أبرز هذه الأعمال المسحية المسح اللغوي التذكاري في الهند الذي قام به السير جورج جريريسون Sir George Grierson في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وأعمال المسح اللغوي الحديثة التي قام بها أوهانسيون وفرجسون وبولومي (١٩٧٥) في إفريقيا الشرقية.

(٢) لاحظ أن الإنجليزية عوملت بهذا الشكل قبل الاستقلال وبعده. وكما ذكر واينرايخ (١٩٧٥ م ، ص ٢٣١) "فمن العجب أن السياسة القومية والإمبريالية قد عملت مع بعضها في التعامل بانحياز مع اللغة الإنجليزية في الإحصاء".

(٣) أورد واينرايخ مقياسه -ت للتباين لترفيندروم. تشبه طريقة واينرايخ لطرق غرينبيرغ ولمعامل (أ) لغرينبيرغ في إمكانية اشتقاقها من ت باستخدام الصيغة أ=ت (٢-ت).

(٤) عندما نشأت الولايات اللغوية الهندية قسمت تريفندروم بناء على معايير لغوية إلى جزئين يتبع كل منهما ولاية مختلفة.

(٥) التحقق الخارجي والاتساق الداخلي في الواقع حالات خاصة للصلاحية والمصداقية على التوالي. وقد قدمت مفاهيم الصلاحية والمصداقية في الفصل الرابع عند مناقشة أدوات القياس.

(٦) كانت البيانات الخاصة الحديثة المتعلقة بالتسجيل بالمدارس التي توافرت لليبرسون في ذلك الوقت هي الخاصة بعام ١٩٥٧ -١٩٥٨م. واستخدم طريقة الاستيفاء الخطي بين إحصاء عامي ١٩٥١و ١٩٦١م حتى يحصل على أرقام إحصاء مشابه.

(٧) إن نـدرة أرقـام الثنائيـة اللغويـة في الإحصـاءات هـي تقريبـا مشـكلة دوليـة. والبيانات التي من النوع التـالي تعتبر شائعة جدا "لقـد علمنـا أن مـن الصعـب جدا الحصول على أرقام تخص اللغة الأم دون تمني الحصول على امتياز أرقـام ثنائيـة اللغـة" (مـاكونيل McConnell ١٩٧٩م، ص ٣٦)". "إن اللغـوي ... محظوظ جدا لو حصل على أي معلومات عـن الثنائية اللغوية على الإطـلاق (دافيدسون، ١٩٦٩م، ص ١٧٨)"، "وكما يبدو غريبا فإن الإحصـاءات عـن الثنائيـة اللغوية نـادرة جدا علـى الإطـلاق؛ لأن معظـم الـدول تقـدم أرقـام إحصاء لبعض الجماعات فقط (واينرايخ ١٩٥٧م، ص ٢٠٣).

(٨) أنا مدين لطالبي السـابق والي ج. استور Wally G. Astor الـذي طـور هـذه الطريقة وأخبرني عنها.

(٩) طالما أن ليس هنـاك ثنائي لغوي بلغـتي (أ) و (ج)، فـإن العمـود والصـف المخصص للغتين (أ) و (ج) خاليان أو تحوى أصفارا. وكان من الممكن حـذف عمود وصف اللغتين (أ) و (ج) من الجدول.

(١٠) يعني الحقل الخالي (الفارغ) في الجدول رقم (٥,٤) أنه ليس هناك لغة مشتركة. وتعـني قيمـة (٠ . . . ,٠) أن هنـاك لغـة واحـدة مشـتركة علـى الأقـل، ولكـن الاحتماليـة ضئيلـة جدا حتى تصبح (٠٠٠, ٠) عندمـا تؤخـذ لثـلاث مواقـع عشرية.

(١١) ذُكر بحـث فيشـمن (١٩٦٨م، ج) المتعلـق بـالموضوع نفسـه في الفصـل الأول، واستخدم كمثال على اختيار مربع كاي في الفصل الرابع.

(١٢) كـانت الـدول الثمـاني هـي بلغاريـا وكنـدا وفلنـده وهنغاريـا والهنـد وسويسـرا وتركيا والاتحاد السوفيتي.

(١٣) من الممكن القول أيضا بأن الدول النامية (غالبـا مـا تكـون "قديمـة") فيـها أيضـا

احتكار لتعريف "التطور".

(١٤) أتت بيانات كو من أعمال مسح أجرتها مؤسسات بحث تجارية (كو ١٩٧٩م، ٣٣٠).

(١٥) يلزم أيضا تفسير الازدياد الكبير في استخدام الإنجليزية. فهل يمكن أن تكون صورة مطابقة للتفسير الذي قدمناه عن ملايبي ؟ بما أن هناك أشكالا نموذجية وعامية للإنجليزية فمن الممكن أن يكون عدم تأكيد الإنجليزية في ماليزيا قد جعل الناس أكثر رغبة بالقول بأنهم يعرفون الإنجليزية على أساس معرفتهم العامية الإنجليزية فقط.

(١٦) معامل الاتصالية للغة الإنجليزية في دلهي (الإقليم المتحد) مرتفع، ولكنه لا يقارن بمعامل الهندي -أوردو.

(١٧) حولت ت عند واينرايخ إلى قيمة (أ) قبل حساب معامل الارتباط. وحتى قيمة سبيرمان (هـ) للارتباط بين الفرق الرتبي كانت ٣٧٠, . فقط.

(١٨) دلهي والبنجاب هما الاستثناء. وقد سعى دافيدسون (١٩٦٩م، ص ١٨٨) تفسير ذلك بحقيقة أنهما موجودتان في مناطق متقدمة جدا اقتصاديا من البلاد، وأن معدل التعليم في دلهي أعلى من المتوسط.

الأهداف

١ - أن يستطيع تمييز أسئلة اللغة في إحصاءات وافتراضية كالتالي (أ) اللغة الأم، (٢) الاستخدام، (٣) المقدرة.

٢ - أن يستطيع الحكم فيما إذا كانت صياغة السؤال التي تقود للحصول على النوع نفسه من المعلومات (كاللغات التي يعرفها الفرد) قد تؤثر على البيانات المبنية عليها.

٣ - إذا فهمنا أن الاستجابة للأسئلة المتعلقة باللغة لا تؤخذ دائما كما تبدو ظاهريا، فمن الممكن استنتاج مصدر الخطأ. وكمثال على ذلك، يكون قادرا على معرفة مصدر الخطأ في بيانات متحدثي الإسبانية أو القوارني في براغوي (هل يحتمل أن يكون الرقم عاليا جدا أو منخفضا جدا).

٤ - أن يكون قادرا على تحديد ما إذا كانت المشكلة بسبب (١) الجغرافية الطبيعية أو الحدود الجغرافية السياسية إذا أعطى مثالا يحوي بيانات مشكوكا فيها بسبب الجغرافية مأخوذة من إحصاء وطني.

٥ - أن يستطيع تحديد السمات الرئيسية الثلاث لبيانات الإحصاء التي تشجع استخدامها بغض النظر عن المشاكل الموجودة فيها.

٦ - أن يستطيع التمييز بين تعريف التحقق الخارجي وتعريف الاتساق الداخلي.

٧- بعد إعطاء أرقام مشابهة لتلك المذكورة في المثال المفترض لمدينة كويبك (ص ١٢٢)، أن يكون قادرا على تحديد عدد (وليس نسبة) متحدثي لغة ما الذين تعلموا لغة أخرى، بالطريقة نفسها التي يعطي فيها المثال المذكور في النص أعداد متحدثي الإنجليزية الذين تعلموا الفرنسية.

٨- أن يكون قادرا على تمييز "الافتراض غير الواقعي إلى حد ما" الذي طرح في صيغ جرينبيرغ عن التباين.

٩- بعد إعطاء نسبة جميع السكان من وحدة جغرافية سياسية معينة تتحدث لغة (س)، أن يميز كيف يمكن تحديد نسبة السحب العشوائي لمتحدث للغة (س).

١٠ - أن يميز سبب طرح الصيغة (أ) من الرقم ١.

١١ - أن يستطيع شرح لماذا تفرض الاحتمالية $(١/٨)^٢$ وجود متحدثين اثنين يستطيعان التواصل باستخدام اللغة (أ) في مجتمع يكون فيه ١/٨ من السكان يتحدثون اللغة (أ).

١٢- أن يعرف معنى المصطلح ن (ن)$^{٢}\Sigma$ في الصيغة (أ).

١٣- أن يعرف الإجابة الصحيحة لتطبيق الصيغة (أ) على مثال بسيط.

١٤- أن يذكر طريقة أخرى تختلف فيها الصيغة (ح) عن الصيغة (أ)، بالإضافة إلى كونها مقياسا للاتصال وليس التباين.

١٥- أن يعرف العبارة التي تفسر القول بأن قيمة الصيغة (ح) هي **٣٤٦١**,. أو **٧٦٣٩**,. .

١٦- أن يستطيع معرفة الإجابة الصحيحة لمثال بسيط على توسع ليبرسون في الصيغة (ح) . ولتحقيق هذا الهدف يجب أن تبين أنك تستطيع استخدام جدول مشابه للجدول رقم (٥,٤) فعلى سبيل المثال: إذا كان هناك مجتمع فيه جماعتان عرقيتان ١، ٢، وثلاث لغات أ، ب، ج، وتستخدم المجموعتان اللغات الثلاث كما هو مدرج في الجدول (أ).

جدول (أ) بيانات للاستخدام كمثال على الهدف ١٦

	أ	ب	أب	أج	ب ج
المجموعة ١	١٠/٧	-	١٠/١	١٠/٢	-
المجموعة ٢	-	١٠/٥	١٠/٢	-	١٠/٣

اعمل جدولا يبين احتمالية المعامل الصحيح للتواصل (ح) بين المجموعة ١، ١٠٠/٦٦,٢ أو ١٠٠/٣٤ أو صفر .

الحل :

الخطوة ١ : سم المحاور على الجدول ، المجموعة ١ على محور والمجموعة ٢ على المحور الآخر.

الخطوة ٢ : احسب احتمالات التواصل بناء على الدمج بمختلف اللغات بضرب النسبة في رأس كل عامود بالنسبة في نهاية كل صف ، شريطة أن يكون هناك لغة مشتركة واحدة على الأقل. والنتيجة ستظهر كما في الجدول ب.

جدول ب : جدول لحساب معامل التواصل للمثال في الهدف ١٦

المجموعة ٢	المجموعة ١		
	أ (١٠/٧)	أ ب (١٠/١)	أ ج (١٠/٢)
ب (١٠/٥)	-	١٠٠/٥	-
أ ب (١٠/٢)	١٠٠/١٤	١٠٠/٢	١٠٠/٤
ب ج (١٠/٣)	-	١٠٠/٣	١٠٠/٦

الخطوة ٣: اجمع النسب في الجدول، والناتج هو ١٠٠/٣٤

الخطوة ٤ : اختر الإجابة الصحيحة من الخيارات المعطاة.

١٧- أن يستطيع التعرف على العبارة الصحيحة لما يقيسه معامل كو للتواصلية.

١٨- أن يعرف ما تبينه الدراسة الارتباطية لليبرسون وهانسن حول العلاقة بين التباين المقاس بالصيغة (أ) والتطور.

١٩- أن يعرف الأنماط العامة لمعاملات التواصلية في سنغافورا وغرب ماليزيا، وأهميتها لمنزلة اللغة القومية في كل دولة.

٢٠- أن يلاحظ ما تقوده خلاصة التحليل لمعاملات الاتصالية للهندي -أوردو والإنجليزية في الهند.

٢١- أن يذكر ما تقيسه القيمة متع عند فاسولد.

٢٢ - أن يلاحظ أهمية الحقيقة بأن قيمة متع أعلى في الهند على مستوى الولاية أو المقاطعة منها على المستوى الوطني.